MAG - 260 - 04/04

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المكتبة المركزية

الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

سجل تحت رقم 6/97/1
بتاريخ 31 ماي 2008
الرقم

رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص فنون شعبية

"السّماع الصّوفي و الحضرة في الزّاوية العامشاويّة بتلمسان - دراسة ميدانيّة وصفيّة - "

تقديم الطالبة الباحثة :

المسنية أمتير

أعضاء اللجنة :

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
مكتبة قطب الكتبان

أ. د/ شايف عكاشة – رئيسا –
د/ عبد الحميد حاجيات – مشرفا –
د/ محمد سعيدي – عضوا –
د/ عبد الحق زريوح – عضوا –
د/ مصطفى أوشاطر – عضوا–

السنة الأكاديمية : 2004-2005

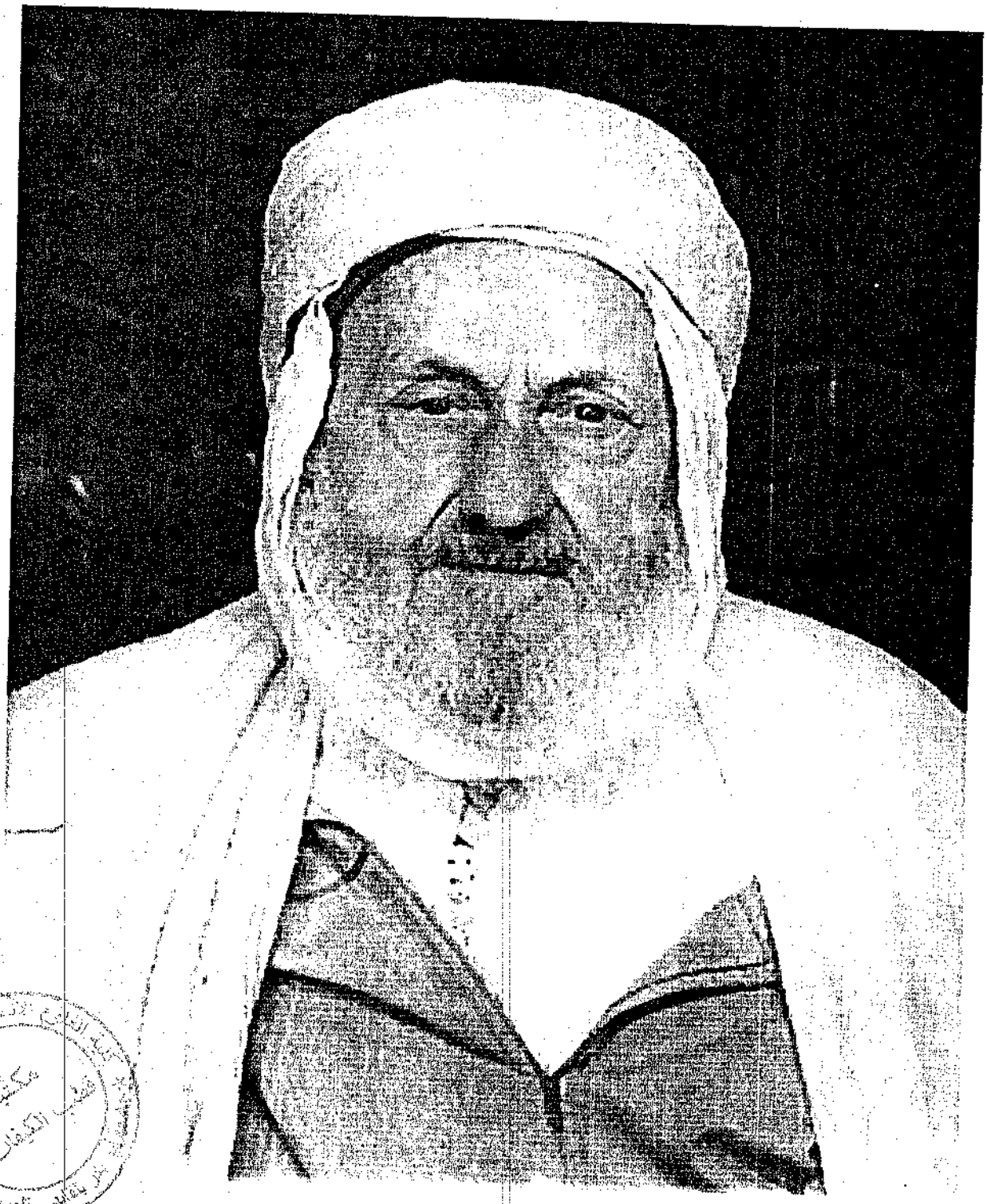

مكتبة

الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله

قـــال الله تعـــالى :

بِسْـمِ اللهِ الـــرَّحْمَـــانِ الـــرَّحِيـــمِ

(إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)

سورة الإسراء ، الآية 36

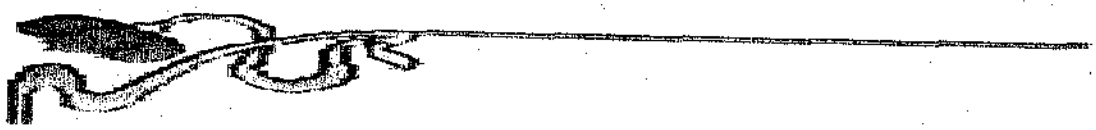

إهـــــــــداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى عائلتي الكريمة و إلى روح أخي العزيز محمد سيف الله رحمه الله تعالى و أسكنه فسيح جنانه . و إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

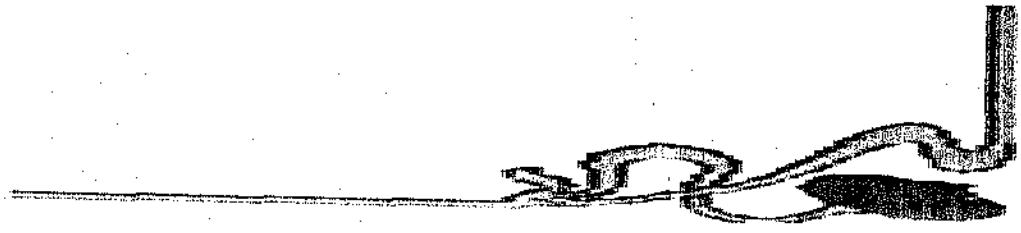

{ كـــلمة شكـــر }

أقر بالشكر و العرفان إلى والدي الكريم لكل مجهوداته طيلة ثلاث سنوات و الذي رافقني خطوة خطوة في إنجاز هذا البحث لكل ليالي السهر و لكل النصائح التي أسداها لي و التوجيهات القيمة و لدعمه الكبير المادي و المعنوي.

إلى والدتي الكريمة لكل صبرها و ثقتها بي و نصائحها لي و أخي العزيز محمد الأمين و أخواتي فاطمة الزهراء و آمنة و أسماء و آخر العنقود بشرى لتشجيعاتهم المتواصلة و إمدادي بالأمل و العزيمة .

و الشكر الكبير إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد الحميد حاجيات على مساعدته و نصائحه و توجيهاته الصائبة و الأستاذ المساعد الدكتور عبد الرزاق جعلوك.

أقدم شكري لطاقم الزاوية المامشاوية فردا فردا بداية بشيخها السيد سيد أحمد مامشاوي إلى مقدميها السيدين عصمت بوكلي حسن و قدور سبيع إلى طاقم مسمعيها السادة الحاج محمد غفور و إبنه و أخيه عبد الكريم غفور و غوثي بن قلفاط و عبد الرزاق قورصو و الدكتور أحمد مامشاوي و مريديها كافة على مساعدتهم الكبيرة لإنجاز هذا العمل.

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الشيخ الشريف بوعافية و عائلته الكريمة و بالخصوص إبنه محمد الأمين و إبنه عبد الوهاب شيخ الزاوية اليلسية الهاشمية الشاغورية بسوريا الذين فتحوا لي مكتبتهم الخاصة و جعلوها تحت تصرفي و تشجيعهم لروح البحث العلمي.

أقدم شكري الكثير إلى السيد بوحفص إطار في مديرية الثقافة على مساعدته لي بكتب قيمة أثرت البحث و زادته دعما.

كما أوجه شكري إلى طاقم مكتبة دار الثقافة " عبد القادرعلولة " على مساعدتهم لي و بالخصوص السيدة ثرية عزوز .

و لا يفوتني أن أشكر السيد محمد مسعودي الشيخ القادري على النصائح و المعلومات التي أعطاني إياها حول الطريق و الفقراءو الحضرة .

و أرجو من كل من أعانني و لو بكلمة طيبة مشجعا هذا البحث المتواضع عظيم إمتناني و جزاه الله عني كل خير.

17 جانفي 2005

بســـــم الله الرحمـــان الـــرحيم

و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

و على آله و صحبه و سلم تسليما

المقـــدمة :

يسجل حقل البحوث الإثنولوجية و الثقافية إهتماما متزايدا بالتراث الصوفي و ما يمت بصلة إليه كالطقوس و الممارسات الصوفية من حيث أنها مجموعة من الشعائر الدينية ذات الأبعاد الإجتماعية و الثقافية و الفنية و التي تستحق البحث و الدراسة.

و إذا كان الهدف الأساسي من الأنثروبولوجيا الإنطلاق من وصف مظاهر الحياة داخل المجموعات البدائية ليلقى الضوء على الظواهر الثقافية و الحضارية كما تظهر في هذه المجموعات في إختلافها عن المجموعات المتحضرة لكي يهيء مجالا أفضل للتقاليد و الأعراف و الأنظمة فتطبيق هذه الوسائل على مجتمعاتنا العربية الإسلامية يتطلب منا أن لا تختلف نظريتنا إلى بعض الفئات الدينية و الإجتماعية و الثقافية عن هذه الغاية لكونها ضمن سلوك أفرادها و حتما يصدر عن سوء فهمها أحكاما مسبقة جاهزة تؤدي بدورها إلى مواقف قد تساهم مثل هذه الدراسات في التخفيف من حدتها و تغييرها و بالتالي خلق جسور تفاهم بين أفراد المجتمع الواحد لصالحه التنموي و الحضاري.

من هذا الإنشغال إنبثقت فكرة هذا البحث زادتها مجموعة من الدوافع أكثر وضوحا منها دوافع موضوعية و أخرى ذاتية.

أما الموضوعية منها :

1/ التنقيب على هذا النوع من التراث الشعبي أصبح أمرا ضروريا في الظروف الحالية.

2/ المساهمة في رفع اللبس و إزالة الغموض حول سلوكات أهل التصوف داخل المجتمع من حيث أنها تمثل أقلية تدخل في إهتمامات البحث الإثنوغرافي و الفني.

3/ إهتمام النخبة المثقفة المتزايد على مستوى العالم بالتراث الإسلامي الروحي لما يمثله من معارف و سلوكات سلمية في الأوضاع الراهنة المشحونة بالعنف السياسي و التطرف الديني.

أما الأسباب الذاتية ، فإنتماء العائلة إلى التصوف حيث كان المنزل العائلي الكبير يستضيف في المناسبات الكبرى أهل الزاوية المامشاوية ، و كان يثير إعجابنا آداء السماع الصوفي و تجذبنا ألحانه الشعبية و كذلك كانت العمارة التي كان يقوم بها المريدون تثير إستغرابنا و دهشتنا منذ الطفولة ثم بعد أن وصلنا إلى سن الفهم كنا نصطحب الوالدين إلى الحفلات التي كانت تقام بالزاوية المامشاوية فما شدنا أكثر هي الصور الرمزية التي تحملها القصائد الشعرية التي ينشدها المسمعون ، و كذلك كنا نتسائل دوما عن العلاقة الموجودة بين السماع و الحضرة.

فهذه العوامل حددت على أن يكون عنوان هذا البحث :

" السماع الصوفي و الحضرة في الزاوية المامشاوية بتلمسان ـ دراسة ميدانية وصفية ".

و ما إن شرعنا في مطالعة المؤلفات التي لها صلة بموضوع البحث حتى تبادرت تساؤلات عدة إلى أذهاننا حول الخطاب الصوفي المتمثل في نصوص شعرية و طقوس و ممارسات تفرض على الباحث ضرورة التخلي عما يسميه " إيميل دوركهايم " **Emile DURKHEIM** ب " الأحكام المسبقة " آخذين بعين الإعتبار أن هذا البحث لا ينتمي إلى الإنشغالات الدينية الفقهية بالدرجة الأولى و إنما تقوده رغبة البحث العلمي الإثنوغرافي و الفني قصد إبراز المعتقدات الراسخة في نفوس المنتمين لهذه الطقوس الصوفية حتى نتمكن من فهمها بشكل أفضل.

و هذه التساؤلات تتلخص فيما يلي :

1/ هل الشاعر الصوفي مقلد للشاعر القديم و هل ينظم الشعر بعد تفكير و تخمين أم لإلهامات و فتوحات ينكب عليه الشعر كالسيل الوابل ؟

2/ هل الطقوس الصوفية وظيفتها دينية تعبدية محضة أم لها وظائف أخرى ؟

3/ ما هو سر الإختلاف في أداء و أشكال هذه الطقوسات من طريقة إلى أخرى ؟

و من جراء هذه التساؤلات توصلنا إلى الفرضيات التالية :

1/ إن الشعر الصوفي المعاصر له طريقتان في النظم :

أ/ الأولى تخص الشعراء المتعلمين الذين ينظمون الشعر على منوال القدماء و يمزجون بين الإلهام و التفكير و التخمين والتنقيح.

ب/ الثانية تخص الشعراء الموهوبين الذين يلهمون بالشعر كالوابل فتحا من الله تعالى.

2/ إن الطقوس الصوفية كالسماع و الحضرة لها عدة وظائف :

أ- التعبد قصد التقرب من الله تعالى و الرسول (ص) لنيل الرضى و المعرفة و المحبة.

ب- فتح مجال الفسحة و الفرجة للترويح عن النفس

ج- تقوية الروابط بين المريدين و بين الزاوية و عامة الناس.

د- نيل البركة و قضاء الحوائج.

ه- العلاج من الأمراض المعضلة التي عجز الطب العادي عن علاجها.

3/ سر الإختلاف بين آداء السماع و الحضرة يكمن في أصل كل طريقة روحية.

لا ندعي أنه بإمكاننا إثبات هذه الفرضية لكننا نراهن على " خيوط موصلة جاءت في تساؤلات قد تساعدنا في هذه المغامرة الشيقة.

و في هذا الصدد إعتمدنا على أسس علمية و تطبيقية ميدانية ، أما العلمية فكانت تلك الوسائل الخاصة بالعلوم الإنسانية الحديثة كعلم الإجتماع و علم النفس و علم التواصل كلها مدعمة بالوسائل الخاصة بالإثنولوجيا و على المستوى التطبيقي قمنا بعدة زيارات ميدانية إلى الزاوية ميدان البحث و حضرنا مرارا الحفلات الموسمية كالإحتفال بليلة القدر الذي يصادف ليلة التاسع و العشرين من شهر رمضان المبارك في هذه الزاوية و كذلك الإحتفال بليلة المولد النبوي الشريف و التي أتاحت لنا الفرصة بتسجيل شريط فيديو يغطي كل النشاطات من بدايتها إلى نهايتها. فكانت مدته ما يقارب الثلاث ساعات فلخصناه في شريط مدته لا تتجاوز العشرين دقيقة.

و علنا نتمكن من معلومات مفاجئة قمنا بمحاورة بعض المريدين و جمعنا تصريحاتهم عسانا نعثر على شهادات تكون دعامة مهمة لإثبات ما إفترضناه أعلاه.

كما تحصلنا صدفة على شهادات قيمة تخص الحضرة و كأنها سبقت إلينا من طرف أحد المشايخ المحاديب ينتمي إلى الطريقة القادرية فأثرى وجهه نظرنا حولها.

و كان من الضروري تناول ظاهرة التصوف في المدخل حتى نتفرغ في الفصول الثلاثة الرئيسية للتطرق إلى الطريقة و الزاوية في الفصل الأول و الشعر الصوفي في الفصل الثاني و تخصص الفصل الثالث إلىصميم موضوع البحث و هو " السماع و الحضرة في الزاوية المامشاوية ".

و لكل ظاهرة نعطي تعريفا و نتكلم عن النشأة و التطور و تركزها بالأخص على هذه الظواهر في الزاوية ميدان البحث.

أما الجانب النظري فأخذناه من مصادر و مراجع أهمها :

- " الرسالة القشيرية " لأبي القاسم القشيري.
- " المقدمة " للعلامة عبد الرحمان بن خلدون
- " كتاب التعرف لمذهب التصوف " للكلاباذي
- كتاب نفحات الأنس في حضرات القدس " لعبد الرحمان الجامي
- " إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي
- " حقائق عن التصوف " للشيخ عبد القادر عيسى

كما إعتمدنا على كثير من أجزاء دراسة الد.منال عبد المنعم " التصوف في مصر و المغرب " و الذي يعد مرجعا لا يمكن الآن الإستغناء عنه و عدد لا بأس به من المراجع سوف نذكها في آخر الرسالة.

أما الدواوين فكانت أساسا للشعر المتداول في الزاوية المامشاوية مثل أشعار الشيخ شعيب أبو مدين و الشيخ الحراق و هو معلم من معالم الطريقة الشاذلية بالمغرب العربي و الشيخ بن عليوة و هو قرين و زميل الشيخ الحاج محمد بن يلس دفين

الشام و الشيخ الذي يعتبره مريدوا الزاوية أعجوبة وقته و زمانه و هو الشيخ قدور بن عاشور صاحب الديوان الضخم و الشيخ مؤسس الزاوية المامشاوية بن عودة بن مامشا صاحب القصائد القلائل و الثرية.

و إن كان لابد علينا من ذكر الصعوبات التي إعترضت خطانا في إنجاز هذه الدراسة فتتمثل في ندرة المؤلفات الإثنولوجية التي تكشف النقاب على طقوس التصوف و ممارساته و التي هي كما هو معلوم من الظواهر التي ترتكز على معتقدات تبرر مواقف الإنسان الصوفي الذي يقتنع بها كضرورة إتخاذ شيخ مرب و أخذ العهد و القيام بأذكار و أوراد خاصة و إتباع الإخوان في حركاتهم و سلوكاتهم و سكونهم و الحضور في مجالسهم و مشاركتهم في حصص السماع الصوفي و العمارة و هذه المعتقدات راسخة لدى باطن الصوفي بحيث لا يأبه للإنتقادات الموجهة له من طرف خصوم التصوف.

و نراه يمضي قدما في سلوكه نحو الكمال كما يزعمون و لهم دلائل و براهين من القرآن الكريم و السنة النبوية و التي لا يعترف بها خصومهم و هذا يعود حسب وجهة نظرهم إلى تأويل الآية القرآنية و الحديث النبوي الشريف و يؤكدون على أن ما يجمعهم بأهل السنة هو قاسم مشترك من عبادات و معاملات . و مع أن الدراسة تدخل في إطارالإثنوغرافياوالفنون الشعبية إلا أننا إرتأينا أنه من الضروري الإهتمام بتاريخ و تطور التصوف الإسلامي حيث نخصص له جانبا هاما في التمهيد ، ثم نتطرق في الفصل الأول إلى الطريق و الطريقة و الطرق الصوفية التي شربت منها الزاوية المامشاوية و التي يمكن تسميتها بالطريقة المامشاوية لتفرعها عبر عدة أرجاء من الوطن و خارجه و نحاول إعطاء مفهوم لمصطلح " زاوية " و نعطي لمحة عن الزاوية محل البحث و الشعائر التي يمارسها المنتمون إليها و نتناول في المبحث الثاني حياة مؤسس هذه الزاوية كما نقدم لمحة عن مشايخه و البرنامج اليومي و المناسباتي و في هذا الإطار إخترنا الإحتفال بالمولد النبوي الشريف كنموذج لهذه الدراسة.

و نظرا لأهمية الشعر كأساس السماع و الحضرة نخصص المبحث الأول من الفصل الثاني للشعر الصوفي و تطوره و أنواعه و خصائصه و ننهيه بقضية الرمزية.

و نطرح الإشكالية الأولى حولها. أما المبحث الثاني حول الشعر الصوفي المتداول في الزاوية المامشاوية و نحدد إشكاليتين الأولى النظم على منوال القدماء من طرف الشعراء المتعلمين و النظم الموهوب بالفصحى و العامية يختص به شعراء شبه أميون لهم الفتح المبين و نقوم بمقارنة حول إستخدام الرموز و اللجوء إلى ضمير " الأنا ".

أما الفصل الثالث من البحث فنخصصه للسماع و الحضرة ووصفها في ليلة المولد النبوي الشريف المقامة في الزاوية المامشاوية.

فيكون المبحث الأول منه للسماع الصوفي و تعريفه و نشأته و العلاقة بين الصوت و السمع و أنواع السماع حسب الوسيلة المستعملة فيه ، و حكم الشرع فيه و شروط ممارسته و أنواع السامعين و آداب السماع و ننهي المبحث بنظرة حول وظيفة السماع النفسية من وجد و علاج نفسي و نتطرق إلى إظهار وظائف الطقوس كالعمارة و الحضرة.

و يشتمل المبحث الثاني على الحضرة و نحاول تدقيق معنى المصطلحات التي تعني الحضرة ، و نقدم حكم الدين في هذه الظاهرة و شروطها و آدابها عند أهل التصوف و المراحل التي تمر بها و كذا آثارها في نفسية الممارسين و نختم المبحث بأنواع الحضرة عند أهل التصوف نلخصها في رسم يبين أصلها.

و كان من الضروري الحضور في حفل نموذجي داخل الزاوية المامشاوية لمشاهدة الممارسات الصوفية موضوع الرسالة في الميدان و لذا نخصص المبحث الثالث للإحتفال بالمولد النبوي في الزاوية المذكورة ، ونتبعه خطوة خطوة حتى النهاية و نستخلص نتائج وضعناها ضمن الخاتمة التي نحاول أن نجيب فيها عن التساؤلات التي طرحناها في مقدمة الرسالة.

و نرجوا من المولى عز و جل أن يوفقنا في هذه الدراسة فإن نصيب فلنا أجران و إن نخطئ فلنا أجر واحد ، و هو أجر الإجتهاد.

التمهيد:

سنحاول إعطاء نظرة عامـــة حـــول التصوف .

إن التصوّف كفكرة وجد مع الإنسانية في كل زمن و مكان (1)، و أرجع العلاّمة إبن خلدون نشأة التصوف الإسلامي إلى القرن الثاني للهجرة و ما بعده. و عرف أصحاب هذا الإتجاه بالصوفية و المتصوفة (2).

و أشار القشيري إلى نشأته قائلاً : " إعلموا أنّ المسلمين بعد رسول الله (ص) لم يتّسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرّسول(ص)، إذ لا أفضليّة فوقها ، فقيل لهم الصحابة، ثمّ إختلف النّاس و تباينت المراتب، فقيل لخواصّ النّاس ممّن لهم شدّة عناية بأمر الدّين، الزّهاد و العبّاد ، ثمّ ظهرت البدعة و حصل التّداعي بين الفرق، و كلّ فريق إدّعى أنّ فيهم زهّاداً، فإنفرد خواص أهل السنّة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه و تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة بإسم التّصوف و إشتهر الإسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة " (3)

غير أنّ المستشرقين أرجعوا نشأة التّصوف الإسلامي إلى التّصوف الّذي عرفه المسيحيّون و البوذيّون و الصينيّون و الفرس.

وإتّفق المفكّر ماسينيون (MASSIGNON) مع رأي ثولك (TOLK) ونيكلسون القائل بأنّ التّصوّف ليس دخيلاً على الإسلام غير منكر للدّور الّذي قامت به الثقافات الأجنبية حيال التصوف الإسلامي، مقرّاً بأنّ القرآن الكريم يعدّ مصدره الأول وتأتي بعده السنة النبوية ثم الفقه و أصوله و علوم إسلامية أخرى وتأتي الثقافة الأجنبية في المرتبة الأخيرة من حيث درجة التّأثير (4)

---

(1) أبو حامد الغزالي، - المنقذ من الضلال- تحقيق عبد الحليم محمود ، ص 219 بتصرّف.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، " المقدمة"، ص 465.

(3) أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ، ص 16-17.

(4) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 220 بتصرّف

لقد عمل القوم بقول الإمام الجنيد: " إنّ طريقنا هذه مقيّدة بالكتاب و السّنّة" (1) وإنتقدوا كلّ من أرجع نشأة التّصوف الإسلامي إلى أصول قديمة و فلسفات ضالّة و تيّارات فكرية متناقضة للدّين الإسلامي الّتي أوقعت الناس في أحابيلهم الماكرة (2)..

و لهذا يجدر بمن خصّص دراسته للتصوف بعمق أن يبحث عن الحقيقة و يجتنب الظنون لقوله عزّ و جلّ : " وَ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" (3)، و رأينا أنّ أفضل طريقة لمعرفة وجهات نظر الفقراء في الزاوية المامشاوية حول أمور السّماع الصّوفي و الحضرة و التّصوّف هي إستجوابهم بعدد من الأسئلة و جمع تصريحاتهم .إن نشأة التّصوّف حسب رأيهم تعود إلى القرون الثلاثة الأولى ببروز الجنيد و البصري (4).

إنّ منبع التصوّف هو سيدنا محمّد (ص) و الصّحابة الكرام.و ما لفت إنتباهنا هو الرّأي القائل بأن التصوّف كمسمّى و كحقيقة قديم نشأ مع فطرة الإنسان و لكن كظاهرة إسلاميّة سنّيّة، كان في عهد رسول الله (ص) الذي دخل الخلوة بغار حراء كمحمّد بن عبد الله و خرج منها محمّد رسول الله (5).

ثم إن إفشائها و ممارستها من طرف الجميع في عهد الرّسول (ص) و الخلفاء الرّاشدين من بعده كان منطقياً يخلط العقيدة و يسمح لأعداء الدين إغتنام الفرصة لإستغلال المفاهيم الصّوفية و بالتّالي ضرب الدّين حديث النّشأة.

و لذا لم يظهر التّصوف جليّاً كعنصر إجتماعيّ إلاّ بعد رسوخ الدّين الإسلامي و توسّع رقعته و الإطمئنان عليه و لم يظهر إلاّ في القرن الثّالث الهجري .

---

(1) محمود أبو الفيض المنوفي، " معالم الطريق إلى الله"، ص 113

(2) عبد القادر عيسى، " حقائق عن التصوف"، ص 18

(3). سورة يونس، الآية 36

(4) تصريح للسيد محمد بن شوك (نور)

(5) تصريح للسيد حكمت صاري علي

و أثناء القرون الأولى مورس التّصوّف بدون التّمييز بين أهله و أهل العبادة و أهل الزّهد ...إخ.أما طلب الدلائل عن ممارسة طقوسه بحضور النبي (ص) و بعض الصّحابة الكرام (ض) و نخبة من أهل البيت درب من الخيال لأنّه لو كانت الدّلائل متوفّرة لعمّ التّصوّف الشّريعة الإسلاميّة و لكان ممارسا من طرف الجميع.

و يعتقد أهل الزّاوية أنّ التّصوّف موجّه لنخبة من المسلمين المؤمنين يتميزون عن سواهم بإستعداد فطري ووجداني يؤهّلهم إليه و يقترحون لشرح هذا الإعتقاد الجدول التّالي و هو عبارة عن مثلّث:

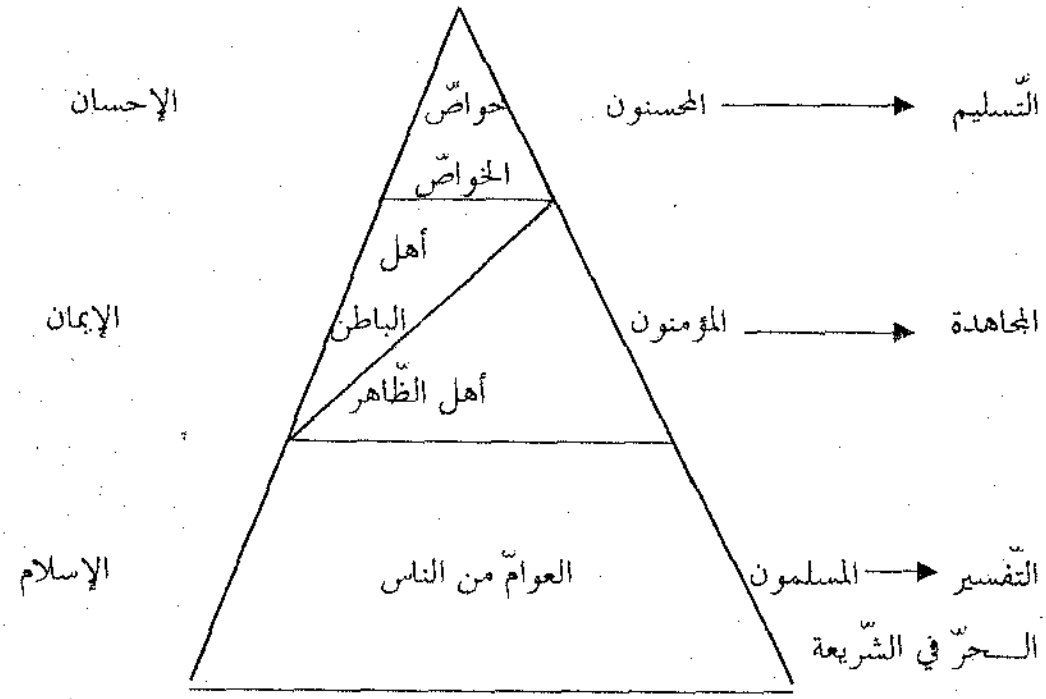

أهل الظّاهر من العلماء لا يستطيعون الوصول إلى درجة الإحسان بسبب الحجب المانعة : عدم التسليم – طلب الدّلائل عن كل شيء – إنعدام الذّوق لديهم.

محجوبون بعلمهم – و لهذا يفرّق الإمام الغزالي بين العالم العامل بعلمه و بين ما يسميه وعاء العلم أي الّذي يعرف و يحفظ الكثير و لكنه لا يطبق ما تعلّمه و هذا النوع من العلماء على شفا حفرة من النار (1)، أمّا الآخرون فيقول الرّسول (ص) فيهم : " مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "(2).

---

(1) أبو حامد الغزالي ، " إحياء علوم الدين ج1 " انظر باب العلم ، ص " 93-109 "

(2) انظر " إحياء علوم الدين ج3 " ، ص 23 .

و الآراء تختلف في الجوهر لا المعنى.

إنّ تعريفات التّصوّف الّتي نجدها في الكتب تقف دون الغرض لأن التّجارب الرّوحية ذوقيّة تعلو على الوصف و التعبير و لم يتمكّن الصّوفيّة من وصف إدراكاتهم و مشاهداتهم و أمورهم الوجدانيّة لوجود صعوبات في التّعبير بألفاظ موحية؛ غير أنّ من أهل التصوّف من وضع بعض التعريفات معبّراً عن حياته الرّوحية (1).

و الحاصل أن التّعريفات التّالية تصبّ في معنىً واحد و هو حسن الخلق عملاً بقوله صلّى الله عليه و سلم : " بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (2)

و نلخّص مفهوم التصوّف في قول الكتّاني: " التّصوّف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصّفاء".(3)

و عن تطوّر التّصوّف الإسلامي في المشرق العربي فقد مرّ بمراحل عديدة عبر أحقاب زمنية متتالية :

أولها : مرحلة الزّهد السّائدة خلال القرنين الأول و الثّاني للهجرة ،ثمّ المرحلة الثّانية الّتي إعتنى فيها المتصوّفة بالتعمّق في أصول علمهم و قد غلب طابع الأخلاق و التربية عليهم .

أما المرحلة الثالثة فكانت في القرن الخامس الهجري و تميّزت بكثرة الكتب المؤلفة في الورع و الزّهد و التوغّل في خبايا النّفس و آداب الطّريقة و أذواق القوم و مواجيدهم ، و برزت أسماء لامعة أمثال القشيري و الهروي و الغزالي (ت 505 هـ).

لقد إقتبس التّصوّف الإسلامي خلال مراحل تطوّره، أصوله من الكتاب و السّنّة و إستند إلى الكلام و الفقه، و جانب الشريعة عندهم متمثّل في

---

(1) د. منال عبد المنعم، " التصوّف في مصر و المغرب" ، ص 115

(2) رواه أحمد من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح (أنظر المجلّد الثالث من سلسلة " إحياء علوم الدّين" لأبي حامد الغزالي ، ص 98)

(3)أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، ص 275

مجاهداتهـــم النّفس و محاسبتها و تكلّمهم في علم التّصوّف المستقّل بذاته و القائم على أسس الذّوق و المواجد و طريقة التّرقّي عبر السّلم الرّوحي من مقام إلى آخر و شرحهم لمصطلحاتهم.(1)

لقد إنتقل التّصوّف من البساطة إلى التّعقيد فإصطبغ بالفلسفة، فسمّيَ بالتصوّف الفلسفي أو تصوّف النخبة بخلاف التصوّف السنيّ أو تصوّف العامّة (2) و أبرز ممثّل لهذا التّيار الشيخ محي الدّين بن عربي الملقّب بالشيخ الأكبر صاحب " الفتوحات المكّية " و " فصوص الحكم " . و إمتدّ تصوّف الغزالي و الغوث شعيب أبو مدين حتّى القرن السّابـــع الهجري الموافق للقرن الثّالـــث عشر ميلادي. و ظهر أبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـــ) و تلميذه أبو العبّاس المرسي (ت 686 هـــ) .

و إنتهج التّصوّف منهجاً مخالفاً للتقشّف و أصبـــح معتنياً أكثر بالمظهر و التطيّب بالعطور و تحسين اللّباس و السّكن (3) .

لقد صادف إنتشار التصوّف في المغرب الإسلامي، منتصف القرن الخامس الهجري أثناء حكم المرابطين أي المرحلة الثالثة من مراحل تطوّره في المشرق العربي(4).

و سهّل إنتشاره إنتقاء المغاربة لكتب التصوّف خاصّة " إحياء علوم الدّين" لأبي حامد الغزالي و مؤلّفات أخرى.

---

(1) عبد العزيز فيلالي ، " تلمسان في العهد الزياني ج 2"، ص 386 بتصرّف

(2) عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه، ص 386 بتصرف ،

(3) عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ص 386 بتصرّف

(4)عبد الرّزاق قسّوم، " عبد الرحمان الثّعالبي و التصوّف" ، ص 54،

لقد مرّ التّصوّف في المغرب الإسلامي بعصور أربع ،الأول منها تمثل في عهد الشّيخ شعيب أبي مدين (1).

أمّا العصر الثّاني من أواخر القرن الخامس و السادس الهجريين الّذي إنتشر فيه علم أبي مدين و اتّبعته طائفة كبيرة من المغاربة، و علم عبد السّلام بن مشيش (2) إلى غايـــة القرن السابع الهجري و هو زمن الشّاذلي.

و يحدّد العصر الثّالث من عهد الشّاذلي إلى عهد الجزولي أي من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري.

---

(1) شعيب ابو مدين : " شيخ المشايخ سيدي أبو مدين سيّد العارفين و قدوة السّالكين الإمام المشهور عرف به جماعة... و قال إبن صعد التلمساني في النّجم الثاقب كان رحمه الله تعالى من أفراد الرجال و صدرا من صدور الأولياء و الأبدال جمع الله له بين الشريعة و الحقيقة ... و كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى ، خاض بحار الأحوال و نال أسرار المعارف خصوصاً مقام التوكّل لا يشقّ غباره و لا تجهل آثاره ... و كان شيخه أبو يعزى يثني عليه جميلاً و يخصّه بين أصحابه بالتعظيم و التبجيل ...فتوجّه الشيخ أبو مدين للشرق...و تعرّف في عرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من الحديث و ألبسه خرقة الصّوفية و أودعه كثيراً من أسراره و حلاه بملابس أنواره ... و كان يقول كرامات الأولياء نتائج معجزات سيّدنا محمد صلى الله عليه و سلم و طريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن حسن البصري عن علي كرّم الله وجهه = و رضي الله عنهم عن النبيّ صلى اله عليه و سلم عن جبرائيل عليه السّلام عن رب العالمين جلّ جلاله . و كان إستوطن بجاية و كان يفضّلها على كثير من المدن فتوفيّ رحمه الله تعالى برابطة العبّاد بتلمسان سنة 594 (أنظر البستان لابن مريم ص-ص 108-114)

(2) إبن مشيش عبد السلام بن مشيش شيخ أبو الحسن الشاذلي. يروى عن شيخه فقال : " رآني قال : مرحباً بعليّ بن عبد الله بن عبد الجبار و ذكر لي نسبي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثم قال لي : يا علي طلعت علينا فقيرا عن علمك و عملك ، أخذت منّا غنى الدنيا و الآخرة، فأجذبني منه الدّهش ، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله علىبصيرتي و رأيت له خرق العادات من كرامات و غيرها... قال لي : يا علي إرتحل إلى إفريقية و إسكن بها بلدا تسمى شاذلة فإن الله يسميك الشاذلي، و بعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس و يولي عليك بها من قبل السلطنة ، و بعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق و ترث فيها القطبانية ..." (أنظر " جامع كرامات الأولياء"لـــ يوسف بن اسماعيل النبهاني ، ص 158).

و في القرن الرّابع عشر الميلادي، أوائل القرن الثّامن الهجري مال التّصوّف إلى الرّكود ثم بزغ فجأة في حركة شعبيّة قادها الشّاذلي و في القرن الخامس عشر الميلادي و أواخر القرن الثامن الهجري إتخذ الصوَفية شكلاً تنظيمياً تمثل في طرق أو طوائف كما يطلق عليها ..." (1)

و أمّا العصر الرّابع و الأخير فيحدّد من عهد الجزولي إلى يومنا هذا القرن التاسع إلى الرابع عشر الهجري (2).

تميّز التّصوّف المغربيّ بخلوّه من فلسفة الكلام و إنتهاجه منهجاً ذوقياً لا عقليًا و لا حسّيا و بساطة لغته ممّا سهّل تغلغله و تبنّيه من طرف المغاربة. (3)

و الإخفاق المتعاقب في الجزائر أخصب الحركة الزهديّة و أدّى إلى إزدهار التّصوّف الّذي سيطر على عقول الناس و قلوبهم مما أثّر على أفعالهم و سلوكهم في المجتمع. (4)

أكّد الد. مرتاض أنّ الإتّجاه الصّوفي في الجزائر ينبغي أن يعتبر جزءاً من الأجزاء الّتي يتألّف منها الفكر الدّيني الحديث و حتّى الثقافة العربية . بأيّ مفهوم من مفاهيمها كونه أصدر الصّحف باللّغة العربيّة و أسّس المدارس الّتي كانت تدرّس الثّقافة الإسلاميّة ، و ألّف الكتب بأسلوبه الخاص و عقد المؤتمرات الّتي كانت تلقى فيها الخطب الرّنانة و الكلمات البليغة. (5)

---

(1) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ،ص 126

(2) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ،ص 126

(3) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 386 بتصرف

(4) عبد المالك مرتاض ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1945" ، ص 36

(5) عبد المالك مرتاض ، المرجع نفسه ، ص 43-44

مـــدينة تلمســـان :

قبل التطرّق إلى البيئة الصّوفيّة بمدينة تلمسان، يجدر بنا التّعريف بالمدينة و سكّانها و ما يتعلّق بهم .

تلمسان مدينة عريقة و تاريخها زاخر بالأحداث و مساحتها عامرة بالآثار العربية الإسلامية تشهد على حضارة ثريّة.

"...تقع على إرتفاع 830 م من سطح البحر، و هي واقعة في سفح مرتفعات جبليّة. في جنوبيها تكسوها غابة من شجر الصنوبر الأخضر العطر الجميل." (1)

فالأمطار تروي أرضها و تتدفّق العيون حرّاءها فتكثر بها الخضرة .

و لذا أطلق عليها الرومان إسم " بوماريا " و الذي يعني " بستان أشجار الثمار " (2)

ثمّ سمّيت المدينة بـــ " أغادير" لكونها محاطة بأسوار و أبراج منيعة (3)

ثمّ أطلق على المدينة إسم تلمسان و هذا اللفظ " بربري هو تحريف صيغة جمع و هو تلمسان أو تلمسين بكسر التّاء و سكون اللاّم و كسر الميم، و مفردة تلمس ، و معناه جيب ماء أو ينبوع، فيكون معنى إسم تلمسان الينابيع، و هذا المعنى يتلائم مع إقليم تلمسان لكثرة مائها"(4) .

و عرفت مدينة تلمسان أحقاب تاريخية جعلت نسيجها السّكّاني يتكوّن من عدّة عناصر أهمّها : البربر ، العرب ، الحضر ، النّازحين من الأندلس ، الأتراك و أقلّية زنجيّة .

---

(1) إبن مريم التلمساني ، " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان"، ص 8 ،

(2) محمد بن عمرو الطمار، " تلمسان عبر العصور "، ص 8

(3) " أجادير " و معناها بجيم مصريّة الحرف أو الهضبة (أنظر البستان لإبن مريم، ص 9) و هي المدينة القديمة تقع على مسافة مئات ، من الأمتار في الشمال الشرقي من المدينة الأثرية

(4) إبن مريم ، المصدر السابق ، ص 9

و عن التّصوّف في مدينة تلمسان، فقد ظهر رجال تصوف في القرن السابع للهجرة أمثال أبي إسحاق الطّيّار (1) و الصّنهاجي (2) (ت 1216 م) و المحاصي المكنّى بالبكّاء (3) (ت 1341م) و إبن مرزوق (4) (ت 1282م) ذوي المعرفة الواسعة و الخلق الرفيع.

تبلورت ظاهرة التّصوّف في تقديس أهالي تلمسان للأولياء و التبرّك بجماعات الصّوفيّة . ثمّ ظهر صراع بين الفقهاء المرابطين و أهل التّصوّف حول مسائل دينيّة لكن بتربّع الموحّدين على العرش بقيادة إبن تومرت (5) أعطي للتّصوّف مكانة هامّة و تمّ الإنفتاح على الفكر الصّوفيّ بإقتناء كتب لأهل التّصوّف درّست في المؤسسات التّعليمية و عقدت لها مجالس فقهيّة و فكريّة (6).

و تواصل الودّ بين الصّوفية و بني حفص و بني مرين، و إمتلأت زوايا تلمسان و مساجدها بحيّ العبّاد و إعتنق العامّة و الخاصّة الإعتقاد بالمرابط. و يعتبر عهد بني زيّان أكثر العهود إزدهاراً للتّصوّف بكثرة حلقات الذّكر و الجموع " لذا كانت الزاوية في مدينة تلمسان شديدة النّظام و الطّاعة . تجبر الفقراء أو الإخوان بإتباع تقاليدها في المأكل و الملبس و الدّراسة لأنّها كانت حقيقة مدارس يتخرّج منها العنصر الطّيّب و الصّالح ... "(7)

(1) الولي الصالح : عرف أنه لم ينم ليلا أربع و عشرون سنة. قائما بالصلاة و التهجد و صوما بالنهار" ، توفي قبل نهاية القرن VII ه (XIII م) ضريحه موجود بالعباد ، « EL BOSTAN « IBN MARYEM » , Page 61 ECHERIF EL MELITY , traduit et a noté par F.PROVENZALI،

(2) أبو يعقوب يوسف بن علي الصنهاجي " شيخ و ولي صالح زاهد وورع من بني علا الناس بن حماد صاحب القلعة مستجاب الدعاء و صاحب كرامات ، أحاد القراءات السبع للقرآن الكريم ، قبره خارج باب الجياد قرب الحفي " أنظر بغية الرواد جزء واحد ليحيى بن خلدون ص 119 بتصرف ".

(3) الشيخ الصالح عبد الله بن عبد الواحد المحاصي من أهل الحديث و الدين و الورع زاهد كثير البكاء حتى شهر به ، ... ذو مواعظ حسنة و علم و عبادة و مكاشفات. وقبره موجود بعين وانزة من العباد " بغية الرواد جزء الأول ليحيى بن خلدون ص ص 106-107 بتصرف.

(4) الشيخ الصالح أبو عبد الله إبن مرزوق بن الحاج التلمساني ولد سنة 629 ه كان فقيها محدثا و متصوفا و من الأولياء و الأعلام، ذو كرامات و مكاشفات و علم غزير دفن في دار الراحة من من الجامع الأعظم " يحي إبن خلدون المرجع نفسة ص ص 114 - 115 . بتصرف.

(5) محمد بن عبد الله المهدي إبن تومرت من ملوك الموحدين ، عبد لاعزيز فيلالي المرجع نفسه ص 387 بتصرف .

(6) و (7) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 391 بتصرف

و إستمرّ الفكر الصّوفيّ إلى القرنين الثّامن و التّاسع الهجريّين و ما بعدهما و تمّ شرح مؤلّفات القشيري و إبن الفارض ...إلخ. و خلال هذه المدّة إنجذب الصّوفيّة نحو الطّقوس الّتي سميّت بالشّكليات و إبتعدوا عن الرّياضة الرّوحيّة الحقّة و الأصول الصحيحة. و عدّ المؤرّخون هذا إنحطاطاً لإهتمام المشايخ بزيادة عدد المريدين و عدم تحسين تحصيلهم العلمي و لا مددهم.و إمتدّ هذا التّدهور حتّى القرن العاشر الهجري بسقوط الحكم الزّياني و هجوم الأتراك الّذين شجّعوا الخرافات و الخزعبلات. كانت الزّوايا الصّوفيّة في الجزائر قلاعاً لثورات متتالية ضدّ الغزو الإستعماري الفرنسي بدأ بالزاوية القادرية التي تخرّج منها الأمير عبد القادر (1) إلى الزّوايا التي أنجبت الشيخ بوعمامة و بومعزة و المقراني و غيرهم . (2)

و بإحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م إتّخذ الشعب الجزائري الزّوايا كأماكن تقيهم شرّ الجهل للّغة العربية و أمور الدّين الإسلامي و تشجّع الجهاد و العمليّات الفدائيّة و ترتيب الخطط الحربيّة ضدّ المستعمر و تأويهم بالإضافة إلى إيواء عابري السبيل والمحتاجين و قامت الزّوايا بدور المجلس القضائي أو محكمة العدل إذ كان الأهالي يفضّلون تسوية نزاعاتهم بين يدي شيخ الزاوية على تدخّل السّلطات الإستعمارية في شؤونهم.

لقد وجد التّصوّف الأرضيّة جاهزة في الجزائر عامّة و تلمسان خاصّة " فإستقرّ و تطوّر و بعد أن كانت تلمسان بلاد علم و ثقافة و أدب و حضارة مدنيّة، زادها التصّوف قيمة و بهاءاً ، و بإنتشاره ، إنتشرت الطّرق الصوفية و الزّوايا الّتي تجتمع في نقطة واحدة رغم إختلاف مناهجها و طقوسها الّتي إتخذت أشكالا مختلفة حسب التلونات الثقافية المحلّية، و الحقيقة واحدة تتحدّى الحدود الثّقافية " (3)

---

(1) " هو الإمام العارف بالله السيد الشريف الحسني الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري المتوفي في دمشق الشام سنة 1300 رحمه الله تعالى ، له كرامات كثيرة، و كان من أكبر العارفين بالله تعالى مع الأخلاق المحمدية و الكمالات الدينية و الدنيوية و الشهرة الّتي ملات الخافقين (منتهى الأرض و السماء شرقا و غربا) (أنظر جامع كرامات الأولياء ج 2 " لـ يوسف النبهاني ، ص 201 "

(2) عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ص 391 . بتصرف

(3) تصريح الطبيب الأستاذ " حكمت صاري علي "

الـفـصل الأول :

الطريقة و الزاوية المامشاوية

-1- المبحث الأول:

1.1: الطّريق و الطّريقة

2.1 : الطّرق الصّوفيّة الّتي تكون منبع الزاوية المامشاوية :

أ- الطّريقة الشّاذلية و أسسها

ب- الطّريقة الدّرقاوية

ج- الطّريقة اليلّسيّة

د- الطّريقة القادريّة

3.1: تعريف الزّاوية :

أ- مواقع الزّاوية المامشاويّة

ب- هيكلتها

ج- شعائرها :

- الشيخ المربي :
  - معنى الشّيخ المربي
  - ضرورة إتخاذ شيخ مرب
  - شروط المشيخة
- أخذ العهد (القبضة)
- الورد أو الوسيلة
- مفهوم مصطلح مريد
- آدابه
- ضبط مصطلح الذّكر
- دور الذّكر عند العامّي و الفقير

1.1 الـطّـريـــق و الـطّريـقـة:

أ- **الطّريق لغة :** " الطريق : السبيل ، تذكر و تؤنث ، تقول : الطريق الأعظم و الطريق العظمى ، و كذلك السبيل و الجمع أطرقة و طرق ، قال الأعشى :

فلمـا حزمـت بـه قـربتي ،

تيممـت أطـرقة أو خليفـا ... " (1)

ب- **الطريق إصطـلاحاً** : هو السبيل أو المذهب الذّي يتبعه المريد من أجل الوصول إلى الغاية من سلوكات و أفعال و حالات ... إلخ ليصل إلى المعرفة. (2)

ج- **الطـريقة لغـة** : " الطريقة : السيرة ، و طريقة الرجل : مذهبه يقال : ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة ، و فلان حسن الطريقة و الطريقة الحال. يقال هو على طريقة حسنة أو طريقة سيئة " (3).

د- **الطـريقة إصطـلاحا :**

و الطّريـقة عنـد الصّوفية ذات أصل صوفيّ ناتجة عنه، فالشيخ و أتباعه يعتبـرون صوفيّة و تصوّفهم لا يختلف عمّن سبقهم منذ قرون خلت و أنّ للطريقة سند يتّصل بشيوخ التّصوّف عبر أكثر حلقاته الأولى لأنّها تشتمل على كثير من عناصر التّصوف، و هذا ما جعلها تكتسي بوصف الصّوفية . فعند الإطلاق يقال " طريقة صوفيّة " و الجمع " طرق صوفيّة " أو " الطّرق الصّوفيّة " و لكنّ الصّفة تحذف عند التّعيين فيقال " الطّريقة القادريّة " بدل " الطّريقة الصوّفية القادريّة " .(4)

و لطالمـا إشتـدّ الصّـراع بين الإصلاحيّين و الطرقيّين كما أطلـق عليهم في الجزائر ، و إتّسعت الهوّة بسبب كثرة الخلافـات بين الطّائفتين، و وصف المتصوّفة بالبدعيّين و مروّجي الأوهام و الضّلالات و الخرافات (5)

---

(1) إبن منظور ، " لسان العرب " ، دار صادر بيروت ، " ج10 " ، ص 220.

(2) أنور فؤاد أبي حزام ، " معجم المصطلحات الصوفية " ، ص 113

(3) إبن منظور ، لسان العرب ، المجلد التاسع ، دار بيروت للطباعة و النشر و دار صادق للطباعة و للنشر ، بيروت 1968 ، ص 221.

(4) و (5) عبد الحكيم مرتاض ، رسالة ماجستير " الطرق الصوفية في الجزائر "

و ذكر الجنيد في تعريفه للطّريق : " إنّ طريقنا هذه مقيّدة بالقرآن و السّنّة " (1) و قال أيضاً " الطّريق مسدود على الخلق إلاّ على من إقتفى آثار الرّسول (ص)" (2) يعني بإتباع سنّة الرّسول (ص) من أحوال و أقوال و أفعال. و ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي الخطوات الّتي يجب إتّباعها في الطّريق إلى الله فقال " الطّريق إلى الله تعالى يكون بأربعة أشياء من جاوزهنّ فهو من الصدّيقين، و من جاوز منهنّ ثلاثاً فهو من أولياء الله المقربّين ، و من جاوز منهنّ إثنين فهو من الشهداء الموقنين، و من جاوز منهنّ واحدة فهو من عباد الله الصالحين" (3)

و أوّلها الذّكر و بساطة العمل الصالح و ثمرته النور ، و الثّاني التفكير و بساطة العبرة و ثمرته العلم، و الثّالث الإفتقار إلى الله و بساطة الشّكر و ثمرته المزيد، و الرابع الحبّ و بساطة بغض الدّنيا و أهلها و ثمرته الوصل بالمحبوب.و ذكر في مقام آخر: طريق التّصوّف تدريب النّفس على العبودية و ردّها إلى أحكام الرّبوبية (4).

و ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في نفس السّياق بأنّ سلوك الطريق تبدأ بمجاهدة النّفس بمحو صفاتها المذمومة و قطع العلائق عماّ سوى الله و الإقبال على الله بهمّة، فيتنوّر القلب و يصبح مسكناً للرحمة و ينشرح الصّدر فيكشف الأسرار الرّبانية و يحظى بالمشاهدة و هي غاية الصّوفية .

يجب على السالك أن يتجنّب الرّخص و أن يختار طريق العزم و أن يجاهد نفسه كما قال الشيخ الإمام البوصيري :

وخالف النّفس و الشّيطان و إعصهملّو إن نصحاك النّصح فإنّهم (5)

---

(1) محمود أبو الفيض المنوفي ، " معالم الطريق إلى الله " ، ص 227.

(2) محمود أبو الفيض المنوفي ، " المرجع نفسه " ، ص 264.

(3) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 18.

(4) محمود أبو الفيض المنوفي المرجع السابق ، ص 255-256.

(5) الشيخ البوصيري قصيدة البردة – الميمية – .

إرادة السّلوك و مريـــده يسمّى بالمريد ، فإن بايع شيخاً من الواصلين إلى الله على السّلوك و سلك طريق الله سمّي سالكاً، ثم المسلك و هو الشيخ، و الذّكر و الفكر، و هما دعامتان مهمّتان في الطّريق .

أمّا الإسلام ، يعني عبادة الله خوفاً من النّار و طمعاً في الجنّة و صاحب هذا المقام يظنّ أنّه يعبد ربّه بجهده و إمكانيّته. أمّا الإيمان فتارة يظهر لصاحبه أنّه هو الّذي يقوم بالعبادة و يرى أحياناً أنّ الحركات بإذن الله. و الإحسان يرى صاحبه أن العبادة كرم من الله، و أن الحركة و السّكون بإذنه تعالى. (1) و في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلّى الله عليه و سلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشّعر لا يرى عليه أثر السفر و لا يعرف منا أحد حتى جلس إلى النبي صلّى الله عليه و سلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ... فقال فأخبرني عن الإحسان – قال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..." (2).

و قال أبو حمزة البغدادي أنه من علم طريق الحقّ سهّل عليه سلوكه (3) ، و يرى الشّيخ المنوفي " الطّريق السّير إلى الله ، أما التّصوف فهو العلم الخاصّ بمعرفة الله و قواعد الطّريق السّلوك إليه ، فلا يوجد خلاف جوهري بين الطّريق و التّصوّف إلاّ في تخصيص المعنى أي ينصبّ عليه الإسم . و إن إسم التّصوّف أعمّ من إسم الطّريق . فإسم الطّريق منصبّ على الوسيلة و إسم التصوف منصب على العلم الّذي يدلّ على الغاية المطلوبة في الطّريق " .(4)

و في أصول الطريق أو أساسه ، يرى المنوفي أنه قوم بعد التفقه في الكتاب و السنة بقدر الحاجة ، و يتكون من أربع دعائم :

---

(1) محمود أبو الفيض المنوفي، المرجع السابق ، ص 125-126 – بتصرّف-

(2) // // // // // // // // ص 123

(3) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 18

(4) محمود أبو الفيض المنوفي، المرجع السابق ، ص 255-256 .

إرادة السّلوك و مريده يسمّى بالمريد ، فإن بايع شيخاً من الواصلين إلى الله على السّلوك و سلك طريق الله سمّي سالكا ، ثم المسلك و هو الشيخ ، و الذّكر و الفكر و هما دعامتان مهمّتان في الطّريق طبقاً لقوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" .(1)

معنى قوله تعالى : "قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ " أنها دلالة على أنَ الذكر دائم في كلَ حال، و أماَ " يَتفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ" فهي إضافة الفكر على الذّكر، فالذّكر بالفكر و القلب و الرّوح جميعاً مع النظر فيما صنع الله من خلق السّموات و الأرض و ما في ذلك من دقيق الحكمة و عظيم القدرة."

1-2 / الطرق الصوفية التي تكون منبع الزاوية المامشاوية :

أ/ الطريقة الشاذلية و أسسها :

يعدّ الشّيخ الشّاذلي أحد أعلام التصوّف السّنّي البارزين في كلّ العصور و هو مؤسّس الطّريقة المعروفة شرقاً و غرباً بالطّريقة الشّاذليّة الّتي تعدّ من أوائل الطّرق الّتي أدخلت التّصوف إلى المغرب و كان مركزها مدينة بوبريت في مراكش (2) . و هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن الجبّار من الأشراف الأدارسة ولد بقرية غمارة شمال المغرب الأقصى سنة 593 ه /1172 م .

حفظ القرآن في سنّ مبكّرة ثمّ إنكبّ على النّهل من العلوم الدّينيّة على يد فطاحل العلماء في عصره إنتقل إلى العراق و أخذ عن أبي الفتح الواسطي مبادئ التّصوّف و الدّعوة إلى الله (3)، ثمّ عاد إلى المغرب حيث إلتقى بالشيخ عبد السلام بن مشيش و إتخذه شيخاً له في الطريق و كان له أثر كبير عليه ، و قال له مرّة :

---

(1) سورة آل عمران الآية 190-191

(2) د. منال عبد المنعم المرجع السابق ص 126.

(3) عبد المنعم خفاجي " الأدب في التراث الصوفي" ، ص 150 بتصرف.

" حدّد في قلبك الإيمان تجد الله في كلّ شيء و عند كلّ شيء و محيطاً بكلّ شيء وقع كلّ شيء و قريب من كلّ شيء " (1).

بعد مدة إرتحل الشّاذلي بأمر شيخه بعد وفاته إلى قرية شاذلة التونسية حيث أسّس بها رباطاً و إنكبّ عليه طلاّب العلم و المريدون من بينهم أبو العبّاس المرسي (2) الّذي أصبح من مقرّبيه و حامل سرّه و إنتشر صيته، و أمام هذه الشهرة والإقبال المتزايد عليه أصبح معرّضاً للضّغوطات من طرف السّلطة الحاكمة بمؤامرة من قاضي البلاد الّذي كان يحسده. فإضطرّ إلى مغادرة تونس و إنتقل إلى مدينة الإسكندرّية بمصر ، حيث رافقه أبو العبّاس المرسي و بعض مريديه الأوفياء ، و لقـــي هناك إستقبالاً حاراً و كان يتردّد على القاهرة لإلقاء الدروس و المواعظ الّتي كان يحضرهـــا الطـــلاّب و المريدون و العلماء و شيوخ الإسلام و على الخصوص شيخ الإسلام " عزّ الدين بن عبـــد السلام " (3).

و الشيخ إبن دقيق العيد (4) و الشيـــخ عبد العظيم المنذري (5) و غيرهم. و كان قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة يلازمه و يفتخر بصحبته و كان ممّن رافقه في رحلته الأخيرة في أداء مناسك الحجّ و الّتي توفّي فيها في صحراء عيذاب (6) .

و بهذا المكان جمع الشيخ قبل وفاته أصحابه و أوصاهم و إنفرد بأبي العبّاس المرسي و أوصـــاه ثمّ قال لهم : " إذا أنا متّ فعليكم بأبي العبّاس المرسي فإنّه الخليفة من

---

(1) حسن الشرقاوي، " أصول التّصوّف الإسلامي "، ص 329.

(2) أحمد بن عمر الأنصاري أبو العبّاس المرسي: المالك قطب الزّمان المشار إليه بالولاية أصله من المغرب و نزل الإسكندرية . مات سنة 686 بالإسكندريّة "(أنظر جامع كرامات الأولياء –ج1- للنّبهاني، ، ص 465).

(3) عزّ الدّين بن عبد السّلام : العزّ عزّ الدّين بن عبد السّلام، العلاّمة الجليل و التقيّ الورع. صاحب كتاب " قواعد الأحكام في المصالح الأنام " يدرس فيه موضوع " الشريعة "

(4) إبن دقيق العيد: هو إمام المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد.

(5) عبد العظيم المنذري: الحافظ الكبير الورع شيخ الإسلام ولد سنة 581 هـــ أنفق حياته في طلب العلم و تعليمه، و شرح حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و تخريجه، و الذي بين صحيحه و حسنه و مرسله و ضعيفه. كان رحمه الله مجاب الدعوة يتبرّك به في زمانه و هو صاحب الأيادي البيضاء، و المآثر الغراء ، و الدرر البهية في التوضيح للغامض و تفهيم الخفيّ. توفيّ سنة 656 هـــ) أنظر " الترغيب و الترهيب " للإمام الحافظ المنذري ، ج 1،

(6) صحراء عيذاب من صحاري صعيد مصر.

بعدي و سيكون له بينكم مقام عظيم و هو باب من أبواب الله تعالى سبحانه " (1)

مات الشيخ أبو الحسن الشاذلي سنة 656 هـ في شهر شوّال و صادفت وفاته العام الّذي دمّر فيه التّتار بغداد و قضوا على الخلافة العبّاسية (2)، ترك طريقة صوفية إنتشرت من المغرب الأقصى و من تونس شرقاً و غرباً و جنوباً لها إسمها الخاصّ يقول الشّيخ المنوفي في نسبتها : " فطريقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، و الشيخ عبد السلام بن مشيش ينسب إلى الشيخ عبد الرحمان المدني ثمّ واحد عن واحد إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب كما ذكر " (3).

لقد أعاد الشيخ الشاذلي الطريق الصّوفيّ إلى منبعه الأصلي ألا و هو الكتاب و السنّة و قام بتغيير الأسس الّتي كان يعتمد عليها أهل التّصوّف من تخليّ و تحليّ بالمعنى القديم ، و بمعنى تخليّ القلب من كلّ الرذائل و الإنقطاع عن المجتمع و خرق العوائد بالإتيان بعوائد مضادّة لقهر النّفس و تحليّ النّفس بسلوك المقامات و الأحوال الشّاقة ممّا جعل النّاس يعتقدون أنّ التقشّف و لبس المرقعّات عنوان الدّين و الشّرف و صار التّصوّف مجرّد قشور و مظاهر و أصبح ميزان العمل ما يلبس المرء لا ما يعتقد و يعمل .

و كان هذا الإتجاه التقشفي يمثّل الخطر البليغ على التّصوّف الحقيقي " الذي هو قبل كلّ شيء إصلاح الباطن قبل إصلاح الظاهر " (4) ، و أعطى الشيخ الشاذلي مفهوم التخليّ و التحليّ بعداً نظرياً و أخلاقياً جديدين و نادى بالتّحرّر عن المواقف النّظريّة و الإعتماد على الجانب العلميّ مبيّناً تعارض التصوّف الحقيقي مع نظريّة خرق العوائد و مع الزّهد بمفهومه القديم.

---

(1) عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 150

(2) عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 150 (بينما ذكر المنوفي وفاته سنة 659، أنظر " معالم الطريق إلى الله" لمحمود أبو الفيض المنوفي، ص 446)

(3) المنوفي ، المرجع السابق ، ص 447

(4) د. منال عبد المنعم، المرجع السابق ، ص 72-73.

و أطلق كلمتـــه المشهورة : " ليس التّصوّف بالرّهبانيّة و ليـــس بأكل الشّعير و إنّما في النّوايا و الأعمال و خير العمل ما عمّ نفعه على توحيد المسلمين " (1)

فطريقة الشّاذلي في العبادة هي طريقـــة الشّكـــر في مقابل الزّهد و التّقشّف القديمة (2) و كان يحثّ أتباعه على الإحتـــراف و هـــو بنفسه مهتمّاً بزراعة أراضيه و إعتنى بإقتناء الخيول و ممارسة الفروسيّة و لبس الفاخر من الثّيـــاب و قـــد إستـــغـــرب أحد الفقراء حاله قائلاً : " يا سيّدي ما عبد الله بمثل هذا اللّباس الذي عليك " فردّ عليه الشيخ الشاذلي : " و لا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك لباسي يقول : أنا غنيّ فلا تعطوني، و لباسك يقول : أنا فقير إليكم فأعطوني ".

و على هذا المنوال سار أبو الحسن الشاذلي و كان ينصـــح مريديـــه دائـــماً بالإعتدال و القاعدة العامّة عنده " إعرف الله و كن كيف شئت " و ذلك ، كما قال بعضهم أنّ من عرف ربّه تعلّق قلبه به و إمتلأ بحبّه فلا يتأتّى منه إلاّ الفضيلة. و من الطرق المغاربية الّتي تعود إلى الطّريقة الشّاذلية الدّرقاوية و الّتي تنتمي إليها الزّاوية المامشاوية.

ب- الطـــّريقة الدّرقـــاوية:

أسّس الطّريقة الدّرقاوية "أبو حامد محمد العربي بن أحمد" المشهور بالدّرقاوي (3) ، و قد إشتهر هو و قومه بهذا اللّقب نسبة إلى جدّ له إسمه "يوسف بن كنون أبو درقة " و هو من الأشراف الأدارسة. و بعد أن إنتهى من أخذ العلوم من مسقط رأسه (المغرب الأقصى)، إرتحـــل الدّرقاوي إلى فاس و لازم هناك شيخ الشاذلية أبا الحسن علي بن عبد الرحمان الجمَل. و تتلمذ على يده و أصبح خليفته بعد وفاته ، فإشتهر أمره و كثر عدد أتباعه و سمّيت طريقته الخاصّة على إسمه ، و أطلق على مريديه و أتباعه إسم "درقاوه". (4)

(1) د. منال عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 73.

(2) لقد كان من أبرز دعاة الشاذلية فقد بث في مريديه حماسة شديدة إمتدت إلى المغرب الأوسط و كان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الغزو الفرنسي أُنظر "التصوف في مصر و المغرب " ل د. منال عبد المنعم ، ص 126.

(3)و (4) عبد الحكيم مرتاض ، رسالة الماجيستير " الطرق الصوفية في الجزائر و تطورها " ، تحت إشراف د. شايف عكاشة ، ص 84

أمّا الزاوية الأمّ للطريقة الدرقاوية فمركزها في بوبريح بالمغرب الأقصى. ثمّ عاد شيخ الزّاوية إلى " بني زروال" و كلّف مقدّميه بنشر الطّريقة في مختلف جهات المغرب الأقصى بواسطة تأسيس زوايا فرعية.

يعدّ عبد القادر بن الشريف قائد ثورة درقاوى الّتي حدثت في أواخر الحكم العثماني بالجـــزائر ، و هو من أولاد " بليل " بتيهرت من أوائل الجزائريّين الّذين إتّصلوا بالشّيخ الدّرقاوي و أخذوا عنـــه و نشروا طريقته في ربوع الوطن. و عاد إلى مسقط رأسه بعد أن عيّنه مقدّماً له ، و قام بفتح زاوية يعلم فيها أصول الطّريقة الدّرقاوية (1)

و إنتشرت الطّريقة الدّرقاوية في الجزائر إنتشاراً واسعاً في حياة مؤسّسها وخصوصاً بعد إنتصار درقاوى بقيادة إبن الشريف في معركـــة جـــرت فـــي صائفة عام 1219 هـــ/ الموافق لـــ 1804 م ضدّ باي وهران.

بعد وفاة الشّيخ الدّرقاوي رحمه الله سنة 1823 ذاع صيت أحد مريديه المسمّى بالعربي بن عطية الغماري أي أعطي لقباً لتمييزه عن إسم شيخه مولاي العربي الطويل . تمثّلت مهمّته في نشر الطّريقة الدّرقاوية بالجزائر و أصبح له بدوره مريدون من بينهم عدّة بن الموسوم بن غلام الله المتوفّ سنة 1283 هـــ الموافق لـــ 1866 م الّذي إشتهر بعلمه و حلمه فأذن له شيخه بتأسيس زاوية في تيهرت سمّاها بـــ : " الشّاذلية الدّرقاوية البوعبدليّة ".(2)

و أخذ بن عبد الله بن عبد القادر و هو مريد للشيخ عدّة بن الموسوم إذن تأسيس زاوية درقاوية بالغـــرب الجزائـــري و بالتّحديـــد في معسكر و فرعها في غليزان . و من تلامذة العربي الدرقاوي في المغرب الأقصى إشتهر محمد بن قدور الوكيلي الكركري "(ت .1283هـــ/ 1867 م) و كان صاحب زاوية بكركـــر بقلعـــيـــة المغربية و بالتحديد في الشمال الشرقي للمغرب الأقصى.

---

(1) و (2) عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق ، ص 84.

أخذ عنه المشيخة محمد بن أحمد العزّاوي الشّهير بالهبري ، الّذي إستقلّ بطريقته الهبرية، و حموّ بن حبيب البوزيدي (1) (ت. 1327 هـ /1909 م)، المشهور بمستغانم و الّذي إنتقل من الجزائر إلى المغرب لملازمة الشيخ الكركري لمدة ثلاثين سنة حتّى أذن له بالتربية و الإرشاد فعاد إلى بلده سنة 1282هـ/1865 م بعد تكوين طويل و بنى زاوية عرفت شأناً كبيراً و مركزاً مهماً بين الزّوايا الدّرقاوية الأخرى بالجزائر ، مقرّها بتجديت بالقرب من مسقط رأسه مستغانم.

و كان للشيخ الكركري تلاميذ كثر أسّسوا زوايا درقاوية في الغرب الجزائري في المدن و البوادي منها وهران و عشعاشة، و من تلامذته الشيخ الحاج محمد بن يلّس (ت.1346 هـ/1925م)، الّذي نشر الطريقة الدرقاوية و زادها نفوذاً في تلمسان و وهران و نواحيها . و بعد شهرته إقترحت عليه خلافة الشيخ حمو البوزيدي بعد وفاته ، لكنه رفض الأمر لأسباب شخصية .

لقد تفرعت الطّريقة الدّرقاوية إلى فروع عديدة و يرجع سبب ذلك إلى كثرة زواياها المنتشرة، فقد بلغ عدد فروعها في مدينة تلمسان وحدها أربعة: الهبرية و اليلّسية و العلاوية و الدّيلمية و هذا مع بداية الحرب العالميّة الثّانية (2).

لقد تميّز "درقاوه" عن سائر الطّرق الصوفية الأخرى بحمل العصا أو العكّاز كما يسميها البعض، وإتّخاذ السّبحة ذات الحبّات الكبيرة و جعلها في العنق و يطلقون عليها إسم " السّبحة الباكورية (بالدارجة، لأن الحبة منها تشبه في حجمها فاكهة التّين المبكّر في النّضج، و المسمىّ بالعامية ' الباكور) (3) و إتخاذ اللّحية أبداً أي عدم حلقها مدى الحياة و إرتداء الخرقة ، و هي منسوبة إلى أبي دربالة و هو الشّيخ عبد القادر الجيلاني (ض).إن "دربالة " بالدارجة هي الثوب الخلق المرقّع البالي و الإعتمام بعمامة أو طاقية خضراء ، و هي تشبه القلنسوّة إلا أنّها ترتدى في الزّاوية بالنّسبة

---

(1) شيخ الشيخ مصطفى العلاوي المستغانمي.

(2) عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق ، ص 173

(3)شرح الباحثة

لأهلها، وفي المناسبات الدّينيّة ، لكن بلون آخر كالأبيض و البنيّ بالنّسبة لعوامّ النّاس "و من خصائصها أيضاً السّير حفياً أو إنتعال نعال بسيطة" (1) لكن الآن لم يعد درقاوى المعاصرون حفاة بل ينتعلون الأحذية الحديثة أو " البلغة" و هي نعل تقليديّة مصنوعة من الجلد الصّلب الملوّن إمّا بالأبيض أو الأصفر، و هذ نلاحظه و ارداً في قول (أ.كور) في كتابه المعنون بـــ "درقاوى" : " و كان درقـــاوه يرتدون الأسمال و يعتمّون بعمامة خضراء، يعفون لحاهم أبداً ، و يحملون عكّازاً و سبحة ذات حبّات غليظة ... و لم يبق من هذا الزّيّ شيء في وقتنا الحاضر عدا حمل بعضهم السّبحة " (2).

و من الفروع الدّرقاوية من إنتشرت إنتشاراً واسعاً كالعلاويّة و المدنيّة منها من بقيت تحت قيود المحليّة كالهبريّة. (3)

" و الطريقة الدرقاوية شهدت نمطين ، نمط متمثّل في التجرد و خرق العادة و هذا غلب على أكبر تلامذة محمد البوزيدي المتوفي سنة 1229هـــ/1894 م و كذلك على مريدي الشيخ أحمد بن عجيبة، و النمط الثاني متمثل في معايشة العادة و هذا مثله محمد الحرّاق.(4)

أما في الغرب الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حوالي سنة 1895 ظهرت في تلمسان طريقة أسسها الشيخ الحاج محمد بن يلس تلميذ الشيخين الأخوين البوزيدي و الهبري.

---

(1) عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق ، ص 85

(2)و(3) عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق ، ص 173

(4) يرجع نسبه إلى الرسول (ص) كان شيخاً إماماً جليل القدر برع في علم الظاهر من تفسير القرآن إلى الحديث الشريف إلى الفقه و الفتوى كما ذاع صيته في الأدب و الشّعر الصّوفيّ حتى كاد ينفرد به في عصره. فجمع بذلك بين علم الظاهر و علم الباطن فاقتدى به الناس. و ما ميّز به هو تحرير الطّريقة الصّوفيّة و تسهيلها على من يريد الدّخول في حماها. طريقه مبنيّ على أسس أربعة هي الذّكر و المذاكرة و العلم و المحبّة و فضائله لا تعدّ و لا تحصى. و هو تلميذ القطب الكبير العربي الدّرقاوي و ورث عنه السّر الحقيقي و خلفه كثر عدد مريديه في المغرب و المشرق. دامت مشيخته ثلاثون سنة و دفن بزاويته المشهورة بثغر تطوان بالمغرب الأقصى (أنظر ترجمة الحرّاق من ديوانه الشعري ، ص 3).

(4) منال عبد المنعم، المرجع السابق ، ص 73)

ج- الطريقة اليلّسية :

هي الطّريقة المنسوبة إلى مؤسّسها الشّيخ العارف بالله الحاج محمّد بن يلّس و هي مبنيّة على أسس متينة و مراعية أشدّ مراعاة لأمور الشّريعة طبقاً للحديث النبوي الشريف " شَرِيعَتِي كَسفِينَةِ نُوحٍ فَمَنْ رَكِبَهَا فَقَدْ نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّى عَنْهَا فَقَدْ غَرِقَ ".(1)

كان الشيخ محمّد بن يلّس متمسّكاً بتعاليم الدّين قرآناً و سنّة ، لهذا نجده حارب البدع و الخرافات الّتي كانت شائعة في عهد الإستعمار الفرنسي في المجتمع التلمسانيّ بليونة و حكمة حيث يعود له الفضل في القضاء على بدعة كانت تفعلها النّساء التّلمسانيات أثناء الجنائز فكنّ ترتدن الأسوَد من الثّياب و يسدلن شعورهنّ الطّويلة على أكتافهنّ و يحملن على رؤوسهنّ أواني حديديّة، مغطّاة بالرّماد كدليل على حزنهنّ و يخرجن إلى الشّوارع يصحن و يضربن أنفسهنّ و يلطمن وجوههنّ حتّى تدمى، حافيات الأقدام ، يرافقن الموكب الجنائزي مع الرّجال و أصوات عويلهنّ تملأ الطّرقات .(2)

و كان الشيخ رحمه الله يقول للفقراء دليلاً لإصلاحه : " يا أبنائي سنرتكب حراماً صغيراً لمحاربة حرامٍ كبيرٍ " ، و يقصد بالحرام الصغير الوقوف مع مريديه مكوّنين جداراً بين النّساء و الرّجال لكي يمنع الإختلاط (3).

و لمّا كان في الشّام لم ينسى مريديه، فكان يبعث لهم وصايا يوصيهم فيها بالصّبر على الشّدائد الّذي هو من عزم الأمور، و يذكّرهم بذكر الله و الحفاظ على العهد و الورد و كتم أسرار الطّريق و عدم إفشائها للنّاس . و له قصيدة تنشد كثيرا في الزّوايا يعرف فيها بالطّريقة الدّرقاوية :

يَا مَنْ تُرِيدُ السَّدَوَا وَ طَرِيقَةَ الْخَلْوَهْ
أُدْخُلْ حِمَى دَرْقَاوَا هُمْ أَهْلُ التَّرْبِيَّهْ

---

(1) لم نجد له توثيقا.

(2) و (3) روى هذه الأحداث معظم الفقراء القدامى المامشاويّين عن الشيخ بن عودة بن مامشا.

سَنَدُهَا الْعَـــزَّاوِي وَ الْبُوزَيْدِي يَا رَاوِي
إِلَى طَهَ الْمُكَّـــاوِي أَحْمَـــدْ خَيْـــرَ الْأَنْبِيَاْ
أَقْـــوَالُهَا الشَّـــرِيعَةْ أَفْعَـــالُهَا الطَّـــرِيقَةْ
أَحْـــوَالُهَا الْحَقِيقَـــةْ مَـــدَدُهَا عِنَـــايَةْ (1)

و يعتقد أهل التّصوف أن كلّ الطّرق الصّوفيّة مرجعها إلى الطّريقة القادريّة الّتي أسّسها الشّيخ عبد القادر الجيلاني الّذي يحضى بإحترام عظيم من طرف كلّ الصّوفيّة على إختلاف مشاربهم و يعدّونه " سلطان الأولياء " لمكانته الرّفيعة بينهم فهو الّذي ألبس الخرقة للشّيخ أبي مدين شعيب.

د- الطّريقة القادريّة أو الجيلانيّة :

تنسب الطّريقة القادريّة إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني و هو محي الدّين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسين – ولد سنة 470 ه و توفّي سنة 561 ه. و لقّب بالجيلاني أو الكيلاني حسب النطق للمنطقة التي وُلد بها في العراق.

و كانت ولادته في الليلة الأولى من شهر رمضان و ظهرت كرماتان أثناءها ، أولهما أن والدته حملت به و هي يائسة من الولادة حيث كان عمرها يتجاوز الستين و ثانيهما أنه كان يرفض الرضاعة من ثدي والدته من الفجر إلى المغرب و هذا في شهره الأول برمضان المبارك أي أنه صام و هو رضيع ! (2)

و قال عن نفسه بعدها :

بِدَايَةُ أَمْرِي ذِكْرُهُ مَلأَ الْفَضَا وَ صَوْمِي فِي مَهْدِي بِهِ كَانَ شُهْرَتِي (3)

و يعتقد أنّه من سلالة شريفة إلى جدّه رسول اللّه صلّى الله عليه و سلّم من أبيه و أمه و الشّيخ عبد القادر الجيلاني يمتاز بكفاءة علمية و أدبية كما أنه برع في علوم الحياة فاق الإختصاصيين في الميدان فذهلوا لعلومه و تجاوز كل ذلك و أخذ يعبّر بروحه غير المرئي(4) .

(1) " ديوان الشّيخ محمّد بن يلّس "، جمعه مصطفى بن يلس ، ص 9.
(2) و (3) عن عبد القادر القادري " تفريج الخاطر " ص 50- 51 – بتصرف.
(4) عبد القادر القادري ، المرجع نفسه ، ص 12- 13.

و كما أنّ الصّوفيّة يفضّلون الخلوة و الإعتزال فإنّ الجيلاني إبتعد عن مجتمعه و عائلته الكبيرة لمدّة حوالي خمساً و عشرين سنة قضاها في صحراء العراق الواسعة حيث إنقطع عن الخلائق و إتّصل بالحقّ ، فلم تكن له علاقة مع أيّ إنسيّ. و بعد إنقضاء هذه المدة الطويلة من عمره عاد إلى بغداد لكي يقوم بنشر العلوم الّتيَ تعلّمها (1).

و من أشعاره رضي الله عنه :

وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ الْمَجِيدِ بِخِضْرَتِي ** فَلاَحَتْ لِيَ الْأَنْوَارُ وَ الْحَقُّ أَعْطَانِي
نَظَرْتُ لِعَرْشِ اللهِ قَبْلَ تَخَلُّقِي ** فَلاَحَتْ لِيَ الْأَمْلاَكُ وَ اللهُ سَمَّانِي
وَ تَوَّجَنِي تَاجَ الْوِصَالِ بِنَظْرَةٍ ** وَ مِنْ خَلْقِهِ الشَّرِيفِ وَ الْقُرْبُ أَكْسَانِي(2)

و يرجع سبب سرعة إنتشار القادرية في كلّ الأقطار الإسلامية إلى أنّها ذات أسس متينة، يقول د. عمّار هلاّل في هذا السّياق : " و حتّى وقت قريب منّا، كانت تحتل في الحجاز مكانة مرموقة بين الطّرق الصّوفية الّتي كانت تعمل هناك لا من حيث عدد أتباعها و لكن أيضاً من حيث مكانة و قيمة صاحبها الأدبيّة و الثقافيّة ..." (3)

و ذكر الدّ.عمار هلاّل أن فضل الرّبط بين العالم الإسلامي و إفريقيا السّوداء يرجع إلى الطّريقة القادريّة و أنّ بعض الطّرق الصّوفيّة الأخرى إنتقل تأثيرها إلى القارّة السّمراء عموماً و إلى المغرب العربي خصوصاً كالطّريقة الرّفاعية أي حمداوة حيث تنتشر زوايا متعدّدة راجعة إلى كلّ الطّرق الصّوفيّة المعروفة (4).

---

(1) عبد القادر القادري، المرجع السابق ، ص 50-51 بتصرّف .
(2) عمّار هلاّل، " الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء " ، ص 116.
(3) عمّار هلاّل، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
(4) عمّار هلاّل، المرجع نفسه، ص 108

1-3 وظيفـــة الـــزاوية الصـــوفية :

كانت الزّاوية مأوى و مطعما لعابري السّبيل قبل ظهور الطّرق الصّوفيّة في المغرب العربي و منها الرّباطات الّتي كانت توجد على سواحل المغرب الإسلامي تأوي من كان يفضّل العبادة و العزلة و يتطوّع للدّفاع عن شواطىء البلاد ضدّ غزو الإفرنجة و الإسبان و يصفها بعضهم بأنها " .. على الجملة مدرسة دينيّة و دار مجّانية للضّيافة و هي بهذين الوضعين تشبه كثير من الدّور في العصور الوسطى في العالم الإسلامي الغربي على الأقل .." (1) .و يؤكد هذا الرأي العلامة التّلمساني إبن مرزوق :" من الواضح أنّ الزاوية عندنا في المغرب تأوي المتجوّلين وتطعم المسافرين" (2).

أمّا فيما يتعلّق بالزاوية في زمان الطّرق الصّوفية، كانت منشأ يخدم غرضاً حربياً حيث كانت تحمي المجاهدين أثناء الثّورة و ملقاً لهم يضعون خططاً فيها لمحاربة الإستعمار و هذا ما يتجلّى في قول الدّكتورة منال عبد المنعم : " ... و الحقيقة الّتي لايمكن إنكارها أنّ بعض الزوايا لعبت دوراً إيجابياً في تنظيم المقاومة إتجاه القوى الأجنبيّة ..." (3)

فكانت الزّاوية بمثابة سلطة يمارس فيها النّشاط السّياسي و في نفس الوقت مدرسة لتعلّم أصول الدّين الإسلامي من حفظ للقرآن الكريم و الأحـــاديث النّبويـــة لقـــول بعضـــهم : " و تعتمد الزّاوية الطّرقية في منهجها التّعليميّ – شأنها شأن باقي الزّوايا – على تعليم القرآن الكريم " (4) و أقـــرّ بهذا أحمد توفيق المدني في قوله : " فالزوايا الكبرى أمثال معهد الهامل و معهد اليلوّلي و معهد سيدي منصور هي التي كونت دائماً في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلمـــاء و الفقهـــاء و حفظة القرآن الشريف.." (5)

---

(1) بن لباد الغالي ، رسالة الماجستير " زاوية سيدي بن عمر و إشعاعاتها الإعتقاديّة"، بإشراف الد.شايف عكاشة ص 82

(2) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 148-149.

(3) د. منال عبد المنعم، المرجع السابق ، ص 128

(4) د. عبد الحقّ زريوح، رسالة الدّكتوراه " الشّعر الملحون الصوفي في شمال الغرب الجزائري " (1871-1954)، تحت إشراف د. شايف عكاشة ،2000-2001،ص14.

(5) أحمد توفيق المدني، " كتاب الجزائر"، ص 375.

إذاً أدّت الزّاوية دور الكتّاب و المساجد كونها تشترك في أداء وظائـــف دينية كالقيام بالصلاة و الإجتماع لتدارس القرآن الكريم . و تعتبر الزّاوية الصّوفية المكان المقدسَ الدّنيويَ الذي يربط المريدين بربّهم حيث يتلقّون أصول التّصوف على يد الشيخ المربيّ أو المسلك و هو بمثابة واسطة بين العالم الدنيوي و السّمَاوي .

أ- **مواقع الزّاوية المامشاوية :**

أوّل موقع للزّاوية المامشاويّة كان بقرب درب "سِيدِي الْيَدوُّنْ" بزاوية قديمة، ثمّ إجتمع الفقراء و كان عددهم ثمانية عشر مريداً و أسّسوا جمعيّة رسميّة و إشتروا منزلاً يقع في درب مولاي الطّيب الذي يجمع بين ساحة مقهى "لاغا" بقرب السّوق المغطّى للخضر و الفواكه و شارع إبن خلدون. و كان هذا المنزل يجمع بين ورشة الشيخ إبن عودة بن مامشا و زاويته طبقاً لقول شيخه قدور بن عاشور : " زاويتك حانوتك و حانوتك زاويتك " و لازالت هذه الزّاوية موجودة ليومنا هذا لكنّها تغيّرت في شكلها بعد أن إنتقل الشّيخ إلى الزّاوية الثّالثة و ذلك أنّ الورشة التّي كان يعمل بها الشيخ رحمه الله حرفة صناعة المحاريث التّقليديّة و القباب قد شيّد فوقها طابق يتمثّل في ورشة لصناعة طقوم الأسنان يعمل بها خليفة الشيخ و حفيده سيد أحمد المامشاوي.

و تقع اليوم الزّاوية المامشاوية بدرب جامع أولاد الإمام و لها ثلاثة دروب تؤدّي إليها أوّلها يقع بقرب مقرّ وكالة الكهرباء و مدرسة الشّيخ المقرّي ، و الآخران يقعان في النّاحية الجنوبيّة التّي تؤدّي إلى شارع فلاوسن. وهي عبارة عن منزل تقليدي " **Mauresque** " (ذي طابق أرضيّ يحتوي على أربعة غرف و طابق أوّل يتوسّطه المنزل صحن واسع فرش بالزّرابي بمناسبة الإحتفالات الدّينيّة و تقام به اللّيالي بالإضافة إلى منزل صغير مجاور يجمع فيه الأطعمة الّتي يأتي الفقراء و الزوّار بها.

ب- هيكلة الطريقة المامشاوية و تنظيمها :

تسير الطّريقة المامشاوّية (1) وفق هيكلة بسيطة تعكس بساطة الشّيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله ، بينمـــا نجد طرقاً صوفيّة في المغرب الأقصى و مصر معقدّة في تنظيمها حيث يتولّى تسييرها شيخ المشايـــخ علـــى رأس المجلـــس الصوفي الأعلى و مشايخ الطّرق و وكـــلاء و نـــوّاب و خلفـــاء و نقباء و مريدون (2). فالطّريقة المامشاوية يشرف عليها شيخ الطّريقة و يليه مقدّمان الأوّل يقوم بتبليغ الفقراء بالقرارات الّتي تمسّ الجميع و يتولّى التدريس بقراءة نصيب أو جزء من الكتب المعتمدة في الطريق التعليمي كل يوم . ويأمر بجمع المساهمات الماليّة لمساعدة فقير يكون في حاجة أو لإقتناء غرض ما للزّاوية خصوصاً مع إقتراب موسم الإحتفال بالمولد النبوي الشريف أو ليلة القدر .

أمّا المقدم الثاني فإنّه يسهر على الذّكر الجماعيّ بتوزيع الأعداد على الحاضرين من المريديـــن حـــتّى يكون الذّكر مضبوطاً بعدد معيّن كذكر أسماء الله الحسنى مثل " اللّطيف" و الإسم الأعظم ، أو الصّلاة الكاملة المسمّاة بـــ : " التّفريجية " لأنّ من خصائصها تفريج الكرب.

و هناك خدّام متطوّعون مكلّفون بتوزيع المصاحف لقراءة القرآن الكريم و الكتيّبات الخاصة بالأوراد و الأحزاب و الدّعوات و آخرون مكلّفون بتحضير الشّاي و توزيعه على الحاضرين مرفوقاً بالحلويّات و التّمور ثمّ غسل الأواني و ترتيبها.

و في مناسبة الإحتفالات الكبرى يتطوّع فقراء آخرون للقيام بالخدمات الإضافية كإستقبال صحون الطّعام (الكسكس) و توزيعها على الفقراء و الزّوار الجالسين بعدد خمسة أو ستّة نفر حول صحن واحد و توزيع الحليب و اللّبن أو المشروبات الأخرى كالشّاي و القهوة.

(1)ذكر في كتاب " باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان في عهد بني زيان " الحاج محمد رمضان شاوش لفظه " الطريقة المامشاوية لا الزاوية المامشاوية ، و كذالك يرى أصحابها و أهلها بأنها طريقة لأن فروعها موجودة في ندرومة و الجزائر العاصمة و معسكر و في الخارج "

(2) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 128.

و حسب هذا النّظام تسير الزّوايا الأخرى المتّبعة للطّريقة المامشاوية الموجودة بندرومة و معسكر و الجزائر العاصمة .(1)

لقد كان الشيخ بن عودة بن مامشا يفضّل تحديد عدد الفقراء و عدم إنتشار الزاوية فكان يقول: " السّرّ في المدد لا في العدد "، أي أن مقياس عظمة الزّاوية ليس إنتشارها شرقاً و غرباً و الإكثار من عدد مريديها، و إنّما يكمن هذا السرّ في المدد الرّوحيّ و كان يذكر مثل الشّيخ إبن مشيش الّذي إكتفى بتلميذ واحد و هو أبو الحسن الشاذلي الّذي كان له الفضل في زرع معظم الطرق في المغرب و المشرق العربيّين. لهذا جاء في الإجازة المباركة : " تِلْمِيذٌ مِنْ حَضْرَتِكَ يَا بَنْ عُوْدَة خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةٍ تَلاَمِيذَ مِنَ الْحَضَرَاتِ الْأُخْرَى " ، و أيضاً : " مَنْ قَصَدَكَ يَا بَنْ عُوْدَة لِيَنَالَ الدُّنْيَا نَالَهَا بِمَاهِيَا وَ جَاهِهَا ... وَ مَنْ قَصَدَكَ لِنَيْلِ الْآخِرَةِ نَالَهَا بِقُصُورِهَا وَ حُورِهَا ... وَ مَنْ كَانَ عَاقِلاً فَلْيَسْتَخِرِ اللهَ وَ يَرَى ". (2)

ج- شعائرها :

تقوم معظم الطّرق الصوّفية بالشّعائر الدّينيّة إلاّ أنّ كيفيّة إقامتها تختلف من طريقة إلى أخرى. و من بين الشعائر التّي تتّبعها الزّاوية المامشاويّة أخذ العهد عن الشّيخ المربيّ :

الشّيخ المربّي :

أ/ معنى كلمة شيخ لغوياً:

جاء في لسان العرب أنّ الشّيخ هو الّذي إستبانت فيه السّنّ، و ظهر عليه الشّيب، و قيل:هو من الخمسين إلخ و قيل : هو من إحدى و خمسين إلى آخر عمره ، و قيل هو من الخمسين إلى الثّمانين و الجمع أشياخ و شيخان و شيوخ ..." (3)

نلاحظ أنّ الشّيخ في هذا المعنى هو من كسى الشّيب شعره و تقدّم في السّنّ.

---

(1) ملاحظات الباحثة أثناء الدّراسة الميدانيةَ ،

(2) النص موجود في ملف خاص بالزاوية المامشاوية مخطوط ، أعطيت لكل فقير نسخة منه.

(3) لسان العرب لإبن منظور ، 2373/4، 2374

ب/ معنى كلمة شيخ إصطلاحاً :

نجد كلمة "شيخ" عند القوم تدل على معنى أوسع لا يخصّ السّنّ فقط بل يقصد بها ذلك الإنسان الحكيم الحليم الجدير بالإحترام و الوقار، العالم بأحكام الشّرع، الواصل إلى معرفة ربّه و نفسه هيّنة ميتة من كثرة مجاهدته لها و مخالفته لهواها، يعيش بالحقّ و ينطق به و يسير فيه، و هذا ما سنلاحظه من خلال المفاهيم الّتي أعطاها الصّوفيّة.

يقول الكاشي في مفهوم المصطلح : " هو الإنسان الكامل في علوم الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، البالغ إلى حدّ التّكميل فيها لعلمه بآفات النّفوس و أمراضها و أدوائها، و معرفته بدوائها و قدرته على شفائها والقيام بهداها إن إستعدّت و وفّقت لإهتدائها " (1)

و أعطى الشّيخ أبو مدين شعيب معناً شاملاً موضّحاً الوظائف الّتي يقوم بها الشّيخ الصّوفيَ : " الشّيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم و سرّك بالإحترام و التّعظيم . و الشيخ من هداك بأخلاقه و هذّبك و أيّدك بإطراقه و أنار باطنك بإشراقه " (2).

و من الباحثين المعاصرين في التّصوف من تعرّضوا لحقيقة الشّيخ المربي في دراساتهم مثل الدّكتورة منال عبد المنعم الّتي قدّمت مفهوماً لهذا المصطلح : "و الشّيخ ليس إلاها يعبد كما يظنّ السّطحيّون و إنّما هو الوسيلة الصّادقة للتّقرّب إلى الله فهو المربّي الّذي مرّ بالتّجربة و خالف النّفس و إنتصر عليها للتّقرّب إلى الله و هو الملقّن الّذي يبصّر المريد و يلقّنه سبيل الرّشاد و ينجّيه من العوائق و العثرات حتّ يستقيم حاله يتعرّف على الطّريق الحقّ للإتجاه إلى الله ... و شرط العالم (توقيفاً أو إماماً) العلم الضّروريَ بالشريعة و الحقيقة و العمل بهما معاً".(3)

---

(1) أنور فؤاد أبي خزام، المرجع السابق ، ص 106

(2) ديوان أبي مدين شعيب " المتن الربانية الوهبية في المآثر الغوثية الشعيبية " جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 55.

(3) منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 190.

يظهر الفرق جليّا بين الشّيخ المربّي في معرفته للنّفس و الطّبيب النّفساني الّذي يعتمد على تصريحات المريض و سلوكاته يرى الشّيخ المربّي نفس المريد ككل من الظّاهر و الباطن ، إذاً ليس للنّفس مجال لخداعه بالسلوكات و التصريحات فهو يغوص فيها و يعرف خباياها و أمراضها ، فالشّيخ المربّي لا يهتمّ بِ **"عقدة أوديب"** (Oedipus Complex) و الحبّ المفرط للأم و كراهيّة الأب و إعتباره منافس له. هذه الأمور يعالج المريد منها بإزالة العارض النّفساني بمخالطة المريدين و الحضور معهم و الإستماع إلى الدروس الدينية و ممارسة الأذكار الّتي تصقل أدرار القلب و إنّما ما يهتمّ به أساسا الشّيخ هي الأمراض النّفسية كالعجب و الكبر و الخبث و الشّحّ و الطّمع و الإفراط في الأشياء و التّسلط على الغير و حبّ الجاه و السّعي وراء الدنيا و اللّجوء إلى الحيلة و المكر و الدّهاء للحصول على الأشياء الدّنيويّة أي الأمراض التي لا يمكن للطّبيب النّفساني تشخيصها.

فالطبيب النفساني يستطيع معالجة مختلف العقد كعقدة الإنهزام و التّفوق و الدّونية (مركب النقص) و مركّب الكمال و الوسواس و مركّب أوديب و **"مركّب ديان"** و التّضايق من الأماكن المغلقة (Clostrophobia) و التضيّق من الأماكن العامّة و الخارجيّة (Airophobia) و الغيرة بين الإخوة حتى أن الغيور يريد إثارة الإهتمام بخلق مشاكل شتّى لكنّه لا يصل إلى خبرة الشّيخ المربي الّذي يكشف خبايا النّفوس و دسائسها.

ضرورة إتخاذ شيخ مرب :

من أجل إكتساب الخلق القويم و الصفات الرفيعة و الإيمان القويّ و معرفة الله سبحانه، على المرء أن يصحبَ أهل الإيمان التقاة العارفين بالله تعالى ذوي إستقامة و فضائل .

فالصّحابة رضوان الله عليهم لم ينالوا ما وصلوا إليه من علم و درجة مرموقة إلاّ بمصاحبتهـــم لرسول الله صلّى الله عليه و سلم فكـــان أحسن الجلساء و الرفقاء. فورثوا عنه العلم و الخلق و الإيمان و التّقوى.

و بعد الرسول صلّى الله عليه و سلم صحب المسلمون الصّحابة و أخذوا عنهم ما هو صلاح لدينهم و دنياهم و بعدهم التّابعين فتابعي التّابعين و هكذا إلى زماننا هذا، يقومون بإرشاد المسلمين و معالجة نفوسهم و تربيتها.

و الدّليل على أهمّيّة الصّحبة وارد في القرآن الكريم كقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " (1) و الصّادقون هم الصّفوة من المؤمنين الّذين عناهم الله بقوله : " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً " (2)

و يرتكز أهل التّصوف لتبرير ضرورة إتخاذ الشّيخ المربّي على قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام في سورة الكهف من الآية 65 إلى الآية 86 تبيّن لنا ضرورة إتّخاذ شيخ مربّ بالنّسبة لطالب المعرفة حتّى و إن كان نبيّاً . و لهذه القصة شأن كبير عند أهل التّصوّف و حجّة بالغة يتّخذونها لتبرير أتباعهم للمشايخ. و يرون أنّ النّبيّ موسى عليه السّلام سئل ذات يوم عن أعلم النّاس في زمانه فأجاب أنّه هو بذاته بدليل أ نّه نبيّ زمانه.

فأنّبه الله تعالى و وضّح له أنّ هناك من هو أعلم منه لقوله تعالى:"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (3).

و بيّن سبحانه و تعالى الآداب الّتي تترتّب على الصّاحب و هو النّبيّ موسى عليه السّلام و المصحوب و هو الخضر (4) عليه السّلام.

---

(1) سورة التوبة ، الآية 119

(2)سورة الأحزاب ، الآية 23

(3) سورة يوسف، الآية 76

(4) الخضر عليه السلام " في تفسير الجلالين: (آتيناه رحمة من عندنا) نبوّة في قول، و ولاية في آخر و عليه أكثر العلماء و علّق على هذا الشيخ الصّاوي: أي و قد صحّحه جماعة ، و الجمهور على أنه حيّ إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواصّ الأولياء و يأخذون عنه. قال العارف السيد البكري ورد السّحر في توسّلاتهم : بنقيبهم في كلّ عصر الخضر أبي العبّاس من أحيا بماء وصاله :

حيّ و حقّك و لم يقل بوفاته إلاّ الذيّ لم يلق نور جماله

فعليه منّي كلّما هبّ الصّبا أزكى سلام طاب في إرساله

و قد اجتمع برسول الله صلّى الله عليه و سلم ، و أخذ عنه ، فهو صحابيّ و اسمه بليا : أي أحمد بن ملكان و كنيته أبو العباس . و قال بعض العرفين : من عرف اسمه و اسم أبيه و كنيته و لقبه مات على الإسلام، و هو من نسل نوح، و كان أبوه من الملوك و لقّب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته ..."" (عن الترغيب و الترهيب –ج 1 – الحافظ المنذري، هامش صفحة 604)

و جاء في السّنّة الشّريفة عن الصّحبة، عن إبن عبّاس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله أيّ جلسائنا خير ؟ : " مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ ، وَ زَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَ ذَكَّرَكُمْ فِي الآخِرَةِ عَمَلُهُ " (1)

و عن عمر بـــن الخطّاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَ لَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَ الشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ فَخَبِّرْنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَ لَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، وَ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَ لَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ (2)، و قـــرأ هذه الآية:" أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ"(3)

فنستنتج من هذا أنّ للصّحبة الحسنة بالغ الأثر في إصلاح النّفوس و تربيتها و تزكيّتها . فتتيّقظ القلوب الغافلة و تذكّر ببارئها بخلاف السّوء الّتي تبعـــد عـــن الحقيقـــة إلى الزّيف و تورّث الغفلة و تشغل القلب بالدّنيا و تميل إلى متاع الحياة الفانية و تزيد في كثرة المعاصي .

و في الصّحبة قال الإمام فخر الدّين الرّازي الّذي قام بتفسير فاتحة الكتاب : " ... إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " الّتي تدلّ على أنّ المريد لا سبيل له فالوصول إلى مقامات الهداية و المكاشفة إلاّ إذا إقتدي بشيخ يهديه إلى سواء السّبيل، و يجنّبه عن مواقع الأغاليط و الأضاليل ... (4)

أمّا الشيخ الباجوري الشّافعي عند شرحه قول الشّيخ إبراهيم اللّقّاني صاحب " جوهرة التّوحيد" :

وَ كُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حَلِيفُ حِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ

---

(1) حديث شريف رواه أبو يعلي و رجاله رجال الصحيح كما في " مجمع الزّوائد ج 10" ص 226، (أنظر حقائق عن التّصوف لعبد القادر عيسى، ص 48)

(2) رواه أبو داود (عن عبد القادر عيسى، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها)

(3) سورة يونس،الآية 62

(4) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ص 50-51 بتصرف.

أي ، كن متّصفاً بأخلاق مثل الأخلاق الّتي كان عليها خيار الخلق ..."

إلى أن قال : " و إذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت أنفع،لقولهم : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل فينبغي للشّخص أن يلزم شيخاً عارفاً بالكتاب و السّنّة، بأن يزنه قبل الأخذ عنه فإن وجده على الكتاب و السّنّة لازمه، و تأدّب معه، فعساه يكسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه، و الله يتولّى هداه " (1)

و ما قاله إبن القيم الجوزية (2) و الإمام الغزالي و إبن عطاء الله الإسكندري (3) في صفات الشيخ المربيّ و ضرورة إتّخاذه كقدوة ، تمشي في نفس السّيَاق .

و يحفظ فقراء الزّاوية الأبيات الّتي نظَمها الشّيخ عبد الواحد بن عاشر (4) عن صحبة الشيخ المرشد ، في " المرشد المعين"، ما تنتج عنها من آثار طيّبة :

يَصْحَبُ شَيْخاً عَارِفَ الْمَسَالِكِ ... يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكُ

يُذَكِّرُهُ اللَّهُ إِذَا رَآهُ ... وَ يُوصِلُ الْعَبْدَ إِلَى مَوْلَاهُ

يُحَاسِبُ النَّفْسَ عَلَى الْأَنْفَاسِ ... وَ يَزِنُ الْخَاطِرَ بِالْقِسْطَاسِ

وَ يَحْفَظُ الْمَفْرُوضَ رَأْسَ مَالِ ... وَ النَّفْلَ رِبْحُهُ بِهِ يُوَالِي

وَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّهِ ... وَ الْعَوْنَ فِي جَمِيعِ ذَا بِرَبِّهِ

يُجَاهِدُ النَّفْسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ... وَ يَتَحَلَّى بِمَقَامَاتِ الْيَقِينِ

يَصِيرُ عِنْدَ ذَاكَ عَارِفاً بِهِ ... حُرّاً وَ غَيْرُهُ خَلَا مِنْ قَلْبِهِ

---

(1) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 51 عن شرح " الجوهرة" للباجوري ص 133

(2) صاحب كتاب " طريق الهجرتين "

(3) إبن عطاء الله الإسكندري: " أحمد بن محمّد بن عطاء الله الإسكندري: الشاذلي تاج الدين تلميذ بعارف المرسي، و شيخ التّقى السّبكي صاحب الحكم المشهورة. مات في مصر سنة 709 و دفن بالقرافة بقرب بني الوفاء، قاله المناوي". لـ أنظر جامع كرامات الأولياء – ج1- ص 469)

(4) الشيخ عبد الواحد بن عاشر: " الحاج أحمد بن عاشر : نزيل سلا ، الولي المشهور. صاحب الكرامات المشهورة بالمغرب. نقل المقري عن كثير من أكابر العلماء الثناء البليغ على إبن عاشر المذكور و الشهادة له بأنه من كبار الأولياء .توفّي سنة 656، قاله في نفح الطيب " (أنظر جامع كرامات الأولياء –ج1–، للنبهاني ص 470) .

فَحَبَّهُ الْإِلَاهُ وَ إِصْطَفَاهُ لِحَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَ إِجْتَبَاهُ (1)

و يقول أبو الحسن الشاذلي (ض) :

وَ مِنَّا مَنْ يَكُونُ شَيْخَا مُرَبِّيَّا رَئِيسُ الْقَوْمِ صَاحِبُ الْوَقَارَا
يَطْبَعُ كُلَّ مَنْ يَحْلُو إِلَيْهِ بِصِدْقِهِ وَ لَوْ خَلَعَهُ الْعَذَارَى
بَحْرُ الرِّجَالِ بَحْرٌ عَمِيقٌ كَبَحْرٍ لَمْ تُدْرِكْ لَهُ قَعْرَا

ليس سيدنا موسى عليه السّلام أوّل من إتّخذ شيخاً، بل سبقه سيّدنا آدم عليه السّلام الذي كان الله سبحانه و تعالى بمثابة المربي له لقوله تعالى : " وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " (2) ، و في هذا الشّأن نذكر قول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله : " إنّ الله عزّ و جلّ أجرى العادة بأن يكون في الأرض شيخ و مريد، صاحب و مصحوب ، تابع و متبوع من لدن آدم إلى أن تقوم السّاعة، ألا ترى إلى آدم عليه السّلام لمّا خلقه الله تعالى علّمه الأسماء كلّها، إفتتح الأمر به، فجعله كالتلميذ مع الأستاذ و المريد مع الشيخ ، ثمّ لمّا فرغ من تعليمه ، و تهذيبه جعله أستاذاً معلّماً و شيخاً حكيماً ... فصارت الملائكة تلاميذ لآدم و آدم شيخهم ..." (3)

أخذ العهد (القبضة) :

يتمّ أخذ العهد بقبض المريد ليد الشيخ و مبايعته حسب طقوس بسيطة من ناحية و مشحونة بالفرح و السّرور و الغبطة وسط حالة نورانيّة يحسّها الحاضرون.

ذكر الشيخ عبد القادر عيسى عن هذا الموضوع : " منذ عهد الرّسول صلىّ الله عليه و سلّم إلى يومنا هذا تناقل هذا الإذن و التلقين و العهد رجالٌ عن رجال،

في الزّاوية المامشاويّة السّائرة على نهج الشيخ الشاذلي رحمه الله، يجلس الشّخص الرّاغب في أخذ العهد أمام الشيخ و يصرّح برغبته فيؤكّد عليه الشّيخ أموراً تخصّ التّوبة و الطّاعة و أن يكون مقصده هو الله .

(1) محمد بن المبارك المراكشي ، شرح ابن عاشر المسمّى " الحبل المتين على نظم المرشد المعين" ، ص 84.

(2) سورة البقرة، الآية 31

(3) فيداري فويدر،رسالة الماجستير " الحضرة في منطقة أولاد نهار – دراسة تاريخية و فنية ، ص 62. إشراف د.شايف عكاشة.

فوصل إلينا محققّا مسلسلاً مسجّلاً، و الصّوفية يسمّون البيعة و الإذن و التلقين بإسم القبضة، يتلقّاها واحد عن واحد، يقبض كلّ منهما يد الآخر، فكأنّما إلتقى السّالب بالموجب فإرتبط التيّار و إتّصل السّند و نفذ التأثير الرّوحيّ المحسوس المجرّب " (1)

و بعد ذلك يسلم له الأذكار الشرعية التّي يتكوّن منها العهد. واضعاً يده على يد الشخص الذي أراد الدّخول في المريديّة و هي المعاهدة المعروفة في كلّ الطّرق و الزّوايا.

يقبّل المريد الجديد رأس الشّيخ أو يقبّل يديه و يعود إلى مكانه الذّي كان جالساً فيه و يدعو له الشّيخ بالخير و البركة و النجاح و يدعو للحاضرين و يتمّ الدّعاء بالصّلاة على خير الأنام و المرسلين.

و حسب رأي الفقراء فإن أخذ العهد وارد في بعض الآيات القرآنية و الأحاديث النّبويّة الشّريفة، يقول الله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً " (2) .

و يحذّر سبحانه و تعالى من يخالف العهد في قوله : " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " (3)

و قوله تبارك و تعالى : " وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً "(4)

أمّا في أصل أخذ العهد من السّنّة ، إنّه : " ما كان يتّخذ صورة من التّلقين أو يختصّ بجماعة من المسلمين، و إنّما كان أخذ العهد في السنّة جامعاً بين بيعة الرّجال، و تلقين الجماعات و الأفراد ، ومبايعة النساء، بل حتّى من لم يحتلم "(5)

(1) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ص 81

(2) سورة الفتح، الآية 10.

(3) سورة النحل، الآية 91.

(4) سورة الإسراء الآية رقم 34

(5) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ص 74

1- بيعة الرّجال :

أمّا بيعة الرّجال ، لقد أتى حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت أنَ رسول الله صلى الله عليه و سلم قـــال : " بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَ لَا تَسْـــرِقُوا ، وَ لَا تَـــزْنُـــوا ، وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم، وَ لَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ، وَ لَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَهُ عَلَى ذَلِكَ " (1).

2- بيعة النساء :

و جـــاء في بيعة النساء أن سلمـــى بنت قيس – و كانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد كانت إحدى نســـاء بنـــي عديَ بن النجّار قالت : " جئت رسول الله صلى الله عليه و سلم فبايعته في نسوة من الأنصار فلمّا شرط علينا على أنَ لا نشرك بالله شيئاً ، و لا نسرق و لا نزني، و لا نقتل أولادنا ، و ألا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا و أرجلنا ، و لا نعصيه في معروف ، قال : " وَ لَا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ "

قالت : فبايعته ثمَ إنصرفنا، فقلـــت لإمرأة منهـــنَ إرجعي فسلي رسول الله صلى الله عليه و سلم ما حرَم علينا من مال أزواجنا ؟ قالت : فسألته فقال : " تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ " (2)

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، و أخرجه مسلم و الترمذي و النّسائي كما في " الترغيب و الترهيب " –ج2، ص 415.

(2) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 77

3- بيعة من لم يحتلم :

أما فيما يخص بيعة من لم يحتلم أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، أن النبي صلى الله عليه و سلّم بايع الحسن و الحسين و عبد الله بن عبّاس و عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم و هم صغار و لم يبقلوا و لم يبلغوا، و لم يبايع صغيراً إلاّ منّا. (1)

و قد أخذ من أطفال الفقراء صغار العهد عن الشّيخ سيد أحمد المامشاوي - أطال الله عمره، و لم يمانع بذلك لأنّ الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم بايعوا رسول الله صلّى الله عليه و سلم على حالات مختلفة . فمنها بيعتهم على الإسلام و على العمل الإسلام، و على الهجرة و على النّصرة و الجهاد، و بيعتهم على الموت ، و على السّمع و الطّاعة (2).

و قد بايع الصّحابة الكرام لخلفاء رسول الله صلّى الله عليه و سلم، يقول الشّيخ عبد القادر عيسى : " ... و كانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه: تبايعني ما أطعت الله، و كانت بيعة عمر رضي الله عنه و من بعده كبيعة النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم " (3)

و نهج مرشدوا الصّوفيّة منهج رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في أخذ البيعة في كلّ زمان ، ذكر الشّيخ عن الأستاذ البدوي أنّه في كتابه رجال الفكر و الدّعوة في الإسلام تناول هذا الموضوع قال : " إنّ الشّيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة و التّوبة على مصرعيه، يدخل المسلمون من كلّ ناحية من نواحي العالم الإسلامي، يجدّدون العهد و الميثاق مع الله، و يعاهدون على ألاّ يشركوا و لا يكفروا ، و لا يفسقوا ، و لا يبتدعوا، و لا يظلموا ، و لا يستحلّوا ما حرّم الله، و لا يتركوا ما فرض الله ، و لا يتفانوا في الدّنيا، و لا يتناسوا الآخرة .

---

(1) قال الهيثمي في " مجمع الزّوائد" -ج6/ص 140 : المرسل ، و رجاله ثقات (عن حقائق عن التصوف عيسى ، ص 77) ،

(2)عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 79/78.

(3) عبد القادر عيسى، المرجع السابق، ص 79

و قد دخل في هذا الباب – و قد فتحه الله على يد الشّيخ عبد القادر الجيلاني – خلق لا يحصيهم إلاّ الله، و صلحت أحوالهم ، و حسن إسلامهم، و ظلّ الشيخ يربّيهم و يحاسبهم و يشرف عليهم ، و على تقدّمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الرّوحيّين يشعرون بالمسؤوليّة بعد البيعة و التّوبة و تجديد الإيمان. " (1)

و يثمر أخذ العهد نتائج طيّبة و يترك آثاراً حميدة لهذا إعتصم الصّوفيّة السّابقون، و ورثه عنهم من لحقهم و لا زال لحدّ الآن قائماً.

فإمساك يد الشيخ لمن يريد الطريق، فكأنّما يلتقي شحن كهربائيّة مختلفة فيرتبط التيّار و يتّصل السّند و ينفذ التّأثير الرّوحيّ المحسوس المجرّب، هذا ما أقرّ به صاحب كتاب " حقائق عن التّصوّف ".

و النّساء لا يصافحن الشيخ بل يقرأ على كأس ماء و تشربه الفقيرة أو المريدة الجديدة و تبسمل قبل القيام بذلك. و بهذه الطريقة تكون قد بايعت الشّيخ الصّوفيّ أو أخذت العهد عنه أو قبضت.

و هناك من يطلق على أخذ العهد بالمشابكة من خلال قول أحدهم : " فأبو إسحاق إبراهيم الشّاطي الشّهير شبّك بأصابع أبي بكر بن عمر القرشي الّذي شبّك بأصابع أبي محمّد عبد الله بن سلمون " (2)

و نجد الورد ضمن الشّعائر بحيث كلّ طريقة تختصّ بوردها.

4 – الورد أو الوسيلة :

و حسب أهل الزّاوية للورد دليل في الكتاب و السّنّة كما أكّد ذلك الشّيخ إبن عجيبة :" لورد الصّوفيّة دليل من الكتاب و السنّة، فالورد مفرد و الجمع أوراد و يطلقه الصّوفيّة على أذكار يأمر الشّيخ تلميذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصّبح) ماله من فضل و خير كثير، و مساءاً بعد صلاة المغرب أي بكرةً و أصيلاً ". (3)

---

(1) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 79

(2) قيداري قويدر ، المرجع السابق ، ص 63

(3) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 187

و يقال للورد في الزّاوية المامشاويّة "الوسيلة" بما فيها من إستغفار و صلاة على الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و توحّد لله عزّو جلّ. و الصّيغة المستعملة هي نفسها الّتي تستعملها كلّ طريقة شاذليّة ، و تسمّى " الوسيلة " لأنّها حسب أهل الزّاوية تمكّن من الوصول إلى معرفة الله ، و يذكرون الآية القرآنية الّتي تبرّر أخذها و " أُولَائِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا " (1). و الورد أو الوسيلة في الزّاوية المامشاويّة كما يضمّ ثلاث صيغ ، شأنه في الزّوايا الشّاذلية .

قدّم الشّيخ عبد القادر عيسى شرحاً للورد الشاذلي : " إنّه يضمّ ثلاث صيغ ، من صيغ الذّكـــر المطلوبة شرعاً ، و الّتي حثّ عليها كتاب الله تعالى و بيّنت السنّة النّبويّة الشّريفة فضلها و خيرها ".(2)

أوّلا: الإستغفار ، و يتمّ على صيغة " أستغفر الله" تسع و تسعون مرّة ، و في المرّة مائة يقال: " أستغفر الله العظيم الذّي لا إله إلاّ الله هو الحيّ القيّوم و أتوب إليه".

و الإستغفار يكون بعد محاسبة النّفس على زلاّتها حتّى تصبح صفحة الأعمال نقيّة بيضاء، لقوله تعالى : " وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا وَ إِسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (3)

جاء في الحديث الصّحيح، أنّ حذيفة قال: كنت ذرب اللسان على أهلي، فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النّار، فقال النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " فأين أنت من الإستغفار، فإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة " (4)

ثانياً : الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم و تكون على صيغة " اللّهم صلّ على سيدنا محمد عبدك و نبيـــّك و رسولك النّبيّ الأمّي و على آله و صحبه و سلّم

---

(1) سورة الإسراء،الآية 57.

(2) عبد القادر عيسى، المرجع السابق،ص 187

(3) سورة المزّمّل : الآية 38 .

(4) أبو حامد الغزالي، " إحياء علوم الدّين – ج1 – " ، ص 174

تسليماً " تكرّر تسع و تسعون مرّة و في المائة تضاف إلى العبارة السّابقة " بقدرة عظمة ذاتك في كلّ وقت و حين " و لا تكون الصّلاة باللّسان فقط بل بإستحضار عظمة الرّسول الكريم صلّى الله عليه و سلّم و تذكّر صفاته و شمائله و تقوية محبّته في القلوب و التّشوّق على رؤيته.

و قد أمرنا الله تعالى بالصّلاة على حبيبه المصطفى في قوله : " إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً "(1)

و عن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : "من صلّى عليّ من أمّتي صلاة مخلصاً من قلبه صلّى الله عليه بها عشر صلوات و رفعه بها عشر درجات ، و كتب له بها عشر حسنات، و محا عنه بها عشر سيّئات " رواه النّسائي و الطّبراني و البزار (2)

و قال عليه أفضل الصّلاة و السّلام : "أولى النّاس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة "(3)

ثالثا: كلمة التّوحيد، تكون على صيغة " لا إلاه إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك و له الحمد و هو على كلّ شيء قدير " تكرّر تسعاً و تسعون مرّة، و في المائة تقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك و له الحمد يحيي و يميت و هو على كلّ شيء قدير " و يكون هذا الذّكر لسانيّاً و قلبيّاً معاً بالتّفكير في الله " بأنّه لا خالق و لا رازق و لا نافع و لا ضارّ و لا قابض و لا باسط و لا لطيف و لا محيي و لا مميت و لا قدير إلّا الله وحده.

و على الذّاكر أن يمحو من قلبه حبّ الدّنيا و شواغلها و يملأه بحبّ الله و رسوله الكريم. قال الرّسول عليه الصّلاة و السّلام : " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " (4)

---

(1) سورة الأحزاب، آية 56

(2) الحافظ المنذري، " الترغيب و الترهيب "-ج2-" ، ص 496

(3) و (4) رواه الترمذي في كتاب أبواب الصّلاة و قال : حديث حسن (" عن حقائق عن التّصوّف " لعبد القادر عيسى، ص 188)

و يقول في عبارة التوحيد في الوسيلة أنّها لو قيلت مائة مرّة كانت لصاحبها عدل عشر رقاب، و تكتب له مائة حسنة و تمحى عنه مائة سيّئة و تحرزه من الشّيطان الرّجيم و أعوانه كلّ يوم"(1)

رابعاً : سورة الإخلاص بتكرارها ثلاث مرّات؛ يذكر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في حديثه أنّ قراءة هذه السّورة بهذا العدد يعادل قراءة القرآن كلّه في نفعه.

خامساً : تكرار للصّلاة الكاملة ثلاث مرّات : " اللّهم صلّ صلاة كاملة و سلّم سلاماً تاماً على سيّدنا محمّد الّذي تنحلّ به العقد و تنفرج به الكرب و تقضى به الحوائج و تنال به الرّغائب و حسن الخواتم و يستسقى الغمام بوجهه الكريم و على آله و صحبه في كلّ لمحة و نفس بعدد كلّ معلوم لك".

و لهذه الصّيغة من الصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم منافع كثيرة لا تحصى. و تسمّى بـ " التّفريجيّة " في الزّاوية المامشاويّة لسرعة تفريجها الهموم و الكرب و تدعى بـ "النّارية" لسرعة الإستجابة.

و في قيمة الورد الّذي يردّده الصّوفيّة صباحاً و مساءاً يقول إبن عطاء الله الإسكندري رحمه الله : " لا يستحقر الورد إلاّ جهول ، الوارد يوجد في الدّار الآخرة، و الورد ينطوي بإنطواء هذه الدّار و أولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده، الورد هو طالبه و الوارد أنت تطلبه منه، و أين ما هو طالبه منك هم مطلبك منه "(2)

و أقوال السّادة الصّوفيّة في الورد كثيرة نظراً لأهمّيته البالغة فهو سبيل السّالكين إلى الله تعالى، فلا يبرّر تأجيله لوقت الفراغ بل في وقته المحدّد.

---

(1) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 189 (الحديث رواه البخاري في كتاب الدّعوات، و مسلم في كتاب الذّكر، و الترمذي في كتاب الدّعوات) بتصرّف.

(2) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 192

5 – مفهوم مصطلح مريد :

ذكر الشّيخ البَنّانيّ في تحفه عن الشّيخ محمّد مصطفى ماء العينين ما نصّه : " المريد مشتقّ من الإرادة و هي لوعة في القلب يطلقونها و يريدون بها إرادة التّمنّي و هي منه واردة الطّبع و متعلّقها الحظّ النّفسانيّ واردة الحقّ و متلقّها الإخلاص و هذه هي الّتي إشتقّ المريد منها إسمه عندهم " (1)

و يؤكّد كلامه الكثير من المشايخ لقول بعضهم : " المريد من أراد ربّه دون من سواه و لكن غاية طلبه و مناه و سلم من لدغات الخواطر لإرادته مولاه و إيثاره له على من عداه " (2)

ذهب بعض الصّوفيّة إلى القول بتجرّد المريد من إرادته أمثال الجرجانيو التّهانوي و الشّيخ إبن عربي الّذي ذكر في فتوحاته : " المريد من إنقطع إلى الله عن نظر و إستبصار و تجرّد عن إرادته إذا علم أنّه ما يقع في الوجود إلاّ ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحو إرادته في إرادته فلا يريد إلاّ ما يريده الحقّ". (3)

من مرادفات كلمة " المريد " نجد لفظة " السّائر " و السّالك و " الفقير " و كلمة ' فقير' هي الأكثر تداولاً في المغرب العربيّ عامّة و الجزائر خاصّة و لها مدلولات واسعة من بينها (التّلاَمَذْ) ، و المفرد (تِلمِيذْ) الذي يحفظ القرآن تحت إشراف طالب أو حامل للقرآن.أما (القْنَادِيزْ) مفرد (قَنْدُوزْ) يستعملها أهل الريف مكان كلمة (الْفُقَرَا) مفرد (الْفَقِيرْ) و من أهل البدو من ينعت الفقراء ب (لَمْرَابْطِينْ) مفرد مذكر (لَمْرَابَطْ) و مفرد مؤنث (لَمْرَابْطَة) و نادرا ما ينعت المريدون بالصوفية مفرد (صُوفِيّ) . و (الخْضَرْ) أي أهل المدينة يطلقون عليهم " لْفُقَرَا ".

---

(1) و (2) و (3) ابو بكر البناني، " تحفة أهل الفتوحات و الأذواق " ، ص 135

يتميزالمشارقة بتسمية " المريدين " ب " السائرين " و " السالكين " و عن مصطلح " الفقراء " فهم يحتجون على إطلاقها لقول الله تعالى : " للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا و ما تنفقوا من خير فإن الله به عليم " (1).

من القـــوم من يـــرى أنَ الفقر ليس الفاقـــة و العـــدم، بل الفـــقر المحمود الثقة بالله تعالى و الرَضى بما قسم (2) و يؤيَده الشَبلي رحمه الله في هذا . يقـــول رسول الله صلى الله عليه سلم : " إنَ لي حرفتين اثنتن فمن أحبَهما فقد أحبَـــني و من أبغضهما فقد أبغضني الفقر و الجهاد " (3) و يعني الفقر إلى الله و الجهاد في سبيل الله.

---

(1) سورة البقرة ، الآية 273

(2) « Etudes sur l'ésotérisme musulman » M.E BLOCHET PP 19-30

(3)أبو حامد الغزالي " إحياء علوم الدين " ، ج5 ، ص 63.

العبّـــاد:(1)	يقومون بكل أشكال العبادات (فرائض – نوافل) على أشد المعنى و هذا طمعا في الجنة – عبادتهم فيها طمع.
الزهّاد :	هم الذين تركوا زخارف الدنيا الفانية و ملذاتها طمعا في الآخرة : طمع في نيل الجزاء و الآخرة .
الفقراء :	هم الذين يحرمون أنفسهم من ملذات العيش و يتركون كل شيء طمعا في الجنة بدون إخفاء عبادتهم.لكن لهم كرامة لأنهم يمكنهم الوصول إلى صف أهل التصوف و وضعه أقل من الصوفية لأنه يسعى إلى الفقر لكي يقترب من الله .
الصّوفي: (ج صوفيّة)	لا يقوده أي طمع و ليس له إرادة إلا إرادة الله ما يريده هو وجه الله تقول السيدة رابعة العدوية : " كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَكَ مِنْ خَـوْفِ نَـــارِ وَ يَرَوْنَ النَّجَاةَ حَظًّا جَزِيلاً أَمَّا أَنَا فَلَيْسَ لِي فِي الْجِنَانِ وَ النَّارِ رَأْيٌ وَ لَا أَبْتَغِي بِحُـبِّي بَدِيـــلاً" هو الذي فرغ قلبه من الأغيار كما جاء في الحديث القدسي : : " لَمْ يَسَعْنِي أَرْضِي وَ لَا سَمَائِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَادِعِ " (2).

(1) « Etudes sur l'ésotérisme musulman » M.E BLOCHET PP 19-30

(2) لم ير الغزالي له أصلا و في حديث أبي كعبة قلبه عند الطبراني بعد قوله و آتية ربكم قلوب عباده الصالحين و أحبها إليه ألينها و أرقها . أنظر إلى " إحياء علوم الدين "، ج3 ، ص 26.

و يقال " تَفَقَّرَ فُلاَنٌ " أي أخذ العهد أو قبض على الشّيخ المربّي . أمّا لفظة " تَفْقَارَتْ" و هي تبدو كلمة ذات صيغة أمازيغيّة و هي تعني الحالة التّي يكون فيها الفقير .في حين يرى البعض أنّ الفقر إحتياج العابد للمعبود، يرى البعض الآخر أنّ حقيقة العبوديّة و لبّها عزل النّفس عن مزاحمة الرّبوبيّة (1).

كخلاصة للقول ، إنّ الفقر إصطلاحاً شقّين مطلق و مقيّد. المطلق هو إحتياج العبد إلى موجد يوجده و بقاء بعد إيجاده و هداية و هو محض الإفتقار إليه تعالى و حالة النّاشئ عن هذا العلم شهود هذا الإفتقار على الدّوام فهو مقصود لذاته لتعلّقه بالله تعالى. أمّا المقيّد فهو حاجة العبد إلى الوسائل فهو مقصود لغيره و هو التبتّل والإنقطاع توسّلاً لمقام التّجريد.(2)

و يقصد بالسالك الإنسان الّذي سلك طريق التّصوّف فإشتمل التعريفات حوله على تهذيب أخلاقه بالآداب الرّفيعة و المجاهد لنفسه و هو أكبر جهاد، و المحبّ لخالقه. و هو الذي يسلك هذا الدّرب بالحال لا بالعلم و المراد من سلوكه الطّريق هو الذّهاب إلى الله تعالى.

و هنا يحدّد الكاشي و ضعيّة السّالك في الطّريق قائلاً : " هو السّائر إلى الله المتوسّط بين المريد و المنتهي ما دام في السّير" (3).

أمّا " السّائر" هو الّذي يمشي في طريق معنويّ ألا و هو التّصوّف فينتقل من نقطة الجهل إلى نقطة المعرفة .

أعطى التّهانوي الصّفـــات التي يجب أن تتوفّر في المريد الصّادق : " هو الّذي يتوجّه كلاّ و جملة إلى الله و يجعل قلبه مع شيخه دوماً بسبب فرط إرادته، و يعتقد أنّ روحانيّة شيخه حاضرة في جميع الأحوال ، و يستمدّ منه عن طريق

---

(1) أحمد حسين كعكو، "هكذا تكلّم الأولياء و الصّالحون "، ص 125

(2) أبو بكر البناني، المرجع السابق ، ص 135

(3) أنور فواد أبي خزام ن المرجع السابق ، ص 96 ،

الباطن ،و يكون مثله مع الشيخ مثل الميّت في يد الغسّال حتّى يحفظ من شرّ الشيطان و النّفس الأمّارة بالسوء " (1)

يشرح الشيخ أبو بكر البنّاني رحمه الله المراد :" عبارة عن تجريد المجذوب عن إرادته مع تهيّئ الأمور له فجاوز الرّسوم كلّها و المقامات من غير مكابدة " (2)

آدابـــــــه :

يتأدّب المريد مع ربّه و الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و شيخه أو أبيه الرّوحي. أمّا آدابه مع الله سبحانه و تعالى ، فهي بتقديرين : " تقدير العوامّ و هو الإمتثال لأمره تعالى و إجتناب نهيه، و تقدير الخواصّ و هو الإكثار من ذكره و مراقبة حضوره و إيثار محبّته و حفظ حدوده و الوفاء بعهوده و الرّضا بوجوده ... " (3)

و أمّا آدابـــه مـــع الرّسول صلى الله عليه و سلم يقول الشيخ فبثلاثة تقديرات " تقدير العوامّ و هو إتّباع السّنّة و مجانبـــة أهل البدعـــة، ثمّ تقديـــر الخـــواصّ و هـــو إيثـــار محبّته و الإهتداء بهديه و التخلّق بأخلاقه " ثمّ تقدير خواصّ الخواصّ ، و هم الواصلون فهم مع الله بالتّواضع له في كلّ شيء والتّعظيم له عند كلّ شيء و دوام معرفتـــه في تجلّيـــات الجـــلال و تجلّيات الجمال و مع الرسول صلى الله عليه و سلم في التحقّق بحبّه و تعظيم أمّته و شهود سنّته " (4)

و عـــن آداب المريـــد مع شيخـــه يرى المنوفي أنّ مرجعها سبعة أمور : أربعة ظاهرة ، و ثلاثة باطنة:

أمّا الظاهرة، فالأوّل منها الإمتثال لأمره و إن ظهر له خلافه، و إجتناب نهيه، و إن كان فيه حظّه، و الثّاني هو السّكينة و الوقار في الجلوس بين يديه .

---

(1) ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " المتن الربانية الوهبية في المآثر الغوثية الشعيبية" ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 55

(2) ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " المتن الربانية الوهبية في المآثر الغوثية الشعيبية" ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 48

(3) و (4) محمود أبو الفيض المنوفي ، المرجع السابق ، ص 305

و الثالث المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله فخدمة الرّجل سبب الوصال، و الرّابع دوام الحضـــور في مجلسه فمدد الشّيخ جار كالسّاقية ، فإذا حصلت الغفلة أو البعد إنقطع المدد، و كذلك تكرار المواصلة يدلّ على شدّة المحبّة و كان الشيخ بن عودة بن مامشا يقصّ على مريديه قصّة ذلك المريد الذي إشتغل بالعمل و لم يعد يحضر في مجلس شيخه و كان يبعث له بحذاء من الأحذية الّتي كان يصنعها بنفسه .

فبعث له الشيخ مع أحد المريدين هذه الوصيّة : " وَ اللهِ لَوْ كَانَ مَا يَطّلَعْ وَ يَهْبَطْ مَا يَنْفَعُوهَ الصّبَابَطْ " و الصّبَاطْ هو الحذاء.

و أمّا الباطنة : فأوّلها إعتقاد كمال الشيـــخ و أنّه أهل للقدوة و التّربية لجمعه بين الشريعة و الحقيقة و بين السّلوك و المعرفة.

و ثانيها : تعظيمه و حفظ حرمته غائباً و حاضراً و تربية محبّته في القلب و هي دليل الصّدق ، و بقدر التّصديق و الصّدق يكون التّحقيق ، فمن لا صدق له لا سير له، و لو بقي مع الشيخ ألف سنة.

و ثالثها أن يتجرّد من رؤية علمه قبل الوصول إلى الشيخ لنيل الشّراب الصافي من بحر مدده الوافي " (1)

ثمّ عليه أن يتأدّب مع الإخوان ، يقدّم الشيخ المنوفي أنّها وردت في إيقاظ الهممّ أربعة أمور، حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين، فلا يغتاب أحداً منهم . ثانيها نصيحتهم بتعليم جاهلهم و إرشاد ضالّهم و تقوية ضعيفهم و لو بالسّفر إليهم ثالثها التّواضع لهم و الإستنصاف من نفسك ، و هو يقصد هنا المريد، معهم و خدمتهم بقدر الإمكـــان قـــال تعالـــى : " وَ تَعَاوَنُـــوا عَلَى الْبِرّ وَ التّقْوَى " (2) رابعها شهود الصّفاء و الكمال فيهم فلا ينتقص أحداً منهم و لو رأى ما يوجب النّقص في الظّاهر، فالمؤمن ملتمس للمعاذير.

---

(1) أبو الفيض المنوفي، المرجع السابق ، ص 306

(2) سورة المائدة، الآية 2.

أضاف الشيخ قول بعضهم : " و الأدب الظاهر للعيان دلالة الباطن في الإنسان و هو أيضاً للفقير و للغنيّ زينة و سؤدد و قيل من حرم ذوق الأدب فهو بعيد ما دنا و إقترب فالقوم بالآداب حقّاً سادوا منه إستفاد القوم ما إستفادوا" (1)

و يقول الشيخ شعيب أبي مدين:

مَا لَـــذَّةُ الْعَيْـــشِ إلاَّ صُحْبَـــةُ الْفُقَـــرَا هُمُ السَّلَاطِيـــنُ وَ السَّـــادَاتُ وَ الْأُمَـــرَا
فَاصْحَبْهُـــمْ وَ تَـــأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِـــمْ وَ خَـــلِّ حَظَّـــكَ مَهْمَـــا خَلَّفُـــوكَ وَرَا
وَ إسْتَغْنِمِ الْوَقْتَ وَ أحْضُرْ دَائِمًا مَعَهُمْ وَ إعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَا يَخُـــصُّ مَنْ حَضَـــرَا(2)

6- ضبط مصطلح الذّكر :

إنّ الذّكر يختلف عن السّماع في كون الأول يؤدّى فرديّا من وسيلة و أسماء يمكن أن يمارسه الفقير في منزله أو في السفر أو أيّ مكان خارج الزّاوية ، و أغلبه سرّا.

أمّا الذّكر الجماعي فهو يؤدّي جهرًا في مجلس الرّسول صلّى الله عليه وسلّم :" مَا مِنْ قَوْمٍ إجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إلاَّ وَجْهَهُ إلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ تَبَدَّلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ " (3).

يرى مريدوا الزّاوية المامشاويّة أن الذّكر باب لمحبّة الله و رسوله (4) و بكثرته تتنوّر قلوبهم و تطرأ عليهم أحوال و يتعراهم الوجد و الشوق (5) و هناك من له تعريف أشمل هو التّقرّب إلى الله بقراءة القرآن و الأوراد و فعل الخيرات .(6)

و يحدّده آخرون فيما يلقّنه الشيخ للمريد من أوراد خاصة (7) و يقول أحد رفقاء الشيخ بن عودة بن مامشا " محمد مولاي شريف " أنّ الذّكر هو ذكر الله تعالى و التّسابيح و الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم .(8)

---

(1) المتولي المرجع السابق ، ص 306

(2) ديوان الشيخ أبو مدين شعيب ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 58

(3) رواه احمد و أبو يعلى و الطبراني بسند ضعيف من حديث انس " أنظر إحياء علوم الدين ج1 لأبي حامد الغزالي "،ص 147

(4) تصريح السيد الفقير عبد الحي غوماري

(5) تصريح السيد الفقير قدور السبيع

(6) تصريح السيد الفقير نسر الدين بوعياد آغا

(7) تصريح السيد الفقير حكمت صاري علي

(8) تصريح السيد الفقير شريف محمد مولاي رحمه الله

أما الشّيخ بن عودة بن مامشا كان قوله في الذّكر :" اَلذِّكْرُ هُوَ الجَبِيرَةُ " أي أنّه يجبر العبد بمولاه كما يجبر العظم الكسير ببعضه البعض أي الروح تجمع مع روحه لقوله تعالى : " وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي " (1).

الذّكر ليس بسماع و لكنّ السّماع يدخل فيه الذّكر مثلا تكرار الفقراء لعبارة " لا إله إلا الله " كلازمة أثناء أداء السّماع كذا الصّلاة على رسول الله (ص) :

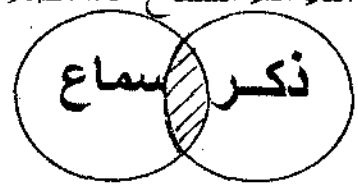

إنّ الذّكر يختلف عن الصّلاة لقوله تعالى: " فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً " (2)

7 – دور الذّكر عند العامّيّ و الفقير :

وردت كلمة ذكر في العديد من الآيات القرآنيّة الكريمة، نذكر منها قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (3) و يقول عزّ و جلّ : " اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " (4)

إنّ الصّيام و الصّلاة و قضاء مناسك الحجّ أي يحثّ الله سبحانه و تعالى عباده أن يختموا عبادتهم له بذكره عزّ و جلّ لماله من الفضل الكثير، يقول جلّ و علا : " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ " (5) و يقول أيضاً في فضل الذّكر : " الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " (6)، فبذكر المولى عزّ و جلّ تزول الهموم و تضمحلّ الغموم و تنفرج الكروب .

---

(1) سورة الحجر الآية 29
(2) سورة النساء الآية 103
(3) سورة الأنفال الآية 45
(4) سورة العنكبوت الآية 45
(5) سورة آل عمران الآية 41
(6) سورة الرعد الآية 28

ثمّ قال تعالى في جزاء من يذكره : " وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً " (1) حتّى ينال المرء خيراً و جزاءًاحسناً يجب أن لا يلهيه أيّ شيء عن الذّكر ، يقول جلّ و علا في هذا الصدد : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِيكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ "(2) و ذاكـــر الله لـــه شرف كبير عند الله سبحانه و تعالى كما جاء في قوله :"فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ" (3) ، و قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في حديث عن ربّه : " إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَ إِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ وَ إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَ إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً وَ إِذَا مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْهِ " (4)

و عن أبي موسى الأشعريَ رضي الله عنه ، قال : قال النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَ الَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَ الْمَيِّتِ " (5)

فالإنســـان الذي لا يذكر الله و لا يعوّد لسانه على فعل ذلك مثله مثل الأرض الميّتة الجرداء القاحلة الّتي لا تصلح للزّرع و أمّا من يذكره سبحانه فقلبه حيّ كالأرض الخصبة الّتي تمدّ بشتّى أنواع الزّرع.

و عن حلقات الذّكر ، ورد عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم فيمـــا أخـــرجه مسلم و الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضَلَاءَ يَلْتَمِسُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ أَتَوْا عَلَى مَجْلِسٍ حَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَيْنَ

---

(1) سورة الأحزاب الآية 35

(2) سورة المنافقون الآية 09

(3) سورة البقرة الآية 152

(4) حديث متفق عليه ، رواه أبو هريرة رضي الله عنه

(5) رواه البخاري و رواه مسلم " أنظر كتاب منهل الواردين شرح رياض الصالحين للإمام الحافظ النووي-ج2- ،ص 777 "

جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَ يَحْمَدُونَكَ وَ يُهَلِّلُونَكَ وَ يَسْأَلُونَكَ وَ يَسْتَجِيرُونَكَ. فَيَقُولُ : مَا يَسْأَلُونِي وَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُونَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ يَا رَبِّ ، كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، فَيَقُولُ وَ مِمَّا يَسْتَجِيرُونَنِي وَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، فَيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْهَا ، فَيَقُولُونَ لاَ، فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ثُمَّ يَقُولُ إِشْهَدُوا إِنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ وَ أَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُونِي وَ أَجَرْتُهُمْ مِمَّا إِسْتَجَارُونِي فَيَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّ فِيهَا عَبْدًا خَطَّاءً ، جَلَسَ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ أَيْضاً لِأَنَّهُ مِنْ قَوْمٍ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " (1)،

و الذّكر درجات ، فهناك ذكر اللّسان فقط و ذكر القلب و ذكر اللّسان و القلب و هو أعلاهم درجة.

كثيرة هي الأحاديث الّتي نقلت عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في الذّكر و كلّ ما يتعلّق به لم نتعرّض إلاّ لبعضها. و الذّكر مقترن بالنّيّة و الإخلاص ، ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : " مَا مِنْ قَوْمٍ إِجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَهُ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ ". (2)

" الذّكر ظاهرة موجودة في كل الأديان .فالذّاكر يجلس متوجها إلى نقطة تحدد مكان المدد الّذي يستفيد منه و يشرع في الذّكر حتّى أنّ في كتاب الممارسات 'ZEN' البوذي ينصح المؤلف القارئ الّذي يرغب في ممارسة الذكر الخاص بطريقته و هو إسم " OM " أن يتفادى ناحية الشّرق لأنّه سوف يلقى الشّعاع الآتي من النّبي محمد (ص) و أن يتفادى نقط أخرى حتى لا يلتقي بشعاع أنبياء آخرين (3).

و الذّكر نوعان، المقيّد بالإذن و العامّ للجميع :

---

(1) حديث شريف من"رسالة القول المعروف" للشيخ العلاوي المستغانمي، ص19-20

(2) رواه الإمام أحمد و رجاله رجال صحيح

(3) شريط وثائقي مر بالقناة الجزائرية محتواه الرياضة الروحية عند البوذيين بآسيا

فالذّكر العامّ هو الّذي أذن الله و رسوله لعباده كذكر " لا إلاه إلا الله و سبحان الله و الحمد لله و الله أكبر و لا حول و لا قوّة إلا بالله ." و أذكار عامّة ذكرت في كتيّبات كـ " حصـن المسلـم " للقحطاني و هي تقال في الصّباح و المساء و عند النوم و عند الإستيقاظ و عند سماع الرّعد ... إلخ .

أمّا الذّكر الخاصّ فهو الّذي لا يجوز ممارسته بدون شيخ مربيّ لأنّه كما يقول أهل الزّوايا " اَلْمَأْذُوْنُ مَأْمُوْنُ " و هذا الذكر يشمل سور و آيات قرآنيّة و أسماء الله الحسنى و الإسم المفرد " الله " و الأذكار السّرّيّة بأعداد سرّيّة.

و حتّى نبيّن ضرورة الإذن في هذه الأذكار ، نذكر حادثتان حقيقيتان جرتا لشخصين ذكرا أذكاراً من غير إذن بعدد كبير فأصابهما أذى . يروي أحد المريدين هذه الحادثة قائلاً : " وقع في الزّاوية المامشاوية بحضور الشيخ و المريدين و بعض الزّوار بمناسبة حفل توديع الشيخ قبل ذهابه إلى الحجّ ، أتى رجلان مع مريدي مدينة ندرومة الأوّل حامل القرآن الكريم و الثّاني تاجر ، و كلاهما كان يذكر إسم " الله " بدون إذن فظهر على كلَ واحد منهما بعد فترة معيّنة أعراض بارزة لم يستطع الأطبّاء معالجتها ، فالأوّل كان يتحرّك كثيراً و يرتعش بدون توقّف ، و الثاني كان يفتح فمه بدون أي سبب و لا يتوقّف عن التّثاؤب بحيث كان فمه يفتح لدرجة غير معقولة .

فلمّا علم منهما الشيخ إبن عودة بن مامشا الأمر و رأى هذه الأعراض ، وجّه لهما اللّوم بسبب إتخاذهما هذا الذكر بدون إذن ؛ فقال الأوّل : " لم أصبر على مفارقته " فضحك الشيخ و أمر بالإتيان بأواني مملوءة بالماء فأمر المريدين أن يضعوا أصبع السّبّابة في الإناء و قراءة الفاتحة بعدد معيّن ثمّ جمع الماء و أعطي لكلّ مصاب جزء منه ، فعاد كلّ واحد منهما إلى حالته الطّبيعية أمام الحاضرين ، و أعطاهما الإذن و رغب الإثنان في مرافقتـه إلى الحـجّ ، و أصبحا من مريديه.(1)

فكثير من تدفعه روح الفضول إثر مطالعته لكتب الأذكار و معرفة منافعها

---

(1) تصريح الأستاذ الفقير بومدين مطير

فيقرّر ممارسة الذكّر بدون إذن، فيحصل له ما لا يحمد عقباه.

و كان الشّيخ إبن عودة يكرّر كثيراً العبارة التّالية : " المأذون مأمون !" و نحن نرى أن قضية الإذن في الأذكار لدليل على صحّة المشيخة في التّربية الرّوحيّة.

و الأذكار قد تخصّ السّور أو الآيات القرآنية بعدد معيّن ، كقراءة سورة الإخلاص مثلاً بأعدادها المختلفة : العدد الصغير و المتوسّط و الكبير و الأكبر و قد تخصّ أسماء الله الحسنى كذكر " اللّطيف " بعدد الصّغير و هو 129 ، و المتوسّط 4444 و الكبير 16.641 .

و هذا التّرتيب العددي ليس إعتباطي ، و إنّما يخضع لأحكام صارمة ، فالعدد 129 يشير إلى أنّ الملك الموكّل بهذا الإسم تحت قيادته 129 صفّاً من الملائكة ، و كلّ صفّ يضمّ 129 ملك.فمجموعهم عليهم السّلام هو العدد الكبير (1) و هناك عدد سرّي فإذا وصل إليه الذّاكر أستجيب دعاؤه في حالة الإذن ، و إذا كان يذكره بدون إذن لمّا يصل إلى هذا العدد السّرّي يهلك و يصاب في نفسه أو في ماله أو في أهله.

و كثيرة هي النّصائح الّتي قدّمها الشّيخ إلى مريديه من بينها : " إحفر في نفسك حتّى يظهر لك ينبوع فتروى منه ! " ، و أيضاً : " الذّكر و ما أحلى الذّكر من صادف الذّكر صادف المريرة ، و من أخطى الذّكر أخطى المريرة " (2)

---

(1) أحمد بن عليّ البوني، " شمس المعارف الكبرى و لطائف العوارف"، ص 171 –172 – بتصرّف–

(2) أي من ذكر الله حتماً يصادف الطريق إلى معرفة الله تعالى و من ترك الذّكر طريقه ظلمانية – لأنّها تتنوّر بالذّكر.

جـــدول الصفـــات و الأفعـــال :

الصّفات و الأفعال التي يتخلّى عنها المريد بعد توبته و دخوله في الطريق :	الصّفات الّتي يتخلّى عنها بمساعدة الشيخ المربي:	الصّفات و الأفعال التي يتحلّى بها المريد بالتدريج:
- الكذب — البهتان — الزّور - التّعاطي للمحرمات : الزّنا — الخمر — القمار — الرّيبة — الرّشوة — الجدال — العنف — الجريمة — السّرقة — الأنانية المفرطة.	الغرور — العجب — الكبر — الطمع — الغيرة — الحسد — النّميمة — الغيبة — روح التّطلع و الفضول. حبّ السّلطة و الرّياسة - الشّرك البارز و الخفيّ — حبّ الشّهوات أو الملذّات سوء الظّنّ بالله و بعباده- الغفلة.	الصبر — التّوكل — القناعة — الخوف و الرّجاء. حبّ الخير للآخرين إتّباع الكتاب و السّنّة.حسن الظن بالله و بعباده.
النّفس الأمّارة بالسوء (1)	النّفس اللّوامة و الملهمة(2)	النّفس الملهمة و النّفس المطمئنّة(3)
لونها : الأسود أحلامها : القمل الذباب — الجردان الأفاعي — الماء الراكد — النار .. الكوابيس	لونها :الأزرق المساجد : - الطيران — الماء العذب الجاري — المبشرات — الخضرة — الأزهار	لونها :الأصفر —البنّي —الأبيض الأخضر ... أحلامها : الأولياء الصالحين- الأنبياء - الملائكة ....

(1) " وَ مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ " : سورة يوسف : الآية 53

(2) " وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ " سورة القيامة ، الآية 2

(3) " يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً " سورة الفجر ، آية 28

-1- المبحث الثاني :

2- **المبحث الثاني** : الزاوية المامشاوية

1.2: مؤسس الزاوية المامشاوية

2.2: خليفته الشيخ الحاج سيد أحمد المامشاوي

3.2: مشايخ الشيخ بن عودة بن مامشا :

أ/ الشيخ محمد بن يلَس

ب/الشيخ قدور بن عاشور

* كـرامـاتـه

4.2: برنامج الزاوية اليومي و المناسباتي

5.2: طاقم الزاوية المامشاوية

1-2 مؤسّس الزاوية المامشاوية:

أ) نبذة عن حياة الشيخ بن عودة بن مامشا:

ولد الشيخ بن عودة بن مامشا سنة 1888 م بتلمسان، ترعرع في عائلة بسيطة متوسّطة الحال . توفّي والده عندما كان طفلاً ، فتكفّل به أخوه الأكبر عبد القادر بن مامشا.(1) لم يتلقّ تعليمه بالمدارس و بقي أمّيّاً فإلتحق بالزّاوية اليلّسية في سنّ مبكّرة.(2)

لقد شبّ على طاعة الله و رسوله، و حفظ بعضاً من القرآن بالسّمع و عمل بتعاليمه فتفقّه في الدّين. دخل عالم الحرف ، فتعلّم صناعة الأدوات الخشبيّة (3) كالمحـــراث و الـــدّلو و القبّ ففي أيّامه لم تكن الأدوات البلاستيكيّة موجودة و لهذا كان الخشب يسدّ حاجيات المجتمع. لقد كان أخوه متشدّداً معه بكثرة لكنّ بن عودة كان يصبر على المعاملة القاسية.

لقد ظهرت فيه بوادر الفتح المبين حيث أنّه مرّة زار الشيخ بن عليوة الشّيخ الحاج محمـــّد بـــن يلـــّس في الزّاوية و رأى الشّيخ بن عودة بن مامشا الشابّ. و بفراسته و نظرته الثاقبة تفطّن إلى ما كان كامناً فيه و كلّمه و سأله عن وارداته فأجاب بن عودة و هو لم يتعدّ سنّ الخامسة عشر، فعرض عليه هذا الوارد : " من شدّة قربه منك، إحتجب بك عنك " فطلب منه الشّيخ بن عليوة أن يكرّر له الوارد ثلاث مرّات فإستحسن بن عليوة هذا القول و أوصى الفقراء عليه بحسن معاملته قائلاً " أَحْسِنُوا مُعَامَلَتَهُ، فَسَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ! "

كسائر المدن ، عاشت مدينة تلمسان تحت نار الإستعمار من فقر و حرمان و عذاب، و كان هدف المستعمر تجريد الشّعب الجزائري من تراثه و ثقافته و دينه. لكنّ الزّوايا كانت الملجأ الوحيد لإغتراف القوّة الرّوحيّة المحافظة على الدّين الإسلامي الحنيف.

---

(1) كان مقدما للزاوية الهبرية الدرقاوية .

(2) إدلاء أهله بهذه الشهادات

(3) كان ذلك قبل قيام الحرب العالمية الأولى، و الأدوات المصنوعة من الخشب متمثلة في البراميل و الدلاء و القباب و المحاريث ...إلخ. أما البراميل فكانت تخزّن بها المواد الغذائية كالزيتون، و الدلاء الكبيرة أستعملت في الحمامات أما الدلاء الصغيرة فكان يحفظ بها الماء فيظل بارداً و منعشاً للشرب.

و بعد رحيل شيخه الحاج محمّد بن يلّس إلى الدّيار الشّامية بقي بن عودة بن مامشا وفيّاً لخليفته الأول الشّيخ البغدادلي و بعده الشّيخ البرصالي سنوات قليلة ثمّ أخذ عن خليفة الشيخ محمد بن يلّس ، الشّيخ قدّور بن عاشور و إذا كان شيخ بن عودة الأوّل، متعلّماً و متمسّكاً بظواهر الشّريعة، فالشّيخ قدّور بن عاشور لم يكن شيخاً مربّياً بل كان صوفيّاً عابداً صاحب أحوال ربّانية خارقة و صاحب كرامات مشهـــورة في مدينة ندرومة و نواحيهـــا و كانت تغلب عليه الحقيقة غير مهمل للشّريعة.

و يقول إبن عودة بن مامشا في الشّيخ المربيّ : " إنّ الشّيخ المربّي بمثابة الأمّ الحنون الّتي تتحمّل كلّ شيء بصدر رحب من أطفالها حتّ أوساخهم، أمّا الشّيخ الّذي يكون في مقام الفردانيّة كالشّيخ قدّور بن عاشور رضي الله عنه لم تكن مهمّته هي التّربية و لذا يتصرّف مع مريديه أن كلّف بتربيتهم كالأب مع أولاده تنقصه اللّيونة و يخفي عطفه و لا يصبر على الأخطاء الّتي قد تأتي منهم".(1)

و كمثال على ذلك كان يقصّ الحدث التالي : " لمّا كان الشيخ قدور يسكن ندرومة كنّا نذهب لزيارته و ذات يوم كان الثلج يغلق الطريق و توحشناه ذهبنا شي اربع فقرا نمشوا على الأقدام من تلمسان إلى ندرومة و لمّا وصلنا عنده سخط في وجهنا و قال لنا : " واش اللّي جابكم في هذه الحالة ؟ هيّا ارجعو من اين جيتو " و بدون أن نستريح رجعنا إلى تلمسان." (2)

بينما نرى الشيخ بن يلّس حين إضطرّ إلى مغادرة الوطن و الهجرة إلى ديار الشّام لم يتـــرك مريـــديه مهملين ، بل كلّف إثنين منهم لتسيير الزاوية ريثما مهّد السّبيل إلى الشيخ بن عاشور أن يخلفه كليّاً . علماً بأنّ سبب هجرته كان دخول أحد

---

(1) تصريح للسيد الفقير بومدين مطير إضافة إلى مخطوط كتبه منذ سنة 1970

(2) و كمثال على ذلك كان يقص الحدث التالي : " لما كان الشيخ قدور يسكن ندرومة كنا نذهب لزيارته و ذات يوم كان الثلج متراكما يسد الطريق .لما إشتقنا للشيخ ذهبت مع أربع فقراء مشيا على الأقدام من مدينة تلمسان إلى ندرومة ، و عندما وصلنا عنده صاح في وجهنا قائلا : " ما الذي جاء بكم هكذا ؟ عودوا أدراجكم " و بالفعل من غير أن نأخذ قسطا من الراحة عدنا سيرا على الأقدام إلى تلمسان. "

المريدين عليه و هو يرتدي الزّيّ العسكري الفرنسي حيث أتى هذا الأخير في عطلة لزيارة عائلته فغضب الشيخ على الإجراء التعسّفيَ من طرف السّلطات الفرنسّية و قرّر مغادرة الوطن و معه عدد ضخم من الأهالي التّلمسانية و المريدون و الأحباب.

طـــريقـــــه :

و حول مشيخة بن عودة بن مامشا، روي عنه أنه قال في سنة 1927 م : " سافرو شي فقرا لندرومة باش يزورو سيدي الشيخ قدور بن عاشور قدّس الله سرّه: عادلهم هذه الرؤيا فقال :

" شفـــت راســـي مع سيدَ الوجـــود رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و بيناتنا سيدي بن عودة بن مامشا.

تكلّم سيدَ الوجود مع سيدي قدّور و قالّو :

" ألبس لبن عودة حلّه "

و قال الشيخ قدّور للفقراء اللّي جاوا يزوروه :

" راني لبّستلو قرفطان خضر يدل على المشيخة بصّح ما زال وقتها ماجاش .

و من بعد ارسلّي الشيخ قدور مرسول باش يخبّرني بالخبر بصفة رسميَة و قال لَي : ابعث لي ربعة دورو " ابعثها له.

فاتت 08 سنين على كلام الشيخ (1931) حتّى طلع يسكن في القلعه. قال لَي : عرفت علاش طلعت يا بن عودة ؟ قلت له : لا يا سيدي قال لّي كنت بعثت لك برسالة هذه حالت مَن سنين وراه جاء الوقت باش تفتح الزّاويه ... "(1).

---

(1) " رأيت نفسي مع سيد الوجود رسول الله صلى الله عليه و سلم يقف بيننا الشيخ بنعودة بن مامشا . تكلم سيد الوجود مع الشيخ قدور بن عاشور قائلا : " ألبس لبنعودة حلة المشيخة أو الخرقة " و قال الشيخ قدور للفقراء الذين جاءوا لزيارته : " لقد ألبست له لباسا اخضر يدل على المشيخة و لكن لم يحن وقتها بعد . و بعد ذلك أرسل لي الشيخ قدور مرسولا لكي يعلمني بخبر بصفة رسمية فقال لي : " إبعث لي عشرين سنتيما " فبعثتها له . مرت ثمان سنوات على كلام الشيخ (1931 م) حتى صعوده ليقطن بالقلعة . قال لي : " علمت لماذا صعدت لتسكن هناك يا بنعودة ؟ قلت له لا يسيدي فقال لي كنت قد بعثت لك برسالة منذ ثمان سنوات و الآن لقد حان الوقت لتفت الزاوية " ...

قلت له " آ سيدي أنا مانجمش لهذا المقام و ما نقدش نتحمل أعباء المشيخة " لحّ عليّ ثلث مرّات و في التّاليه قال لّي : غلاما تتقدمش للمشيخة و تفتح زاوية راه يترل عليك حالبلا اللّي ما تنجملوش " إو تمّ مدّيت رقبتي و زاد قال لّي درك تكون زاويتك في حانوتك و حانوتك في زاويتك فكان كذلك " (1)

و إذن المشيخة جاء في مخطوط يصرّح فيه الشيخ قدّور بن عاشور لبن عودة بن مامشا و هو على شكل إطار يزيّن جدار الغرفة التي كان يجلس فيها الشيخ عندما كان على قيد الحياة ليستقبل النّاس و قد سلّمت نسخة عن هذا المخطوط على شكل كتيّب لكلّ فقير.

و أصبح بن عودة بن مامشا شيخاً مربّياً مرشداً صاحب زاوية بدأت بعدد قليل من المريدين حتّى زاد العدد و المدد. و كان يضرب به المثل في التواضع و البساطة و الخلق.

و كان دائماً يردّد الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ، قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً ." رواه أحمد و إبن حبّان في صحيحه (2)

كان رحمه الله يعامل النّاس كافة معاملة واحدة . كان كتوماً قليل الكلام حتى ظنّه البعض أنّه أبكم، و تراهنوا على أنّه لا يتكلّم لأنّه يطيل الصّمت و الحديث الشريف الذي رواه انس رضي الله عنه قال : " لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا ذرّ فقال : " يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خِصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ ، وَ أَثْقَلُ عَلَى الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قال : عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ،

---

(1) قلت له " لا ياسيدي ، أنا لا أقدر لهذا المقام و لا أستطيع تحمل أعباء المشيخة " ، " ألح علي ثلاث مرات و في المرة الأخيرة حذرني قائلا : " إن لم تتقدم للمشيخة و تهم بفتح زاوية صوفية سترل عليك بلاءا لا تستطيع تحمله " إذا خضعت للأمر و سلمت رقبتي و أضاف قائلا : " سوف يكون مكان زاويتك في دكانك و دكانك في زاويتك ". فكان الأمر كذالك ". (لرؤيا نقلت من دفتر دونت فيها معظم الرؤى المنامية للشيخ بنعودة بن مامشا رحمه الله)

(2) الحافظ المنذري ، " الترغيب و الترهيب – ج3 - " ، ص 407.

و طول الصّمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما " (1)

و كان رحمه الله دائماً يذكّر الفقراء بأمور دينهم طبقاً لقوله تعالى " وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " (2) و يحثّهم على التّمسّك بالشّريعة السّمحة لقوله صلّى الله عليه و سلّم : " شَرِيعَتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ فَمَنْ رَكِبَهَا فَقَدْ نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّى عَنْهَا فَقَدْ غَرِقَ " كما أوصاهم بالعمل بالسّنة و الحرص عليها و كان يكرّر دائماً الحكمة التالية:" و الله ما أفلح من أفلح إلاّ بصحبة من أفلح!" . و كثيراً ما كان يضرب الأمثال عند تربيته للفقراء و كان يعقّب على الإنسان الذي يقوم الليل و يتهجّد و يذكر الله و يرى النّاس دونه، فكان يقول : " الأفضل له أن ينام فمن تواضع لله رفعه".

و من وارداته " من دلّك على العمل فقد أ تعبك ومن دلّك على الدّنيا فقد غشّك و من دلّك على الله فقد نصحك "

كان الشيخ بن عودة بن مامشا نورا موضوعا , ينطق بالحق ، و يسير في الحق لا يؤذي أحدا لا بلسانه و لا بيده . كان طليق الوجه مبتسما رغم الآلام التي كانت تلازمه في بعض الأحيان، كان يجود بما يملك عملاً بقوله تعالى : " و يؤثرون على أنفسهم و لو كانت بهم خصاصة " (3) كان يكرم الضيف و عابر السّبيل و المحتاج و يفضلهم على عياله فيعطيهم الطعام و الشراب و المأوى.

و صرّح ذات يوم قائلاً : " لا يجب أن ننكر ما يفعله أهل الشّريعة بإنتقاداتهم لبعض أهل الزّوايا، فهم حرّاس العقيدة " و كان يلوم بعض أهل الزوايا لإنحرافهم عن بعض الشروط الضرورية كعدم البوح بأسرار القوم و عدم الإدّعاء و الغرور و كذا إظهار سلوكات منافية للشّريعة السّمحة.

---

(1) الحافظ المنذري ، المرجع نفسه ، الحديث رواه ابن أبي الدنيا و الطبراني و البزار و أبو يعلى بإسناد جيد رواته ثقات، ص 407.

(2) سورة الذاريات : آية 55

(3) سورة الحشر الآية 09

عرف الشيخ بخموله و سرّيته. يروى أنّ أستاذاً مصريّاً أقام لمدّة بالجزائر بحكم تدريسه مادّة الشّريعة الإسلامية بدار الحديث و بما أنه كان يقوم بدراسته حول التّصوف الإسلامي بتلمسان، زار كلّ الزوايا و أخذ المعلومات التي تلزمه بالإضافة إلى ملاحظاته أثناء مجالسته للمشايخ و الفقراء. و زار أيضاً الزّاوية المامشاوّية و شرح للشيخ أسباب الزّيارة كتبرير على حضوره معهم. و كان في أوّل الأمر يعارض ما يقوله الشيخ بن عودة بن مامشا و يتدخّل ليفسّر الآيات و الأحاديث الشريفة و الحكم ... إلخ و بعد فترة أدرك جزءاً من حقيقة الشيخ فأخذ العهد عنه و تأدّب بآداب الفقراء فترك تدخّلاته و شروحاته. و كان كلّما تكلّم فقير في حضرة الشيخ يشير إليه بالسكوت و الإنصات إلى شرحه، فاندهش لما أتى به الشّيخ من تأويلات و تفسيرات. (1)

لقد كان الشيخ يسهر اللّيل كلّه يذكر الله ينتظر موعد آذان الصّبح ليصلّي و كان لا يذوق طعم النّوم حتّى يأتي الفقراء ما بين صلاتي المغرب و العشاء. و ممّا يدلّ على نومه العميق أن يسمع له زفير يصدر من فمه حتّى أنّ طاقم الأسنان الّذي يستعمله يسقط من مكانه. وإندهش هذا الأستاذ عندما حضر لمجالس السّماع فيرتكب المسمّع خطأً لغويّاً أو غيّر بعض الحركات للكلمات، إذ بالشيخ ينهض فجأة من نومه العميق و يصحّح له الخطأ ثمّ يعود إلى النّوم و كأنه لم يقم. و كثيرة هي الأمثلة الّتي تدلّ على أنّ الشيخ بن عودة بن مامشا كان من العارفين بالله، متأدّباً مع خالقه و مع رسوله عليه الصلاة و السلام و مشايخه الكرام و مريديه و مع كلّ النّاس.

---

(1) من شهادات الفقراء المعاصرين للشيخ .

و عمّا رواه بعض مريديه أنّ أستاذا في اللّغة العربية يدعى بـــ 'أحمد' كـــان يقصد الزّاوية و يجلس مع الفقراء. و من محبته لهم ، أخذ ذات يوم الورد عن الشّيخ و إنضمّ إليهم و إشترى مسجّلاً خاصّاً ليسجّل الشّيخ بن عودة بن مامشا.

و لمّا كان الفقراء يزورونه بالفندق الّذي يسكن به يجدونه دائماً منصتاً للتسجيلات التي قام بها بإمعان. و كان يتأسّف قائلا :" آه ! لوعلم أهالي تلمسان حقيقة الشّيخ بن عودة بن مامشا لإستفادوا منه الكثيرَ ".

أمّا عن ملبسه رحمه الله فلم يرتد لباساً أوربيّاً أو عصريّاً قطّ منذ ولد. فكان لباسه تقليديّ للغاية منسوج بتلمسان. كان يضع سروالاً عربيّاً أي سروالا عريضا يلبسه الآن المسنّون و قد قلّ إستعماله في أيّامنا هذه كثيراً ، لسيطرة الألبسة الجاهزة و العصريّة. و كان ينتعل حذاءاً مصنوعاً باليد و لم ينتعل قط الحذاء الأوروبيّ . و كان يرتدي عبـــاءة خفيفـــة القمـــاش " القشّابة" صيفاً ، و عمامة على رأسه طوال السنة ، ما عدا في فصل الحرّ كان يستبدلها بقلنسوة.

و كان يأكل رحمه الله في أواني تقليديّة خشبيّة ، و كان يفضّل الأطعمة البسيطة كالكسكـــس، و خبز الشعير ...إلخ؛ فكما نستنتج ممّا سبق ذكره، أنه كان إنسان بسيط في حياته ككلّ.

و يروى أنّه ذات يوم إشترى بضاعة ما من شخص كان يبيع في السّوق و فجأة ظهر أفراد من الشرطة الفرنسية فألقوا القبض عليه، و وضعوه في الزنزانة بتهمة شراء شيء مسروق ، فأمضى اللّيلة في السّجن يذكر الله و يدعوه حتّى الصّباح فأطلقت الشرطة في ذلك الصّباح سراحه و سراح جميع المساجين. فكيف نفسّر هذه الحادثة ؟ هل إلقاء القبض عليه مكيدة دبّرتها السّلطات الفرنسية لعدم تعامله معها فأرادت الضغط عليه بهذه الطريقـــة فتشوّه سمعته ؟ أم هل كان الشيخ و هو من أولياء الله تعالى سبباً في الإفراج عن المساجين الجزائريّين ؟

قال الله تعالى في كتابه العزيز : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (1)

لقد لقّب الشّيخ قدّور بن عاشور الشيخ بن عودة بن مامشا بـ " الشّارب من القلّتين" و كان يقصد بتلقيبه هكذا كون الشيخ بن مامشا أخذ السّرّ من عند شيخه الحاج محمّد بن يلّس و طريقته متمسّكة بالشريعة بمحاربته البدع في مجتمعه و التّصدّي لها بقوّة . و أخذ أيضاً عن الشيخ قدور بن عاشور الّذي تغلّب على أحواله الحقيقة فيظهرها في الكرامات و خوارق العادات و البوح بحقائق إلاهيّة في قصائده.

و من ذلك أنّه ذات يوم وجّه سبعة فقراء دعوة له لحضور مأدبة عشاء معهم جميعاً ، و أصرّ كلّ واحد على الشيخ بتلبية الدّعوة. فلم يشأ أن يفضّل أحداً على الآخر فذهب لتناول العشاء مع كلّ واحد منهم في نفس الوقت . و في صباح الغد جاء كلّ فقير يفتخر بتفضيل الشيخ له ، إذ به حضر عندهم كلّهم ، فتعجّبوا لأمره. و كراماته كثيرة ليس غرضه منها جلب إهتمام النّاس و تقديسهم له، و إنّما عرف بالجذب و إظهار أحواله.(2)

كان الشّيخ بن عودة بن مامشا شيخاً مربّياً يخفي أحواله لأنّه عرف بالشّيخ الخامل، و لا يظهرها إلاّ إذا ما تعذّر عليه إخفاءه؛ و الحادثة الّتي جرت له مع فقير له لدليل على خيره الكثير. حيث كان فقير له يحتضر إستنجد به في آخر لحظة فأتاه الشيخ مسرعاً رغم إصابة رجله بمرض، و قام بنجدته فقرأ على كوب ماء و أعطاه للمريض فشربه و شعر أنّ كلّ الألم الذي كان به قد بدأ بالنّزول. فطلب منه الحضور، أخذه إلى الحمّام فأخرج ماءاً فأحسّ بالرّاحة و تماثل للشفاء.

و لمّا شرب المريض ، حصل شيء أذهل عائلته و حملة القرآن المتواجدين هناك، إذ كان فوق الخزانة "غسّال" أي مغلاة نحاسيّة صفراء كانت مثبّتة إذ بها ترتفع إلى السّماء لوحدها و تسقط فتنكسر يدها، فقال الشّيخ " الحمد لله " أي

(1) سورة يونس، : الآية 62.

(2)من جملة القصص المتداولة بين اهل الزاوية المامشاوية

أذهبت البأس فكان الفضل في الشّفاء يعود لله تعالى على يد الولي الصّالح (1) إبن عودة بن مامشا(2). إنّ الكرامات الّتي كانت تأتي على يديه حتمية إضطرارية.

لقد أنكر أستاذ في اللّغة العربية أمر التّصوّف فالتحق بالزّاوية المامشاويّة قصد الإختبار و التّحقق من أمر شيخها. و أثناء حضوره كان دائم التساؤل عن حال الشّيخ و يستفسر عن عدم ظهور كرامات على يده و خوارق عادات كسائر المشايخ الّذين سمع و قرأ عنهم في الكتب. ذات يوم عاد الأستاذ من الزّاوية إلى مترله و الشّكوك تراوده حول حقيقة الشّيخ بن مامشا. لمّا دخل إلى داره إذ يرى الشيخ ينظر إليه واقفاً في الباب ، ثمّ نظر إلى النّافذة فوجده ينظر إليه ، فأبعد نظره إلى أمكنة أخرى فوجده دائماً ينظر إليه مبتسماً، فعرف الرجل أن ما هو إلاّ شيخ حقّ(3).

لقد جمع إبن عودة بن مامشا بين الكتمان و إظهار الأحوال ، و مريدوه سائرون على منهاجه و طريقه، لهذا كان يردّد دائماً الحكمة الّتي تقول : " من تشرّع و لم يتصـــوّف فقد تفسّق و من تصوّف و لم يتشرّع فقد تزندق، و من جمع بينهما فقد تحقّق ". (4)

كان وليّاً صالحاً لا تهمّه الشّهرة، بل كانت تفرض عليه فرضاً و كان يكره المدح، لأنّ النّفس تشتهيه . و هو كشيخ مربّي يكشف خبايا النّفس و مواطن خداعها ، فكيف يركن إلى المدح و الشّهرة الّتي تجرّ صاحبها لا محالة على الغرور ؟

و لمّا عرف بالتّواضع و التّربيّة و الأخلاق الرّفيعة، أحبّه حتّى خصوم الطّرق الصّوفيّة التّقليديّون. فكان يسير بالله و لله " مِنْهُ لَهُ فَلَهُ " هذه هي العبارة الّتي كان يردّدها و حفظها الفقراء.

أمّا عن علمه فهو كسائر أولياء الله علمهم لدني من عند ربّهم ، يقول أحدهم في هذا الموضوع : " و إعلم أنّ النّبوّة و الولايـــة يشتركـــان في ثلاثـــة أشيـــاء

---

(1) الولي من تولى بالطاعة والتقوى فتولاه الله بالحفظ و النصرة (أنظر منهل الواردين ، من شرح رياض الصالحين ج1" لأبي زكريا النووي ، ص 117 ،

(2) حادثة جرت للفقير المامشاوي بومدين مطير

(3) و (4) عما رواه بعض الفقراء المعاصرين للشيخ بن عودة بن مامشا.

الواحد العلم من غير تعليم تكسّبيّ و الثّانيَ الفعل بالهمّة فيما جرت العادة ألاّ يفعل إلاّ بالجسم إذ لا قدرة للجسم و الثالث في رؤية عالم الخيال في الحسّ" (1)

كان الشّيخ صادقاً مع مريديه ، لا يخفي عليهم شيئاً و يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، زاره مرّة شيخ مدّع و نصحه قائلاً : " يا الشيخ ما تعطيش كل شي للفقراء غير ملّس و طلّس " فأجابه الشيخ بن مامشا : "يا خاي لو كان نملّس و نطلّس كل شيء يطلع مفلس ! و أضاف قائلاً : " هذه أمانة في عنوقنا ربّي يسألنا عليها " (2)

توفّي الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله بتلمسان في الرابع و العشرين من جانفي سنة 1983 م تاركاً آثاراً روحيّة كبيرة في مريديه و أتباعه منهجاً تربويّاً لتربيتهم . و زاويته التي تركها تحضى بتقدير الجميع و لازالت مفتوحة و عامرة لحدّ الآن . و قد ترك الفقراء في مدينة تلمسان و ندرومة و الجزائر العاصمة و معسكر و القليل منهم بالخارج، يلتقون في المناسبات الدّينيّة بالزّاوية الأمّ بتلمسان .

لم يشأ الشيخ بن مامشا أن يُدفن في الزاوية و لم يرد أن تعتليها قبة كسائر الزّوايا ، بل فضّل أن يكون قبره بمقبرة سيدي السنوسي عاديا كسائر القبور.

و يتذكّر جميع أهالي تلمسان حتّى العوامّ منهم أخلاقه الكريمة كونه صاحب بركة و معدن نادر الوجود ، و بقيت الزّاوية المامشاويّة بعد وفاة صاحبها و ركيزتها بدون شيخ لبعض السّنوات، و كانا المقدّمان السّيّد صالح عصمت بوكلي حسن (3)، و السّيّد قدّور السّبيّع (4) و جميع الفقراء يعتنون بها إلى غاية تولّي حفيد الشيخ السّيّد سيد أحمد المامشاوي المشيخة .

---

(1) M.E BLOCHET, « Etudes sur l'ésotérisme musulman » , P.79

(2) روى هذه القصة بعض الفقراء القدامى المعاصرين للشيخ بن عودة بن مامشا : " يا شيخ لا تعطي كل الأسرار للفقراء ، إحتفظ بأمور لنفسك " فأجابه الشيخ بن مامشا : " يا أخي لو لم تتقن عملنا جيدا يفسد كل شيء ! و أضاف قائلا : " هذه أمانة في أعناقنا الله يسألنا عنها . "

(3) فقير مامشاوي دخل الطريقة المامشاوية سنة 1970 .درّس في إكمالية مشكانة اللغة العربية فكان نعم الأستاذ و الآن هومتقاعد سنه 63.

(4) فقير مامشاوي دخل الطريقة المامشاوية سنة 1970 .درّس اللغة الفرنسية بمتوسطة جلاد محمد و بعد ذلك أصبح حارسا عاما ثم بعد سنوات أصبح مديرا إشتغل بالغزوات و مدينة تلمسان و الآن هو متقاعد و سنه 63.

و قد ظهرت إشارات عنه تبيّن أنّه هو الخليفة لجدّه و وارث سرّه و هي رؤى منامية رآها الفقراء عنه . أمّا هو فلم يسع وراء المشيخة إطلاقاً بل عرضت عليه و أيضاً لأنّ مقرّ الزّاوية هو منزل العائلة لذا لم يرج توليتها لشخص غريب عن العائلة المامشاوية.

2-2 الشيخ سيد أحمد مامشاوي :

بعد بضع سنوات من وفاة الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله، علم نفر من المريدين أنّ خليفة الشيخ لم يكن سوى الشيخ سيد أحمد ، و ذلك لما يمتاز به من رصانة و صبر و صمت و أخلاق حميدة و كرم.

هو سيد أحمد بن عبد الحيّ بن بن عودة بن مامشا ، المولود بتلمسان سنة 1948م نشأ و ترعرع بمدينة تلمسان . من صفاته الشّغف بحبّ العمل و الكدّ لنيل الرّزق ، لقد إحترف مهنة متمثّلة في صناعة طاقم الأسنان منذ سنّ مبكّرة . و رغم أنّ مستواه الدّراسيّ متوسّط بحيث درَس حتّى السّنة الثّالثة تقني ، إلاّ أنه إشتهر و تصدّر إسمه لائحة أطبّاء الأسنان بتلمسان بفضل الجهود الّتي بذلها .

و نظراً لأمانته و إتقانه كان يقصده الكثير من الزبناء في مدينة تلمسان ومن ولايات عديدة من الجزائر (1).

و لا يحتاج الشيخ المربي في إعتقاد الصّوفية إلى المعارف المكتسبة في المسار التّعليمي من المدرسة إلى الجامعة فالعكس هذه المعارف تعرقل أكثر ممّا تساعد لأنها بإستخدامها لقدرات العقل تشكّك في كلّ ظاهرة و تسعى لشرحها و تبريرها بينما يقول العارفون " إنّ العقل محدود فهو على قدر هذا الجسم البشريّ و على قدرما يحتاج إليه في هذه الدنيا " بينما الرّوح إذا تحرّرت من سجنها بفضل الله ليس لها حدّ في التّطلع على المغيبات و الأسرار الّتي ليس للعقل المجال في إدراكها و فهمها.

---

(1) إدلاء الشيخ سيد أحمد المامشاوي بنفسه

فالشّيـــخ المربيّ ليـــس في حاجة إلى شهادات جامعية إذن ، بل هو في حاجة إلى طاعة الله و رسوله و محاربة و مخالفة النفس و الهوى بدون هوادة و إلى أذكار معيّنة و إلى تقوى الله طبقا للحديث القدسي : " يَا عَبْدِي كُنْ لِي كَمَا أُرِيدُ أَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ أَجْعَلْكَ رَبَّانِيًّا تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونْ " (1) ؛ و يقـــول الرسول الكريـــم صلى الله عليـــه و سلم: " إِتَّقِ اللهَ تَرَ الْعَجَائِبَ " (2)

و منذ أن تقلّد مسؤوليّة الزّاوية المامشاويّة بين الشّيخ سيد أحمد إستحقاقـــه و جدارته لتولّي الخلافة بعد جدّه رحمه الله.

و منذ تولّيه المشيخة أعطى للقرآن مكانه أكبر ضمن البرنامج اليومي و قرب أكثر حاملي الكتاب الكريم و شجع أولاده بحفظه على يد الشيخ المقرئ ، و كان الشيخ بن عودة أخبر عن هـــذا التطور قائـــلا :" يجي من بعدي وقت كل الفقراء يكونوا يحفظوا القرآن "(3) هذا ما يقع فعلا إذ أصبح فقراء الزّاوية يهتمّون كثيرا بالقرآن الكريم و منهم من إلتحق بالكتّاب قصد حفظه.

2-3 / أ- حياة الشيخ محمّد بن يلّس :

ولد محمّد بن الحاج علاّل بن لحسن بن الحاج علي بن محمّد بن يلّس شاوش سنة 1271هـــ/1850 م بمدينة تلمسان و كفلـــه عمـــّه سيدي محمّد بن يلّس بعد وفاة والده و ربّاه أحسن تربية.

يقول عنه إبنه مصطفى بن يلّس : " كان من صغره يجتمع مع رفقائه في مكان لهم في حومة الشيخ الإمام أبي عبد الله محمّد السّنوسي الشّريف المعروفة بدرب الصّوفيّة .

---

(1) حديث قدسي متداول بين اهل الزاوية المامشاوية في الدروس التعليمية المقدمة " لم نجد له توثيقا "

(2) حديث شريف " " . " لم نجد له توثيقا "

(3) رواه بعض الفقراء القدامى عن الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله : " سوف يأتي من بعدي زمن يحفظ فيه كل الفقراء القرآن الكريم "

و كانوا أيضاً يحبّون العلم و العلماء حتّى إتّصلوا بالعلاّمة العظيم الفقيه الجليل العارف بالله سيدي أحمد بن محمّد الدّكالي و أخذوا عنه العلم النّافع من عربيّة و فقه و توحيد و تصوّف " (1)

و كانوا أيضاً يحضرون في مجالس علماء آخرين و فقهاء و أدباء ...أمّا عن علم التّصوّف فأخذه الشيخ بن يلّس عن الشيخ الدكّالي الّذي دلّه على حاج الحرمين الشريفين محمّد بن أحمد الشّريف الحسني السّاكن بجبل بني زناتن أو (بني زناسن) و أخذ عنه الذّكر الخاصّ و نال بذلك السّرّ المصون و العلم المكنون فـأذن له بإرشاد النّاس. ثمّ رافق شيخه لأداء فريضة الحجّ سنة 1305هـ فرأى الكرامات الكثيرة و الخوارق العجيبة و بعد رجوعه من الحجّ تصدّر لتعليم النّاس و إرشادهم و قد هدى الله على يديه خلقاً كثيراً و إشتهر أمره و شاع خبره الخاصّ و العامّ و له الفضل في نشر الطّريقة الدّرقاوية في تلمسان و ضواحيها.

و إنتقل إلى رحمة الله شيخه الهبري سنة 1317 هـ . ثمّ سافر إلى بلاد الرّيف ببلاد المغرب حيث بقي سنة ثمّ رجع إلى تلمسان . و عاد إلى تربية النّاس ثمّ إجتمع بالشيخ سيدي محمّد بن الحبيب البوزيدي المستغانمي و هو أخو الشيخ الهبري. و الشيخان الأخوان أخذا سرّ الطّريق عن شيخهما الشريف الحسني الشيخ محمّد بن قدّور الوكيلي دفين كركر. و أذن الشيخ البوزيدي للشيخ إبن يلّس بإرشاد المريدين و تربيتهم . (2)

و في سنة 1329 هـ / 1912 م هاجر الشيخ إبن يلّس بسبب تجنيد الجزائريّين في الجيش الفرنسي و ترك المقدّم الحاج عبد القادر بن مامشا قائماً على الزاوية و أذن لخليفته الشيخ بن عودة البرصالي في تلقين الأذكار للفقراء، و بعد وفاة هذا الأخير خلفه الشيخ الغوتي البغدادلي حتّى وفاته.(3)

---

(1) ، (2) و (3) " ديوان الشيخ محمّد بن يلّس" جمعه مصطفى بن يلّس ، ص3

هجرة الشيخ إبن يلّس إلى الشَام :

هاجر الشيخ إبن يلّس مع عدد من تلامذته و أتباعه و محبيه من تلمسان سرّيّاً عبر المملكة المغربيّة و جبل طارق و مرّوا بمغامرات و صعوبات كثيرة قبل وصولهم إلى الشّام. و من رفقائه الشيخ الهاشمي الّذَي أسّس هو الآخر طريقة درقاوية بدمشق.

و أقام فيها الشيخ إبن يلّس إلى غاية وفاته 11 جمادى الثانية سنة 1346 هـ و كانت مدّة إقامته فيها 17 عاماً فزادت شهرة بواسطته الطريقة الشاذلية و أخذ عنه الكثير أهل الشّام . و ظهر على يده الخير الكثير و كان يجتمع مع كبار علماء الشّام أمثال فضيلة الشيخ الكبير صاحب الزاوية المشهور بالشيخ محمود أبو الشّامات و الشيخ يوسف النّبهاني صاحب المؤلّفات العديدة و القصائد الرّائعة و الشيخ أمين سويد و غيرهم من المحدّثين الأفاضل .

و بعد وفاته إتّفق علماء الشّام كبار أهل الطّرق على تولية إبنه العلاّمة الشيخ أحمد بن يلّس التّلمساني فألبسوه برنوس والده و بايعوه على إتباع كتاب الله و سنّة رسول الله و المداومة على الذّكر و المذاكرة فقام بأمر الزّاوية أحسن قيام. و هذه الزّاوية تسمّى بالزّاوية الصّمادية و هي بحيّ الشّاغور بدمشق و لقد زار تلمسان سنة 1368 هـ فإستقبل إستقبالاً عظيماً و ذهب إلى المغرب لزيارة زاوية الشيخ الهبري فجدّد معه عهد والده و أعطاه الشيخ الإذن في الإرشاد و التّعليم.(1)

ب – / حياة الشيخ قدور بن عاشور :

هو الشّيخ قدّور بن أحمد بن قدور بن محمد بن علي بن الطيب بن إدريس بن إدريس، و هو حفيد السّيد قدور بن عاشور الزّرهوني الذي كان خليفة باي وهران بدائرة ندرومة" (2)

---

(1) " ديوان الشيخ محمّد بن يلّس" جمعه مصطفى بن يلّس ، ص3

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص16

و يعو د نسب والديه كما يعتقد إلى النّسب الشّريف (1).

ولد الشيخ عام 1850 م الموافق ل عام 1267 هـــ و توفي سنة 1938 م الموافق لسنة 1356 هـــ. و خلال حياته أثرى الأدب الصوفي باللّغة الفصحى و العامّية و ترك ديوانا ضخما إشتهرت بعض قصائده التي تم تلحينها يؤديها المطربون ليومنا هذا أمثال الحاج محمد غفورعميد الملحون.

ترعرع الشيخ قدور في ندرومة و تأثّر كثيرا بأسرته و تخلّق بالقيم السامية التي حافظ عليها و تعلم قليلا في الكتاب حيث كان يحفظ القرآن و توصّل إلى ربط الحروف لتكوين كلمات، وتفرّغ منذ صغره لخوض غمار الحياة و فضّل رعاية البقر و الأغنام.

يروى أن الولّي الصّالح أحمد البجائي المسمّى بصاحب النّخلتين من أقرباء الشّيخ قدور بن عاشور حيث أنهما يلتقيان في جدّ واحد ، جاء من بجاية مع عبد المؤمن بن عليّ ، و حين وصوله إلى ندرومة توفّي بها رحمه الله فأصبح صاحب ذلك البلد يعتبر أوّل من بنوا عليه قبة أي وضع له ضريح لا يزال يزار ليومنا هذا.و هناك قصة عجيبة يرويها الناس بندرومة و يعتبرونها كرامة.

و ذلك أن الشيخ إبن عاشور لم تكن له صلة بالغنـــاء لم تكـــن له معرفة بالتّلحين أبدا. و ذات يوم رأى الشّيخ ضرورة زيارة ضريح البجائي رحمه الله تعالى، فلمّا دخل الشّيخ قدور هذا المكان المقدس وجد آلة موسيقية وترية هي آلة القمبري و هي مجلدة أو مغطاة بجلد أخضر مصنوعة من جوز الهند .

فأُعجب الشّيخ إبن عاشور بالآلة فجذبته وراح يضرب فيها فأصدرت صوتا رائعا ، ثم وضعه في المكان الّذي وجده فيه و خرج من القبّة وراح مذهولا يحكي لأمه ما حدث له ، فقالت له إنّ هذه بشرى لولدها فأجابها أنّه لا يعرف

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص 17

العزف على هذه الآلة فقالت له أمّه : " يا ولدي همّة أهل الله هي تعرفك بكلّ شيء" و لم يعلم قدّور أنّ الآلة هديّة من الشّيخ البحائي له ، فعاد مرة أخرى و ضرب على القمبري فأخذهـــا معه إلى الدار و أراها لأمّه ففرحت لما فيه من خير.

و قرّر الشّيخ قدور أن يبيت في الضريح مدّة حتّى يتعلم نظم الأشعار و العزف على الآلات الوترية و لطوال المدة قرر والداه أن يبيتا معه، و لم ير شيئا حتّى بلغ ستّين ليلة فخرج له الشيخ في ليلة جمعه و أعطاه كتاب "دلائل الخيرات" و ساعة من الذهب على قدر الكفّ و زيادة...و قال له :" يا ولدي كانت عندي هذه السّاعة لما كنت بالشبح و الروح...ثم أُعطاني كامنجة خضراء و أمرني بالضرب فصرت أضرب بها مثل العالمين بخدمتها و فارسا فيها..."

و يروى أن إبن عاشور ذكر رؤيته و حديثه فقال :" قال لي يا ولدي إنك مأذون في ضرب الأوتار و نظم الأشعار فمن ثمة صارت الأشعار تعرض علي أفواجا أفواجا و صرت أضرب في آلات الأوتار أحسن ممن خدم في علم الأوتار عشر سنوات..." (1)

و كانت الأشعار تنزل كالوحي الوابل على الشّيخ قدور بن عاشور بألحانها. فإشترى آلات موسيقيّة متنوّعة ، و أنشأ جوقا موسيقيا يليق بمظهره. و بدأ الشّيخ في الغناء و تزايد عدد مستمعيه . و أصبح يقيم حفلات الأعراس و الأفراح بأنواعها. و كانت الحفلات في ذلك العهد تسمح بضرب الآلات كالشبّابة و المزمار. فحسب الناس أنها لهو يتمّ فيها إختلاط الرّجال مع النّساء و ما إن شرع

---

(1) الشيخ قدور بن عاشور " المناقب " (قام بتصحيحه المقدم صهر الشيخ قدور بن عاشور السيد قدور السبيع ، ص 113 من المكتبة الخاصة بالزاوية المامشاوية.)

الشّيخ ذو الهيبة و الوقار، في العزف حتى كفّ الحاضرون عن الكلام الدّنيء و لم يقع الإختلاط و عمّ جو الإحترام بين الجنسين. و إعتاد الناس على غنائه و كانت لا تفـوت ليلة إلاّ و يحييها الشيخ و كان يجمع كلّ المـال الذي يرجعـه و يعطيـه لمن يلقاه مـن الفقـراء و المساكين و اليتامى و الأرامل فيدعون له بالخير و هذا يدلّ على أنه كان يحي الحفلات لا للتكسّب و إنما لأغراض أخرى. (1)

و هناك رواية أخرى مفادها أنّ الشّيخ قدّور كان يقرض الشّعر و يتعاطى الغناء منذ بلوغه سنّ الثالث عشر سنة إلى أن تمكّن من الشّعر تميز بصبغة خاصة فجادت قريحته بفن لا مثيل له. فأصبح شاعرا موهوبا و مطربا مبدعا يطلبه كل السامعين. و إخترق صوته ندرومة لينتشر عبر أرجاء الوطن مرورا بتلمسان ، فكان حقيقة عبقرية فذة.

نظم الشّاعر الفحل الشّيخ أمحمد الرمعون قصائد عديدة من بينها رائعته الّتي مطلعها " يا الّايمي في ليعتي " و قد تربع في عهد الشيخ قدور على عرش الشّعر الملحون في ندرومة. وقد تزوّج إبن عاشور بإبنة الرمعون و إستفاد كثيرا من هذه المصاهرة في فنّه.

يصف حفيد إبن عاشور نظم جده للشعر قائلا : "كان نظمه في الشعر كرياضة فكرية و أدبية على سنّة الأدباء الشعبيّين في عصره، ثم كوسيلة للتعبير عن خلجات صدره و مشاعر للإتصال مع غيره تارة، و تارة أخرى للإدلاء بدلوه في أغراض كان الناس يقلـبون عليهـا و خاصـة منها الغزل ووصف الطبيعة و الفخر و المديح النّبوي و الذّكر و المواعظ. كما تعاطى العزف و الغناء في مجالس الطرب الشعبية تقام بمناسبة الأعراس و الولائم " (2)

---

(1) الشيخ قدور بن عاشور ، المرجع السابق ، ص121

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص19 بتصرف.

كان يحسن إختيار مواضيع القصائد على حسب المناسبة و المقام و الساعة و كان يؤديها بإتقان مع الفرقة المصاحبة له. و أصبح شيخا من شيوخ الطرب و شاعرا فحلا في نظم الشعر الملحون إنشاده للناس. فكانت إنتاجاته الفنّية تحفا في غاية الروعة.(1)

و من ناحية النّشاطات الدّينيّة، فقد كان يعتزل النّاس و يختلي بنفسه طويلا و يبيت بمقام الوليّ الصّالح البجائي رحمه الله. كان يعمل بنصائح والده و تعاليم شيخه المصطفى بن عمرو التّراري الوزاني. فكان يجاهد نفسه أشد الجهاد، و رحل إلى مدينة تلمسان و أقام بها أربع سنوات من سنة 1926 م إلى سنة 1930 م .(2) ليدير زاوية الشيخ إبن يلس بطلب من هذا الأخير حين هاجر إلى الديار الشامية.

كراماته:

قال الشيخ محي الدين بن عربي في الباب الرابع و الثمانين و مائة من الفتوحات المكية فيمن تظهر على يدهم الكرامات .

" إعلم أيّدك الله أن الكرامة من الحق من إسمه البرّ ، و لا تكون إلا للأ برار من عباده جزاء وفاقا ..." (3)

لقد رويت كرامات على يد الشيخ قدّور بن عاشور رحمه الله تعالى من بينها أن الله كشف له أسرارا من الطبيعة فأ تت النّباتات عنده و بيّنت له منافعها و مضارها.

و ممّا يؤكّد هذا النّوع من الكرامات ماذكره الشيخ النبهاني في جامعه للكرامات عن الإمام عبد الرؤوف المناوي في مقدّمة الطبقات الصّغرى أنّه عدّد أنواعاً كثيرة من كرامات الأولياء منها : " ... و منهم من يكشف له عن عالم النّباتات فتناديه كلّ شجرة و عشبة بما تحمله من خواصّ المضارّ و المنافع، فتقول له : يا عبد

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص19

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص20

(3) يوسف النبهاني ، " جامع كرامات الأولياء" – ج1- ، ص 44

الله أنا أنفع لكذا ، أنا أضرّ بكذا .." (1)

قال الشيخ قدور بن عاشور في مناقبه : " ثمّ أعلمك أيّها الحبيب بأمر جرى لي في ليلة بعد صلاة العشاء بساعة أو أكثر فكنت جالساً في مكاني ، و إذا بزوجتي أتتني بمائدة الطعام و فوق الطعام قطعتين من اللحم فلمّا شرعت في الأكل إذ سمعت منادياً ينادي في البحر و البحر يتلاطم بأمواجه و هو يقول يا أهل الإغاثة أغيثوني يا سيدي محمد بن أبي زيان ، يامولانا عبد الله الشريف ، و هذا المنادي إسمه بوزيان المنقوشي بن الحاج الدّريوش المنقوشي من أهل ندرومة و كان في بلد الماركان " أمريكا" و السيد ينادي و يبكي فمددت يدي إلى القطعتين اللتين كانتا فوق الطعام و رفعتهما فوق رأسي فلمّا رفعتهما إرتفع البابور فوق البحر فنزل كلّ من كان راكباً في البابور المتقوب إلى البابور الصّحيح و السيد بوزيان معهم فارحاً مسروراً فرجع بابور فرنسا إلى مرسيلية جاذباً معه بابور المريكان المتقوب .

فلمّا أصبح الصباح و أضاء بنوره و لاح ، قـــدمت إلى الحاج المنقوشي أبو المستغيث و أخبرته بما جرى لإبنه في البحر ، فقال لي لا أدري ، ثمّ مضت سبعة أيام و إذا برسالة أتت من عند إبنه بوزيان الذي جرت له هذه الواقعة المذكورة ، و أخبره كما ذكرت أنا لأبيه ، فلما جاءت هذه الرسالة لأبيه أتاني أبوه و قال لي أن الأمـــر الذي أخبرتني به سابقاً صحيح و يا سيدي إن أمرك عظيم و شأنك فخيم ، فقلت له إلزم الأدب و اكتم سرّك فلا تفشيه لأحد من النّاس " (2)

و ذكر النّبهاني في جامعه للكرامات عن التّاج السّبكيّ أنّه عدّد أنواعاً في طبقاته الكبرى، من الكرامات ، منها قدرة الأولياء بإذن الله على رؤية المكان البعيد من وراء الحجب، كما قيل أنّ الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة و هو ببغداد. (3)

---

(1) يوسف النبهاني ، " جامع كرامات الأولياء" – ج1- ص 63

(2) الشيخ قدور بن عاشور المرجع نفسه ، ص 44

(3) يوسف النبهاني ، المرجع السابق ص 149

و لم يكتـــف الشيخ قدّور بن عاشور برؤية المكان البعيد بل تصرّف في أمور أذن الله لـــه بهـــا.

و شهد له أهل مدينته بكرامة أخرى و هي أنّ النّساء العاقرات أو الآتي لا تنجبن إلاّ الإناث كنّ يقصدنه من كلّ مكان فينفث على بطونهنّ فتحملن في الحين بإذن الله.و يروى عنه كرامات كثيرة، يكاد عقل المرء لا يصدّقها.

4.2 برنامج الزّاوية اليوميّ و المناسباتيّ:

يتمّ الجمع مع الشيخ و المريدين كلّ يوم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء و تؤدّى هاتان الصّلاتان بالزاوية و هي بالتّالي تؤدّي وظيفة المسجد.

و بعد الإنتهاء من الصّلاة يجلس كلّ مريد في مكان معتاد شاغر تاركاً أماكن معيّنة للشيخ و المقدّمين و المسمّعين و مقرئي القرآن.

ففي البداية توزّع المصاحف القرآنية على الحاضرين و يشرع في قراءة حزب اليوم جماعـــة بحيث يتمّ قراءة المصحـــف كلّه في ظرف شهريـــن. و يحتفـــل بهـــذه المناسبة بالختام (بالدّارجة : الختمة) و يحضر الطّعام " الكسكسي" و ما رافقه من مشروبات.

ثمّ توزّع الكتيّبات الخاصّة بالدّعاء المسمّى " الـــدّرَ المنثـــور" للشيخ محي الدّين بن عربي و يستغني عن الكتيّب كثير من المريدين لحفظه عن ظهر قلب لكثرة تكراره.

بعدها تأتي حصّة الدّرس و هي عبارة عن قراءة قسط من أحد الكتب المعتمدة في الزاوية كـــشرح إبن عاشر المسمّى " الحبل المتين على نظم المرشد المعين عن الضّروري من علوم الدّين" في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

و كان في أيّام الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله يحفظ المريدون كلّ يوم بعض الأبيات من هذا الشّعر التّعليميّ و يتلوها كلّ واحد أمام الجميع قبل الشّروع في شرح الأبيات.

أمّا في الكتاب الثاني المعتمد " شرح الحكم العطائية (1) للشيخ إبن عجيبة (2) و هو أحد المشايخ المغاربة في الطّريقة الشّاذلية . فالمتن من مصر و الشّرح من المغرب الأقصى و الطّريقة واحدة! .

و ثالث كتاب مهمَ و متداول لدى الفقراء في الزّاوية المامشاوية و هو كتاب "رياض الصّالحين" للإمام النّووي، و هي مجموعة من أحاديث نبويّة شريفة تساندها آيات قرآنيّة في نفس الباب الّذي يتناوله المؤلّف . و يقرأ كلّ مرّة موضوع من هذا الكتاب و يتدارسه المريدون.

و في الأخير يأتي الوقت المخصّص للسّماع الصّوفيّ، علماً أنّ هذه الحصّة كانت تحضى بحصّة الأسد من الوقت أيّام الشيخ بن عودة بن مامشا ، و هذا لأنّ مدّة الجمع كانت أطول حتّى أنّها كانت تستمرّ بعد صلاة العشاء بساعة أو ساعتين أو أكثر بقليل حسب الظروف. و الفقراء الّذين يقطنون بالمدينة يبقون حتّى ساعة متأخّرة من اللّيل ، أمّا الّذين يسكنون بعيداً فيضطرّون لمغادرة الجمع مبكّراً. (3)

لكنّ الظّروف الأمنيّة الرّاهنة حالت دون هذا التّطويل في الجمع، كان فقراء مدينة ندرومة ينتقلون يوميا إلى الزاوية القديمة و أصبحوا يأتون للزّاوية الرئيسية في المواسم الكبرى فقط .

إنّ حصّة الحضرة أو " العمارة" و الّتي غالباً ما تأتي أثناء السّماع كانت شبه يوميّة أيام الشّيخ سيدي بن عودة، أمّا الآن فهي تقام ليلة الجمعة لإزدياد عدد المريدين و لأنّ يوم الجمعة يوم عطلة أسبوعيّة.

---

(1) لابن عطاء الله الأسكندري

(2) الشيخ المغربي إبن عجيبة : صاحب كتاب " إيقاظ الهمم في شرح الحكم "

(3) تصريح السيد الفقير بومدين معلم.

في أغلب الأحيان و بين حصّتين مختلفتين يوزّع الشاي مرفوقاً أحياناً بالحلويات الجافة كما نسمّيه بالدّارجة " الكعك" و " العصّارة" و غيرها، أو الحلويات الرّطبة و بالخصوص التّقليـــديّة المعسّلة مثل "المْقَرْوُطْ" و " المْشَهَّدْ" و غيرها، الّتي يأتي بها بعض المريدين أو الزّوّار، و هي إمّا مشتراة من المحلاّت الخاصّة ببيع الحلويات أو مصنوعة من طرف نسائهم.

و في النّهاية تقرأ سورة " الملك" متبوعة بآيات الحرص و هي الآيات الأخيرة من سورة البقرة، و يعطي الشيخ الإشارة للفقراء بالنّهوض أو القيام، فينهض الجميع و يقبض كلّ واحد من المريدين يد أخيه في الطّريق بجانبه الأيمن و الأيسر بحيث تكوّن سلسلة أو حلقة على شكل دائرة، و يهلّلون جماعة مردّدين ' لا إلاه إلاّ الله ' ثلاث مرّت و بعدها ' محمّد رسول الله' ثمّ ' سبحانك اللّهم و بحمده سبحان الله العظيم' " لا إله إلا أنت إستغفرك و أتوب إليك".

و يبقى الشّيخ في مكانه أو بجوار أحد من المريدين المسنّين و يطوف الفقراء بالتّسليم أو تقبيل الرّأس و اليد اليمنى، و ينصرف كلّ واحد إلى منزله.

أمّا في البرنامج الخاصّ بالمناسبات أو الإحتفالات الموسميّة الدّينيّة فيشرع فيه قبل اليوم المعتاد للإحتفال.(1)

5-2 / طاقم الزّاوية المامشاوية حاليّاً:

للزّاوية الأمّ أي تلك التّي مقرّها بمدينة تلمسان، مقدّمان الأستاذ " عصمت صالح بوكلي حسن"وهو أستاذ اللغة العربيّة متقاعد و الأستاذ" قدّور السّبيّع" مدير متقاعد.(2)

أمّا طاقم المسمّعين ، يضمّ السادة (عبد الكريم غفور و الغوثي بن قلفاط قورصو فسيان و عبد الغنيّ بن ددّوش".

---

(1) و (2) ملاحظات سجّلتها الباحثة أثناء الحضور المتكرر في الزاوية المامشاوية

و طاقم الخدمات يتكوّن من مجموعة من الشبّان المريدين النّاشئين منذ صغرهم بالزّاوية المامشاويّة، من محضّر للشاي " الشّاوش" و هو مختصّ في هذا الأمر و الكلّ يحبّ تذوّق شايه، و موزّعي الشّاي و الحلويات التّي تصنع من طرف أهل الزّاوية من نساء أو يحضرها عائلات الفقراء و الزّوار و تتمثّل في حلويات تقليديـــّة خاصـــّة بمدينـــة تلمسان مثل " العصّارة و الكعك و المشهّد" و غيرها.

يوزّع الطّعام جماعة من الفقراء ، المتمثّل في صحـــون الكسكـــسي بالمرق و اللّحم و هو طبق تقليديّ أيضاً خاصّ بالولائم و الحفلات الكبرى، و يتمّ تجهيزه من طرف عائلة الشيخ بالإضافة إلى الصّحون التّي يحضرها الفقراء و الزّوّار لنيل البركة و الدّعاء بالخير. و يقدّم الطّعام ساخنا أوّلا ثمّ بعده تقام الشّعائر الصّوفية و هناك نكتة متداولة بين أهل الزّاوية و حاملي القرآن يقولون فيها: " و الله ما شفنا النور حتى شفنا الكسكاس يفور "(1) ، و من النّاس من يعيب على الفقراء سعيهـــم نحو ما لذّ و طـــاب مـــن المأكولات.

فالقصد في تناول هذه الأطعمة هو نيل البركة لأنهم يعتقدون فيها شفاء لهم و لمن شاركهم ، يقول الشيخ بن مامشا " حنا ما يدتنا دايمن سابقتنا " أي أن الخير يسبق الفقراء و يحضر إذا حضروا (2).

و لمن يلومهم على الأكل يجيبونه بما كان يقوله الشيخ بن مامشا " حنا طريقنا جمالي ما شي جلالي " ، إنّ المناخ السائد في الزّاوية المامشاويّة هو البسط و الجمال في اللّباس و الطّعام و السّلوك.حيث يغلب على مريدي الزّاوية الإبتسامة لم روح النّكتة و في بعض الأحيان الضّحك و خفّة الروح و هذا حتّى في العسر و الشّدائد.

و إذا طلب الشيخ من المريدين قليلا من الجدّ سرعان ما يحدث أن يأتي شخص يجعل الحال يتغيّر من القبض إلى البسط.

و بصفة إجمالية يمكن القول أن هذه الزاوية جمالية غير جلالية ممّا جعل بعض المريدين يصرّح : " هذه الشّدائد وقعت و زاويتنا جماليّة ، فما بالك لو كانت جلاليّة ! "

---

(1) ملاحظات سجّلتها الباحثة أثناء الحضور المتكرر في الزاوية المامشاوية

(2) " والله لم نرى النور حتى رأينا قدور طهي الكسكسي تبعث البخار " ، " نحن أينما حظرنا الطعام يسبقنا "

و هذا القول يتسبّب بدوره في السرور و الضحك.

و من الفقراء من يغسل الأواني مباشرة بعد الإنتهاء من الطّعام و يقومون بتجفيف الصّحون و ترتيبها و إرجاعها إلى أصحابها بعد إنتهاء اللّيلة و" الشابّ الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثّواب، و حيث لم يؤهل لأحوالهم السّنّية يخدم من أهل لها، فخدمته لأهل القرب علامته حبّ الله ..." (1)

لذا نجد المريدين في شبابهم متحمسين لخدمة إخوانهم في الزّاوية عاملين بقول الشّيخ بن عودة بن مامشا الّذي كان دوما يذكرهم بأنّ " خادم القوم سيدهم " و يقول السهروردي في هذا الباب :" و أمّا الخدمة ، فشأن من دخل الرباط مبتدئا و لم يذق طعم العلم و لم ينتبه لنفائس الأحوال : أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة و يجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله فتشمله بركة ذلك و يعين الإخوان المنشغلين بالعبادة...قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " اَلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْحَوَائِجَ يَقْضِى اللَّهُ لَهُمْ حَاجَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " و الخدمة عن القوم من جملة العمل الصالح و هي طريق من طرق المواجيد عند القوم تكسبهم الأوصاف الجميلة و الأحوال الحسنة..."(2) .

يقول الغوث أبو مدين شعيب :

وَ بِالتَّفَتِّي عَلَى الْإِخْوَانِ جِدَّ أَبَدًا ... حِسًّا وَ مَعْنًا وَ غُضِّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَا

وَ رَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوَالِهِ فَعَسَى ... يَرَى عَلَيْكَ مِنِ اسْتِحْسَانِهِ أَثَرَا

وَ قَدِّمِ الْجِدَّ وَ أَمْضِ عِنْدَ خِدْمَتِهِ ... عَسَاهُ يَرْضَى وَ حَاذِرْ أَنْ تَكُنْ ضَجِرَا

فخدمة الشّيخ و خدمة الإخوان من شيم الصّوفية و تمثّل جزءا مهما من التربية عند القوم و القصائد الّتي تحفّز المريدين في هذا الإتّجاه كثيرة و السّماع الصّوفي من غايته المتعدّدة تربية النّفس و الوصول إلى التّواضع الحقيقي و حبّ الخير للآخرين و السّماع الصّوفي أساسه الشّعر الصّوفي الّذي يعدّ لسان حال أهل التّصوف.

---

(1) السهروردي ، " عوارف المعارف " ، ص 110

(2) السهروردي ، المرجع نفسه ، ص 109

الفصل الثاني : السماع الصوفي أساسه الشعر

1- **المبحث الأول** : الشعر الصوفي

1.1: الشّعر الصوفي

أ – وظيفته

ب – نشأته و تطوره

2.1: الشّعر الصوفي بتلمسان

3.1: أنواع الشّعر الصّوفي : الموشّح و الزّجل

4.1: الأزجال و الموشّحات في شعر الصّوفيّة

5.1: خصائص الشّعر الصّوفي (الأغراض و الأسلوب)

6.1: مفهوم الرّمز و الرّمزية :

أ/ الرّمزية في الأدب عامة

ب/ الرّمزية في الشّعر الصّوفي (الإشكالية 1)

1- 1 / الشّعر الصّوفي :

أ- وظيفته :

يشكّل الشّعر الصّوفيّ جزءاً هامّا من الشّعر العربي الإسلامي حيث إنّه كلام موزون مقفّى يخضع في أغلب الأحيـــان لقوانين النّظـــم الشّعري كالإلتـــزام بالقافيّة و وحدة المعنى ، و يصاغ بمختلف مستويات التّعبير باللّغة العربيّة من فصيح و عامي.

و ينتمي أيضاً للشعر الديني حيث أنه يشاركه في بعض المواضيـــع كالمديح النبـــوي و الاشتياق إلى البقاع المقدسة و الإشادة بأهل البيت و الصحابة رضوان الله عليهم.

وينفرد الشّعر الصّوفي بموضوعات خاصّة منها التّعبير بالحبّ الإلاهي و محبّة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و الأحوال و المقامات الخاصّة بأهل التّصوّف و الخمرة و الفناء في الحضرة الإلاهيّة و غير ذلك من الموضوعات الصّوفية. كما أنّه ينفرد بمفردات أو مصطلحات و أسلوب رمزيّ يكتنفه بعض الغموض فيصعب إدراكه من غير أهله، الشّيء الّذي يتسبّب في إلتباسات خطيرة تجعل من ليس له سابقة لفهمه سهولة إصدار أحكام مسبقة قد تمسّ بنزاهة الشّاعر و إخلاقه و سمعته الإجتماعيّة و الدّينية مثل ما وقع للشّيخ محي الدين بن عربي . أو ما وقع للشّيخ قدّور بن عاشور و هذه الإلتباسات تشبه تلك الّتي ينتج عن عدم معرفة شرح الرّؤيا المناميّة الّتي تحمل صوراً رمزيّة قد تخالف الشّرع الإسلامي و حتّى العرف الإنسانيّ في الظّاهـــر و الّتي إذا مـــا تم تأويلها من طرف معبّر بارع تصبح من صميم الشّرع الدّيني ولا تخالفه في شيء.

إن الله كنوزا مخفيّة مفاتيحها ألسنة الشّعراء طبقاً لقول الرّسول صلّى الله عليه و سلّم : " إِنَّ لِلّهِ سِرًّا مَكْنُونًا يُظْهِرُهُ عَلَى لِسَانِ الشُّعَرَاءِ " و قال أيضا : " لَوْ لاَ الدُّنْيَا وَ الآثَارُ لَمَا بَدَتِ الأَسْرَارُ " (1).

(1) أحمد بن علي البوني ، " شمس المعارف الكبرى و لطائف العوارف " ، ص 341

نشأته و تطوّره:

ظهر الشّعر الصّوفي في العالم العربيّ الإسلاميّ على يد الرّعيل الأوّل من الصّوفية كالحسن البصري (1) و السّرّي السّقطي (2) و السيّدة رابعة العدويّة(99 – 185 ه) (3) . و من بواكر هذا الشّعر قول السيّدة رابعةالعدويّة في أوائل القرن الثّاني الهجري و هو أروع إبداع في الرّباعيّات الشّعرية في العشق الإلاهي :

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الْهَوَى ... وَ حُبّاً لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى ... فَكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أَرَاكَا

وَ أَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَا

فَلاَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَ لَا ذَاكَ لِي ... وَ لَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَ ذَاكَا

فهذه الصّوفية العظيمة وهبت قلبها لربّها بعد معرفتها له معرفة يقينيّة روحيّة لا يدريها إلاّ الصّوفي الحقّ الّذي فاض قلبه بحبّ الله ، و بلغ به الشوق أعلى الدّرجات و قال أبو الحسن سريّ السّقطي :

وَ لَمَّا إِدَّعَيْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي ... فَمَالِيَ أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

فَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصَقَ الظَّهْرُ بِالْحَشَا ... وَ تَذْبُلَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُنَادِيَا

وَ تَنْحَلَ حَتَّى لَا يُبْقِيَ لَكَ الْهَوَى ... سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وَ تُنَاجِيَا

ونرى من خلال هذه الأبيات أنّ الشّعر الصّوفي في مرحلته الأولى و الّتي تمتدّ

---

(1) توفي بالبصرة سنة 110 هـ مستهلّ رجب ، كان من أهل الخطوة إذ كان ممّن يصلّي الصلوات الخمس بمكّة يعني و هو بالبصرة ، تطوى له الأرض " (أنظر " جامع كرامات الأولياء ج -2 ليوسف النبهاني ، ص 22).

(2) سرّي بن مفلس السّقطي رضي الله عنه المكنّى بأبي الحسن سيّد الصوفية و أستاذ العلماء و العارفين و معظم دكاترة العراق كانوا تلامذته أمثال الجنيد فقد كان خاله ، و معروف الكرخي عرف في القرن الثالث الهجري : حدث مرة و أن إشتعلت النيران في سوق بغداد فالتهمت ألسنتها كلّ الدكاكين إلاّ دكّان سرّي السقطي و لما رأى بعينه ما جرى تصدق بكل سلعة دكانه على الفقراء و الدراويش إرضاءا لله تعالى.و لمدة ثمانية و تسعون سنة لم ينم و لم يرح بدنه على الأرض إلاّ في حالة مرض شديد أو نوم غلبه. توفي في شهر رمضان من عام 256 هـ (870 م) أو 257 هـ اي (871 م) . (أنظر كتاب «Le mémorial des Saints» de Farid- ud-din ATTAR, page 239.

(3) القيسية البصرية، أشهر النساء العارفات بالله تعالى ، مرّت يوماً بشيبان الرّاعي فقالت له إنّي " أريد الحجّ، فأخرج من جيبه ذهباً لتنفقه فمدّت يدها إلى الهواء فامتلأت ذهباً و قالت له : أنت تأخذ من الجيب و أنا آخذ من الغيب ، فمضى معها على التوكّل: قاله السخاوي ") أنظر "جامع كرامات الأولياء" ج2.

من أواخر القرن الأول إلى أواخر القرن الثّاني كان لا يتعدّى بعض الأبيات الموجزة و من أبرز شعراء هذه الفترة التكوينيّة السيّدة رابعة العدويّة.

و تلت هذه الفترة فترة نهضة وإزدهار يمكن تحديدها من القرن الثّالث إلى القرن الرّابع و من أحسن ممثّلي هذه الفترة من الشّعراء الصّوفية أبو تراب الحسين النّخشبي (ت 290 هـ) و من شعره : (1)

وَ مِنَ الدَّلَائِلِ حُزْنُهُ وَ نَحِيبُـهُ ... جَـوْفَ الظَّلَامِ فَمَا لَهُ مِنْ عَاذِلِ

وَ مِنَ الدَّلَائِلِ أَنَّ تَرَاهُ مُسَافِـراً ... نَحْـوَ الْجِهَادِ وَ كُلُّ فِعْلٍ حَاضِرِ

وَ مِنَ الدَّلَائِلِ زُهْدُهُ فِي مَا يَرَى ... مِـنْ دَارِ ذُلٍّ أَوْ نَعِيـمٍ زَائِـلِ

وَ مِنَ الدَّلَائِلِ أَنَّ تَرَاهُ رَاضِيـاً ... بِمُلْكِيهِ فِي كُلِّ حُكْـمٍ نَـازِلِ

و أمّا المرحلة الثّالثة فإنّها تشمل القرنين الخامس و السادس فيها يتّجه الشّعر الصوفي إلى الحب الإلاهي و مدح الرّسول صلى الله عليه و سلّم و الشّوق إلى البقاع المقدّسة و الدّعوة إلى مكارم الأخلاق و الفضائل الإسلاميّة .

و من أبرز شعراء التصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني (561 هـ) و الشيخ السّهروردي الشامي (586 هـ) و الشّيخ أحمد الرفاعي (587 هـ) و الشّيخ أبو مدين شعيب.(594 ه) :

و من شعر الشّيخ عبد القادر الجيلاني :

يَا مَـنْ تُحَـلُّ بِذِكْـرِهِ ... عُقَـدُ النَّوَائِـبِ وَ الشَّدَائِـدِ

يَا مَـنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَـى ... وَ إِلَيْهِ أَمْـرُ الْخَلْـقِ عَائِـدُ

يَا حَـيُّ يَا قَيُّـومُ يَـا ... صَمَدُ تَنَـزَّهَ عَـنْ مُضَـادِّ

أَنْـتَ الْعَلِيمُ بِمَا ابْتُلِيـ ... ـتُ بِهِ وَ أَنْتَ عَلَيْـهِ شَاهِـدُ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَا ... دِ وَ أَنْتَ فِـي الْمُلْكُوتِ وَاحِدُ (2)

---

(1) عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 168 بتصرّف

(2) عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص170 بتصرّف

و من شعر الشّيخ أبو مدين شعيب :

تَضِيقُ بِنَا الدُّنيا إِذَا غِبْتُمْ عَنَّا ... وَ تَذْهَبُ بِالْأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّا
فَبُعْدُكُمْ مَوْتٌ وَ قُرْبُكُمْ حَيَا ... فَإِنْ غِبْتُمُو عَنَّا وَ لَوْ نَفَسًا مِتْنَا
نَمُوتُ بِبُعْدِكُمْ وَ نَحْيَا بِقُرْبِكُمْ ... وَ إِنْ جَاءَنَا عَنْكُمْ بَشِيرُ اللِّقَاءِ عِشْنَا
وَ نَحْيَا بِذِكْرِكُمْ إِذَا لَمْ نَرَاكُمْ ... أَلَا إِنَّ تِذْكَارَ الْأَحِبَّةِ يُنْعِشُنَا (1)

و يقول رحمه الله في الشّوق :

أَتَيْتُ لِقَاضِي الْحُبِّ قُلْتُ أَحِبَّنِي ... جَفَونِي وَ قَالُوا أَنْتَ فِي الْحُبِّ مُدَّعِي
وَ عِنْدِي شُهُودٌ لِلصَّبَابَةِ وَ الْأَسَا ... يُزَكُّونَ دَعْوَايَ إِذَا جِئْتُ أَدَّعِي (2)

ثمّ وصل الشّعر الصّوفي إلى قمّة نضجه و نهضته في القرن السّابع على يد أعلام أمثال الشيخ إبن الفارض سلطان العشقين (632 هـ) و الشّيخ جلال الدّين الرّومي صاحب المثنوي (و 602 هـ - ت 6722 هـ) و الشّيخ محي الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكّية و الملقّب بالشّيخ الأكبر (638 هـ) و الشّيخ البوصيري صاحب الهمزيّة و الميميّة في مدح رسول الله صلّى الله عليه و سلّم (695 هـ) و الشّيخ عبد العزيز الدّميري المعروف بالدّيري (694 هـ) و الشّيخ إبن عطاء الله الإسكندري صاحب الحكم العطائيّة (707 هـ) (3) و للشّيخ عمر إبن الفارض رحمه الله (576 هـ-632 هـ) أبيات في الخمرة الصوفيّة :

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا ... خَبِيرٌ أَحَلَّ عِنْدِي بِأَوْصَافِهِمْ عِلْمُ
صَفَاءٌ وَ لَا مَاءٌ وَ لُطْفٌ وَ لَا هَوَا ... وَ نُورٌ وَ لَا نَارٌ وَ رُوحٌ وَ لَا جِسْمُ

أما المرحلة الخامسة فمن القرن الثامن إلى يومنا هذا ، حسب عبد المنعم خفاجي و من أشهر أعلام التصوف فيه الشعراني (898 هـ - 973 هـ) و النابلسي (1143 هـ) و سواهما (4)

---

(1) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 59

(2) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 60

(3) و (4) عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 175 – بتصرّف-

1-2 / الشّعر الصّوفي بتلمسان :

لقد وصل التّصوّف إلى المغرب العربي متأخّراً مقارنة بالمشرق العربي ؛ و بقدومه تأثّر الأدب المغربي عموماً من نثر و شعر و عرف التّصوّف إنتشاراً واسعاً مع قدوم قبائل بني هلال و إنتشار لهجاتهم " بحيث أصبح الأدب الشعبي منذ ذلك الحين ثمرة من ثمار الثقافة القومية " (1)

و عرفت مدينة تلمسان تيّار الشّعر الصّوفيّ الّذي صار وسيلة من وسائل تعبير المتصوّفة عن أحوالهم و مقاماتهم و مواجدهم و إعتبروا الحبّ الإلاهي مقاماً من مقامات السّلوك، فغلبت عليهم عاطفة الحبّ الإلاهي و أصبح شعرهم رمزيّاً ، يتضمّن الألفاظ الغزلية في الحبّ و هي رموز و إشارات إلى حقائق صوفيّة (2)

يقول أبو عبد الله بن الحجّام التّلمساني : (3)

غَرِبْتُ الْوَصْفَ ذُو عِلْمٍ غَرِيبِ ... عَلِيلُ الْقَلْبِ مِنْ حُبِّ الْحَبِيبِ
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ يَبْكِي ... وَ يَشْكُو مَا يُكِنُّ فِي الْوَجِيبِ
يَقْطَعُ لَيْلَهُ ذِكْراً وَ فِكْراً ... وَ يَنْطَبِقُ فِيهِ بِالْعُجْبِ الْعَجِيبِ

و نظم الشيخ أبو العيش إبن عبد الرحيم الخزرجي (4) التلمساني ، هذه الأبيات الجميلة في التصوف و الإعتزال :

وَ أَثَرْتُ الْمَقَامَ بِكَسْرِ بَيْتِي ... وَ لَا أَحَدٌ أَرَاهُ وَ لَا يَرَانِي
وَ لَا أَلْفِي خَلِيلاً غَيْرَ حِبْرٍ ... مُعِينٍ فِي الْمَعَارِفِ أَوْ مُعَانِ

و يصف الشّاعر إبن خميس التّلمساني (5) الخمرة في هذه الأبيات :

---

[1] عبد الله الركيبي، " الشعر الديني الجزائري الحديث"، ص 367

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 400 بتصرّف

(3)" ولد هذا الشاعر الفاضل الصالح الزاهد و الواعظ بتلمسان سنة ثمان و خمسين و خمس مئة . أحاد السّبع قراءات للقرآن الكريم . و كان واسع العلم توفّي سنة 614 ه " (أنظر بغية الرواد ج1 – ليحي بن خلدون ص 102 –103- بتصرّف.

(4)" ... إشبيلي الأصل ... كان رحمه الله أديباً بارعاً في الكتابة ، شاعراً مجيداً ، رائق الخط عالما مفسرا للقرآن الكريم له كتب في العقيدة و أصول الفقه و نظم في التصوف و الزهد و الوعظ (أنظر بغية الرواد ج1 ليحي بن خلدون ص 103 بتصرّف)

(5) في خلق إبن خميس التلمساني : كان ذا مكانة مرموقة في ميدان الأدب و العلم. كان كثير السفر ، و مضى فترة من حياته بالمغرب الأقصى و كان يحنّ إلى تلمسان هناك فينظم أشعاراً :

تِلِمْسَانُ لَوْ أَنَّ الزَّمَانَ بِهَا يَسْخُو ... مِنَ النَّفْسُ لَا دَارُ السَّلَامِ وَ لَا الْكَرْخُ

و شعره كثير جميل جمعه القاضي " أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سمّاه : " الدّرّ النّفيس في شعر إبن خميس" و كتب في النثر أيضاً. (أنظر " تلمسان عبر العصور " لـمحمد بن عمرو الطّمّار ، ص ص 105-107).

ثُمَّ نطرُدِ الهَمَّ بِمَشْمُولَـــةٍ تُقصِّرُ اللَّيلَ إذَا اللَّيلُ طَالَ
وَ عَاطِهَا صَفْرَاءَ ذَمِيمَةً تَمْنَعُهَا الذِّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَـــالَ

و يقول أبو ربيع عفيف التّلمساني (1) (ت 690 هـ/1291 م):

هَذَا الْمُصَلَّى وَ هَـــذِهِ الْكُتُبُ لِمِثْـــلِ هَـــذَا يَهُـــزُّنَا الطَّـــرَبُ
فَالْحَيُّ قَـــدْ شَرَعَتْ مَضَارِبُهُ وَ حُسْنُهُ عَفَّهُ زَالَـــتِ الْحُجُـــبُ

و ما ساعد على إنتشار الأدب الشعبيّ و الشّعر الديني في عصر الإنحطاط و هو عهد الحكم العثماني إلى عهد الإحتلال الفرنسي هو عامل الضّعف الّذي كانت تعيشه الثّقافة العربيّة فظهر شعراء صوفيّون نظموا و أنشدوا قصائد ملحونة و أزجال في مدح الرّسول صلّى الله عليه و سلّم مشيدين بالإسلام و يتّبعون شعراء الفصحى (2) لكن الدكتور أرجع سبب نظمهم الأشعار إلى حرمانهم في الحياة و يقصد الظّروف المادية و كذا الإجتماعية و السّياسية و الثّقافية و لا يتّفق أهل الزّاوية مع هذا القول و الصّوفية تركوا الدّنيا و ما فيها بإرادتهم ، يقول الشّيخ العلاوي في هذا الشأن:

فَلَا تَـــرْضَ بِغَيْـــرِ الـــلَّهِ كُـــلُّ شَيْءٍ مَـــا دُونَهُ سَرَابُ
نَصَحْتُكَ إنْ كَانَتْ لَكَ نَسَبًا أَهْـــلُ الذِّكْرِ فِي مَحْبُوبِهِمْ غَابُوا
أَيْنَ الْجِنَـــانُ مِنْهُمْ أَيْنَ طُوبَى عِبَادُ اللَّهِ مِنَ الشَّـــوْقِ ذَابُـــوا (3)

قال الأهواني بأنّ الأزجال الصّوفية وجدت لها بيئة خاصّة عاشت فيها و إن جماعة الفقراء الّذين خلعوا الدّنيا و هاموا في حبّ الله سائحين مغتربين ينشدون أزجال الشّشتري (4) و يغنّون فيها 'بل يرقصون على ألحانها'.

و أوّل من إستخدم الزّجل الشّعري في التّصوّف حسب رأيه هو الشّشتري المولود بالأندلس سنة 1213 م و المتوفّي قرب دمياط بمصر سنة 1270 م و أوّل مـــن

---

(1) أبو الربيع سليمان المعروف بالتلمساني أخذ عنه الموافي و الحصار . كان زاهدا ورعا ، نشأ في مدينة سلا و عمل بها نساخا و توفي بها سنة 579 (أنظر بغية الرواد ، جزء 1 ليحي بن خلدون ص 108.

(2) عبد الله ركيبي ، المرجع السابق ، ص 367

(3) " دواوين آيات المحبّين في مقامات العارفين"، ص 48 ،

(4) أبو الحسن الششتري، " و هو علي بن عبد الله النميري الأندلسي ، الإمام الكبير، الصوفي الشهير ، أخذ التصوف عن أبي محمد بن سبعين، و لما وصل من الشام إلى ساحل دمياط و هو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال : ما إسم هذه القرية ؟ فقيل : الطينة ، فقال : حنّت الطينة إلى الطينة ، و وصى أن يدفن بمقبرة دمياط ، إذ الطينة بمفازة و أقرب المدن إلى دمياط، فحمله الفقراء على أعناقهم إلى دمياط فدفن فيها سنة 668 (أنظر " جامع كرامات الأولياء - ج 2، ص 315.

إستخـــدم الموشّـــحـــات و الأزجال ممّا أدّى إلى إنتشار القصائد الدّينية بكلّ مواضيعها آنذاك (1).

أخذ المديح النّبويّ قسطاً وافراً من إهتمـــام الشّعراء التّلمسانيين أمثال إبن يوسف الثّغري (2) الذي يقول في إحدى قصائده :

سِـــرُّ المَحَبَّـــةِ بالدُّمُوعِ يُتَرْجَـــمُ ... فَالدَّمْعُ أَنْ تَسْأَلَ فَصِيـــحٌ أَعْجَـــمُ
وَ الْحَالُ تَنْطِقُ عَنْ لِسَانٍ صَامِتٍ ... فَالصَّبُّ يُصْمُتُ وَ الْهَـــوَى يَتَكَلَّمُ

ثمّ يقول :

وَ بِحُرْمَةِ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَ رِفْعَةِ ... الْبَيْتِ الْمَنِيفِ وَ مَنْ يَنْحَدُ خَيَّمُوا
وَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَ الرُّكْـــنِ الَّـــذِي ... تُحْمَى بِـــهِ الْآثَـــامُ سَاعَـــةَ يَلْثَـــمِ

و أثناء الحكم التركـــي ، من لم ينظم في الأدب الصّوفي نثراً و شعراً فصيحاً و عامياً و لا يتمتع بخطوة لدى العلماء أو الناس.

و أمّا في عهد الإستعمار الفرنسي فقد أدّت الظّروف العامّة الّتي كان يعيشها الشّعب الجزائري من واقع مظلم إلى العودة إلى التّراث الدّيني القديم قصد التمسّك بالقيم الإسلاميّة في حركة رافضة لسياسة التّجهيل و التّنصير تتمثّل في نشر التّصوّف و الطّرق و حلقات الذّكر عاملين بتعاليم القرآن الكريم حيث جاء فيه العدد الكبير من الآيات التّي تحثّ على ذكر الله:

" الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " (3)

و الآيات التي تأمر بحبّ الرّسول (ص) و إتّباعه حيث تمثّل سيرته المثل الأعلى الذي على كلّ مسلم و مسلمة الإقتداء بها " مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (4) .

---

(1) سليم الحلو، " الموشّحات الأندلسيّة"، ص 76

(2) محمد بن يوسف القيسي ولد بتلمسان و عرف باسم الثغري ، تحدث المازوني في كتابه " حالات قانونية عن الثغري " إنه شيخ ، فقيه علامة ، و أديب ممتاز ، درس الأمين العام أبو عبد الله على يد الإمام الشريف التلمساني و أساتذة آخرون و أضاف أحمد بابا أنه لم يعرف تاريخ وفاته (أنظر Ibn Maryem "ELBOSTAN "-P 68)

(3) سورة الرّعد، الآية 28

(4) سورة الحشر، الآية 7

و مع أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي و بداية القرن العشرين ظهرت في الغرب الجزائري نخبة من مشايخ الصّوفية من أهل التّربية الرّوحية تكوّنوا في المدرسة الصّوفية الشّاذلية الدّرقاوية على يد الشّيخ الهبري أو الشّيخ البوزيدي و منهم الشّيخ بن عليوة المستغانمي و الشيخ الحاج محمّد بن يلّس التلمساني ثمّ الدمشقي اللّذان عبّرا عن مواجدهما و مشاعرهما و تجاربهما في مسارهما نحو معرفة الذّات العالية و الفناء في الحضرة الإلاهيّة نثراً و شعراً.

أمّا الشّيخ الّذي يعد أعجوبة زمانه هو معاصرهما و هو الشّيخ قدّور بن عاشور النّدرومي الحسنيّ صاحب القصائد الشّعرية الّتي نالت شهرة واسعة عند الخاصّ و العامّ كقصيدة " **اللاّيَمْ** " (1) و هذا مقطع منها :

يَا لاَّيَمْ حَالِي خْطِيكْ مَا هَزَّكْ عَشْقَ عْوَارَمْ لَوْ تَدْرِي مَا فِي الضَّمِيرْ تَعْذَرْ رُوحِي الهَزِيمَة
مِنْ طَعْنِ الحْدَاقِ النِّيَامْ
مَا هَزُّوكْ رْيَاحْ كِرْيَاحِي يَا سَعْدَكْ سَالَمْ يَا لاَّيَمْ قَلْبَكْ سَالِي مَسْتَرَاحْ مَا فِيهَ جْمَـارَ ضْرِيمَةْ
مَا صَادَكْ مِيرَ الْغْرَامْ

و قصيدة " يا هذا الرّأس" (2) و قصائد رائعة أخرى لا يزال يتغنّى بها مطربوا الفنّ الشّعبي في كلّ جهات الوطن..

و لمستقرئ أشعار الشّعراء و المشايخ المربّين يظهر جليّاً أنّها لا تكوّن كتلة واحدة لها نفس الأغراض و بنفس المستوى اللّغوي و بنفس الخصائص بل يتبيّن أنّ هناك قاسم يجمع بينها و لكنّها تعرف إختلافات حسب شخصيّة كلّ شاعر منهم و مستواه التّعليميّ و الجانب الوهبيّ العبقريّ و مساره الشّخصّي نحو الكمال و المعرفة. و قد إرتأينا أن نجمع كلّ هذه الآراء في فصل خصّصناه للشّعر الصّوفي في الزّاوية المامشاويّة.

---

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور"، جمعه محمّد بن عمرو الزرهوني، ص 625 (غير موجودة في الديوان لـ محمّد البوعناني).

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور" ، جمعه محمد البوعناني ، ص 38

1 – 3/ أنواع الشّعر الصّوفي :

إنّ الشّعر الصّوفي كمنتوج أدبي ينقسم إلى ثلاثة أنواع أو قوالب :
أوّلها القصيدة القديمة (الكلاسيكيّة) و شعرها كلام موزون مقفّى يضمّ أبياتاً ذات شطرين من كل بيت الصدر و العجز ، و مثال على ذلك قول الشيخ شعيب أبو مدين :

يَا قَلْبُ زُرْتَ وَ مَا انْطَوَى ذَاكَ الْجَوَى ... عَجَبًا لِقَلْبٍ بِالتَّعِيمِ قَدِ اكْتَوَى
زَادَ الْغَرَامُ وَ زَالَ كُلُّ تَصَبُّرٍ ... عَاجَلْتُهُ قَبْلَ الزِّيَارَةِ فَانْطَوَى (1)

و للشّيخ الحرّاق في البحر الطويل قصيدة مطلعها :

أَتَطْلُبُ لَيْلَى وَ هْيَ فِيكَ تَجَلَّتْ ... وَ تَحْسَبُهَا غَيْرًا وَ غَيْرُكَ لَيْسَتْ
فَذَابِلُهُ فِي مِلَّةِ الْحُبِّ ظَاهِرٌ ... فَكُنْ فَطِنًا فَالْغَيْرِ عَيْنُ الْقَطِيعَةِ
أَلَمْ تَرَهَا أَلْقَتْ عَلَيْكَ جَمَالَهَا ... وَ لَوْ لَمْ تَقُمْ بِالذَّاتِ مِنْكَ إِضْمَحَلَّتْ.

و للشّيخ البرصالي (2) :

أَدِرْهَا لَنَا صِرْفًا وَدَعْ عَنَّا مَزْجَهَا ... فَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْمَزْجَ مُذْكُنَّا
وَ غَدِّرْ لَنَا الْكَأْسَ الْمُطَفَّحَ جَهْرَةً ... وَجَدِّدْ لَنَا وَ أَمْلأْ وَ لاَ تَفْتَرَّنَّ عَنَّا
وَ غُجْ أَيُّهَا السَّاقِي وَ دَنْدِنْ لَنَا بِهَا ... وَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بِهَا طُفْ وَ أَنْعِشْنَا
وَ رَوِّعْ بِهَا قَلْبِي وَ إِجْذِبْ لَهَا سِرِّي ... وَ أَغْمِصْ فِيهَا كُلِّي فَذَاكَ هُوَ الْمُنَى (3)

الموشح :

إن الوشاح هو القلادة الّتي تتزيّن بها المرأة في عنقها . و أخذ الموشح تسميته إنطلاقا من الوشاح لوجود وجه شبه بين جمال المجوهرات و الحلّي و صنوف الزينة و جمال المنظومة الشّعرية في لغتها ولحنها .

و هذه الفكرة الّتي ذهب إليها بعض الدارسين ، و قال بأن التسمية ترجع إلى الثّوب ذي التّوشية أو الزخرفة أو الّذي به خطوطا أفقيّة أو عموديّة . و هناك من أرجعها إلى أشياء

---

(1) ديوان الشّيخ الحراق ، ص 04

(2) إبن أخت الشيخ محمد بن يلس الذي خلفه بعد رحيله إلى الشام و لم يبق في المشيخة إلا سنتين قبل وفاته.عائلة البرصالي بتلمسان ، لا يزالون يتذكرون جدهم الشيخ البرصالي، و يحيون ذكرى وفاته كل سنة و يتّبعون منهجه.

(3) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" ، جمعه مصطفى بن يلس ، ص 42

أخرى كإبن بسّام (1).

أمّا عن نشأة الموشح فقد نشأ في الأندلس من طرف الشّعراء العرب نظرا للظّروف المناخية الملهمة من حياة متنوعة وأجواء متغيرة ومناظر مختلفة ." فصفت أذهانهم ، و سما وجدانهم ، وعذب بيانهم ، ووسعوا دائرة الأدب و هذبوا الشعر فتأنّقوا في ألفاظه و تذوّقوا في معانيه ، ونوّعوا في قوافيه ، وتفنّنوا في خياله ..." (2)

وقد إحتفظ الشعر في الأندلس بطابعه العربي مقتصرا على مواضيع المدح و أغراض أخرى كالتصوف كما أبقى أوزانه و قافيته التي عهدها و لم يعرف إلاّ تغييرا طفيفا تمثل في تنويع القافية (3).

ومن الوشّاحين الكبار كما ذكر سليم الحلو ، الشّيخ محي الدّين بن عربي الّذي إستخدم التّوشيح في أدب التّصوف .

ومن بين الموشّحات الّتي ذكرها هذه الأ خيرة و مطلعها :

سرائر الأعيان ، لاحت على الأكوان ، للناظرين (أ)

و العاشق الغيران ، من ذاك في حران ، يبدي الأنين (ب)

يقول والوجد ، أضناه والبعد ، قد حيره

لما دنا البعد ، لم أر من بعد ، من غيره

و هيم العبد ، و الواحد الفرد ، قد خيره (ج)

ويذكر في موضع آ خر مكوّنات الموشّح و قافيته " و تتألف القصيدة عادة سواء الموشّح منها أم الزّجل من بيت أو أكثر إلى ثلاثة أبيات في مستهلّها تسمى (المركز) و تأتي بعدها المقطوعات من خمسة إلى ثمانية أبيات من الشّعر تتألّف من (الأغصان) وهي ذات قافية أو قواف مستقلّة و تنتهي ببيت من الشعر يقال له (السمط) توافق قافيته قافية المركز..." (4)

---

(1)سليم الحلو ، المرجع السابق ، ص 55

(2) و (3) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ص 356 .

(4) سليم الحلو المرجع السابق ، ص76

أمّا في الزّاوية المامشاويّة الشّعر الّذي أتى على شكل موشّحات نذكر النّموذج التّالي للشّيخ البرصالي :

اَلْبِحَـارُ الأُحَـدِيَّةُ فَاضَـتْ بِدُونِ أَمْـوَاجْ
لاَ تَنْظُـرُوا لِلْغَيْرِيَّةِ هَـذَا هُـوَ زَخَـارُهَاجْ
وَ الْجَـوَاهِرُ الأَصْلِيَّةُ قَدْ بَـدَتْ مِنَ الْبُطُـونْ
فَـأَنْوَارُهَا ضَـاوِيَة أَشْـرَقَتْ بِـهَا الْغُصُونْ
طَابَ قَلْبِي وَ فِكْرِي إِذْ أَنَا عَيْـنُ الْعُيُـونْ (1)

الزجـــل

إنّ الزّجل " ...أحد الفنون السبعة في الأدب العربي ، و هو شعر عامي غير متقيد بقواعد اللغة و خاصة الإ عراب و صيغ المفردات وقد نظم على أوزان البحور القديمة و أوزان أخرى مشتقّة منها و يظهر أنّه نشأ في القرن السّادس الهجري) " (2)

من المفكّرين من ذهب إلى القول بوجود علاقة بين نشأة الزّجل و الموشّح نظرا لظهوره قبله . ومنهم من فسّر سبب نشأته بضرورة و حاجة الطّبقة الشّعبية إلى الغناء . ذكرد. إحسان عبّاس في هذا الشأن " و لا أظنه تعدّى نهاية القرن الثالث و بداية الرّابع ..." (3)

إنّ الزّجل فنّ إستحدثه العرب و إلتزموا النّظم فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاؤوا فيه بالغرائب ، وإتّسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة (4)

و في نشأة الزّجل أرجعها العلاّمة إبن خلدون إلى أبي بكر بن قزمان الأندلسي الّذي نعته بإمام الزّجّالين على الإطلاق . (5)

---

(1) "" ديوان الشيخ بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 43

(2) مجدي وهبة و كامل المهندس ، "معجم المصطلحات في اللغة و الأدب ، ص 191 .

(3) سليم الحلو المرجع السابق ، ص 81،

(4) و (5) عبد الرحمان بن خلدون ، " المقدمة " ص 583 بتصرف. .

لقد إستخدم الصّوفية الأزجال في أشعارهم كونها مناسبة للتعبير عن مواجيدهم و تتطلّب لغة بسيطة ، يعلق على هذا سليم الحلو قائلا " و قد إتخّذ شيوخ الصّوفية و أهل الذّكر من الأزجال طريقة لنظم أدوارهم و أناشيدهم مضمّنين إيّاها بألوان الوجد الّتي تميّزوا بها . وهي لا تقلّ جمالا و روعة عن شعر التصوّف الّذي جرى به بعد ذلك لسان بعض القدّيسين بأروبا ..." (1)

فنرى أنه بينما كان الزجل وسيلة تعبير لعامّة النّاس عن تطلّعاتهم و أحلامهم بلغة عامية لا يتكلّفون فيها ، إنتهج نهجا صوفيّا و أصبح يعبّر عن المواجيد و الأحوال و المقامات و المدائح النبّوية و غيرها من المواضيع .

و يعتبر عبد الله ركيبي " الشّشتري " أوّل من إستخدم الزّجل الشّعري في التّصوف و أنّ " إبن عربي " أوّل من إستخدم الموشّحات أثّرت في الشّعر الملحون أثناء حكم الأتراك في الجزائر . فإنتشرت القصائد الدّينية من مديح و توسّل و تقرّب إلى الله و إبتهال و ذكر الأولياء الصالحين و وصف الخمرة الإلاهية وما إليها من مواضيع (2)

ثم ذكر عن الأهواني في نشأة الأزجال الصوفية " وجدت لها بيئة خاصّة عاشت فيها و هي جماعة الفقراء الّذين خلعوا الدّنيا و هاموا في حبّ الله سائحين مغتربين ينشدون أزجال الششتري (1213 ه/1270 م) ...ومن الشّعراء الّذين كرّسوا شعرهم كلّه لمدح الرّسول (ص) سيد ي الأخضر بن خلوف (ض) الّذي إشتهر بالنّظم في التّصوّف و الحكم و المواعظ..."(3)

كنموذج من الزّجل المتداول في هذه الزاوية يقول الشيخ قدور بن عاشور :

هَطّلُوا بِالدّمْع أغْنَاجِي ... مَنْ صَدّ الأَنقَوَاهْ طَالْ بِيّ العَلاَجْ
فَالْبِيرْ أكْثَرَ الجَاجِي ... مَصْرُوعَ أبْنَارَ الْبِينْ شَاعَلْ مَلْتَهَاجْ
بِينَ صْوَارِي وَ أبْرَاجِي ... نَصّبْرُوا الصّبَرْ يْعُودْ لاَ غْنَا بِالْفْرَاجْ

فَاجِي يَا قَلْبِي فَاجِي

فَاجِي يَا قَلّبِي أرْحَا ... أغْمَامْتَكْ تَنْفْجَا
وَ أعْسَى تْنَالْ الْحَاجَا ... أعْضَاكْ يْتَبَهّجُو

---

(1)سليم الحلو المرجع السابق ، ص 78

(2) و (3) عبد الله ركيبي ، المرجع السابق ، ص 367.

بَعْـدَ أظْـلاَمَ الدُّجَـا تَعُـودُ مُتَبَهِّجَـا
قَمَـرُكَ مَسْـرُوجَا أَكْوَاكَبُ أَيْـوَهَّجُوا
يَبْـدُو و سِـرُّ الْمُهْـجَا أَمْنَـابَرٌ طَـاهْجَا
مَا تَبْقَـى لَـكَ حُجَّـة أَحْـوَادَكَ أَتْسَـرَّجُوا
تَعْـلَ بْأَلَـفْ دَرْجَـا أَتْخُـودْ طَبْـعَ النَّجَـا
تَمَّ أَقْـوَالَـكَ تَسْجَـا أَمْـوَاهَبْ أَيْهَجُـوا

مَظْهَـرَ رَبَّـانِي سَاجِي يَنَمُوا لاَ يَكَلُّ فِي أَطْلُوعَ الْفَجَاجْ
قَـدْ يَتْبَهَّـجْ مَسْـرَاجِي يَغْدَا أُوَ يَاتِي نُوْر مَسْتَنَارْ رفَلْعْرَاجْ
عِيَن الْحَضْـرَة خْلاَجِـي أَرْضَا وَ سَمَا جَمْعَ الْفَضَا وَ الْخْرَاجْ
فَـاجِي يَـا قَلْبِـي فَـاجِي (1)

أما اللغة المستعملة في قصائد مشايخ الصوفية يمكن تصنيفها في أربعة مستويات :

1/ اللغة العربية الفصحى المعربة:

يقول الغوث أبو مدين في المحبة :

مُـتَ يَا عُرَيْبَ الْحَيّ عَيْنِي تَرَاكُمُ وَ أَسْمَـعُ مِنْ تِلْكَ الدِّيَـارِ نِدَاكُمُ
وَ يَجْمَعُنَا الدَّهْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَ يَحْظَى بِكُـمْ قَلْبِي وَ عَيْنِي تَرَاكُمُ
أَمُرُّ عَلَى الْأَبْوَابِ مِنْ غَيْرِ حَـاجَةٍ لَعَلِّي أَرَاكُـمْ أَوْ أَرَى مَنْ يَـرَاكُمُ
سَقَانِي الْهَوَى كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ صَافِيًا فَيَالَيْتَهُ لَمَّا سَقَـانِي سَقَـاكُمُ (2).

و للشيخ قدّور بن عاشور :

لَـمَّا سَقَانِي السَّاقِي بِفَيْضِ حَمْرَتِهِ مُشَعْشَعَـةً فِي الْكَـأْسِ مُنِيرَةً أَلْبَهَا
أَكْـرَعْتُهَا صِرْفًا وَ هِمْتُ فِي مَعَانِيهَا رَفَصْـتُ شُكْرًا لِحَضْرَةٍ جَلَّ ثَنَاهَا

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البرعناني ، ص 19-20
(2) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 64

قُلْتُ لِمُدِيرِ الْكَأْسِ مَنْ أَنْتَ وَ مَنْ أَنَا قَالَ لِي نَحْنُ جَمْعًا صَفَاؤُنَا صَفَاهَا
خَمْرَتُنَا ذَاتِيَّةٌ زَكِيَّةٌ جَمِيلَةٌ لَطِيفَةٌ أَرَقُّ مِنَ الْهَفْهَافِ مَاهَا (1)

2/ و في الشعر الفصيح غير المعرب :

يقول الشّيخ قدور بن عاشور:

لَمَّا رُفِعَ السُّتُورُ وَ شَاهِدْنَا الْآهُوتُ
فَاضَتْ عَلَيْنَا بُحُورُ مِنْ عَيْنِ الْجَبَرُوتُ
فَاجْتَمَعَ نُورٌ بِنُورٌ تَلَاشَتِ النَّعُوتُ
هُوَ الَّذِي نَحْنُ لَا فِرَاقُ بَيْنَنَا (2)

نلاحظ أنّه إحترام البناء النّحوي مع إستعمال مفردات فصيحة و التّسكين لأواخر الحروف :

- لَمَّا رُفِعَ السُّتُورُ ← رفع
- لَمَّا رُفِعَ السَّتَائِرُ ← رُفِعَتِ
- * هُوَ الْحَيُّ لَا يَمُوتُ ← هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

إدغام الَّذِي

3/ و اللغة البينية في شعر الشيخ إبن عاشور:

يَا مَنْ تُرِيدُ طَيَّ الْوِصَالْ عَلَيْكَ بِمَحَبَّتِي
قَلْبًا لَا بِقِيلٍ وَ قَالْ فَبِالصِّدْقِ وَ النِّيَّةِ
نَنَالُ مَا نَالَتِ الرِّجَالْ وَ تَسْتَفِيدُ مِنْ حَضْرَتِي
إِنْ كُنْتَ صَدِيقٌ عَلَى بَالْ نَفْعَلْ بِكَ مَا فِي نَظْرَتِي (3)

4/ أما اللّغة العاميّة في شعر الصّوفيّة فقليلة جدّا في شعر الشّيخ شعيب أبي مدين و تطغى في شعر قدّور بن عاشور :

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 57
(2) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 52
(3) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 55

يقول الشيخ أبومدين شعيب (الغوث):

أَلْقَلْـــبُ اللِّـــي يَهْـــوَاكُمْ عُمْـــرُه مَـــا يَـــرْتَاحْ
يَتْنَعَّـــمْ فِي رِضَـــــاكُمْ كُـــلّ مَسَـــا وَ صَبَـــاحْ
مَا أَحْـــــلَا مَلْقَـــــاكُمْ فُـــوقَ عْسَـــلَ الْأَجْبَاحْ (1)

للشيخ إبن عاشور شعر عامي كثير منه قصيدة (لا بدك كي هذا الرأس يا رأسي):

وَاحَدَ الْجَمْعَة يَاذَا النَّاسْ رُحْتَ أَنْزُورْ قَاصَدْ مُولَ النَّخْلَاتْ رَاغَبْ أَنْسَاسِي
إِمَـــامُ الْقُطْبَـــا رَايَـــسْ الْبَـــدُورْ شِيخِـــي أُوجَـــدّ أُمِّي سِيـــدَ النَّاسِي
الْبَجَايْ سِيدَ أَحْمَدْ ظَاهَرْ أُو مَشْهُورْ دَايَمْ نَصَبَّـــحْ أَعْلَى الشِّيـــخْ أُو نْمَاسِي
زُرْتُه وَ أَخْرَجْتْ أَتْيَامَنْتَ الْكَرْكُورْ فِي طَرْفَ الْمَقَـــبْرَة خِـــيرْ لَا بَـــاسِي (2)

و قصيدة " يَالْقُمْرِي":

صَلّ أُوصَلْصَلْ فُوقْ سَطْحَكْ لُوتَدْرِي يَالْقُمْرِي مَا فِي قَلْـــبِي تَتْهَزَمْ مِنِّي وَ أَتْنُوحْ
مَا تَعْرَفْشِي أَمْحَايْنِي لَا زَلْتْ مَا زَلْتْ يَالْقُمْـــرِي مَا يَعْلَمْ أَبْفَـــرْحْتِي إِلَّا الْمَقَـــرُوحْ
أَنْتَ زَاهِي دَايَمْ أَفَلَّسْطَاحْ تَجْرِي يَا لْقُمَـــرِي مَتْوَنَّسْ بَاحْمَامْتَكْ قَلْبَكْ مَشْرُوحْ (3)

و تفاديا لصعوبات النّطق و تجاور الحروف و كذلك لإحترام الوزن يضطرّ الشّاعر إلى حذف بعض الحروف قصد التّخفيف و السّلاسة.

و القـــارئ لمعظم قصائـــد الدّواوين يلاحظ أنّه لم تجر على قاعدة العروض الشّعري و العناية بالأوزان.

و قد أجاب الشّيخ العلاوي عندما سئل عن ذلك فقال : " إن القوم رضوان الله عليهم أغلبهم لا يتعاطى فنّ الشعر إقتداءاً بالنبي صلى الله عليه و سلم حيث لم يؤذن له في ذلك . فكانوا فيه أقصر باع من غيرهم إلاّ من تعاطاه من قبل. فالصوفي يعبّر عن معارفه و فتوحاته كيف ما تتفّق إذ لا عبرة باللّفظ إذا إستقام المعنى" (4)

---

(1) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص55

(2) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 26

(3) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص124-125

(4) مقدمة دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين ، ص05

يرى الدّكتور عبد الله ركيبي أن حقيقة الخلاف بين هذين النّوعين من الشّعر إنّما هو التّركيز على هذا الجانب أو ذلك من حياة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من جهة، أو في الأسلوب من جهة أخرى . و يقول أن شاعر الفصحى بجوانب العظمة في حياة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و رسالته فيقتدى آثارها، و بالإسلام يشيد بسموّه و رفعة مبادئه في وعي و فهم له، بينما شاعر الملحون يعني بالصّلاة على النبيّ صلى الله عليه و سلّم و وصف جماله الظّاهر و الباطن و يركّز على نور النّبوة في روح صوفيّة واضحة إلى جانب العناية بالناحية البطوليّة في مواقف الرّسول و صحابته ثمّ خرج بنتيجة فيقول " و منشأ هذا كلّه أن شاعر الفصحى غالبا يتمتع بثقافة إسلامية مكّنته من أن يفهم الدّين فهماً سليماً و يفهم بوجه خاص أهدا ف الرّسالة المحمّدية الإنسانيّة ، أمّا شاعر الملحون فإنّ ثقافته لا تأهّله لهذا الفهم و لا تساعده على أن يتعمّق في جوهر الإسلام و مثله و التشريعات الّتي جاء بها .

من هنا كانت قصائده تنصبّ على الجانب الرّوحيّ وحده تقريبا فيها لمحات قصيرة من الجوانب الأخرى" (1) .

و يبدو أن هذا الرّأي قد ينطبق على بعض شعراء الملحون دون البعض الآخر إذ نلتمس ثقافة لا تضاهيها ثقافة في شعر الشّيخ قدّور بن عاشور الّذي يعتبر من فطاحل شعراء الملحون و بالخصوص يعتبر من أكبر شعراء أهل التّصوّف المعاصرين

فقاموس مفرداته الغزير و الغريب يكفي البرهان على كفاءته في اللّغة، كتلك المستعملة في قصيدة ' أَبْدِيتْ بِسْمَ اللَّهْ تَوْفِيقْ ' (2) ، أو قصيدة ' يَا لْقُمْرِي' (3) وقد بسطّ لغته ليسهل على أهل زمانه فهمها فقد كان أغلبهم أميّين و مفرنسين لا يحسنون سوى التّخاطب بلغة عاميّة مزدوجة تجمع مفردات على وزن اللّغة العربية .

و النّقطة الأساسيّة الّتي يجب الإشارة إليها، هي عدم تعامل أهل التّصوّف الحقيقيّين مع السّلطات الإستعماريّة بأيّ صفة ، و عدم الخضوع لإغراءاتها أو

---

(1) عبد الله ركيبي ، المرجع السابق ، ص 384

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 136

(3) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 124

تهديداتها ، و تفضيلهم للتقشـــف و البأس و الكدّ من أجل قوت عيالهم كما كان يفعل الشّيخ بن عودة بن مامشا في ورشته.

و ما يبيّن أن الشّيخ قدّور بن عاشور كان يهتمّ لما يجري في المجتمع أيّام الإستعمار في الفترة ما بين 1900 إلى 1930 تقريباً هو إنتقاده لهذا المجتمع وللجزائريّين الّذين كانوا يقومون بدور الوساطة بين السّلطات الإستعماريّة و الشّعب الجزائري كما جاء في قصيدة"يَا رَّاوِي سَقّسِينِي عْلَى أَحْوَالْ دَا الْقُوْمْ ". (1)

يَا رَّاوِي مَيّزْ لأَهْلَ الْفْجُورْ وَ الظّلُومْ عَنْدْهُمْ سَبْعَ وْجُوهْ وَ سَبْعَة مْنَ الْقْرَاجَمْ
دْيَابْ فِي ثْيَابْ كِمَّا قَالْ النّبِي الْمَعْصُومْ أَفْعَالْهُـمْ تَكْفِيـكْ عْلَى كُلّ مَا تْخَمّمْ
رَاهْ صَايَرْ كِمَّا صَارْ لْقُومْ لُوطْ بَانْشُومْ خَايْفِـينَ الْقَدِيـرْ يَقْلَـعْ الْمْـلاَزَمْ

و يتصوّر الفرج من ظلم الإستعمار قائلاً:

يَا أَمْرَ اللّهْ اسْرَافِيـلْ لِلصّعِيـقْ مَعْـزُومْ لِأَنّهْ رَحْمَـانْ رَحِيمْ مَلِـكْ عَظِيـمْ
قَـادَرْ الْحَمِيـدْ الْمَجِيـدْ يَـتْرَعْ غْيُـومْ يَنْبَزَعْ هْلاَلْ مْنَ الْقَبْلَة شْرِيفْ هَاشَمْ
يَنْصُرْ الْمَهْدِي يَرْكَبْ فِي عْسَاكَرْ الْقُـومْ وَ الطّبَلْ يَنقّـرْ فِي السّمَـا يْبَرْقَـمْ

و يسأل على لسان الرّاوي: (2)

فَاوَقْ يَاتِي مْقَطّعْ الْقْرَاجَـمْ الـحْرَامْ يْكَسّرْ جُنْدَ الرّهِيبْ وَ يْبَيّـنْ الإِسْلاَمْ
دَبّاحَ الْكَافِرِينْ(3) وَ جْمِيّـعَ الظّـلاّمْ (4) إِسْـلاَمَ الْمُسْلِمِينْ فِي دِيـنَ الْعَظَامْ
قْضَاتْ (5) وَ كُلّ قَايَدْ حْطَابْ جَهَنّمْ وَ جْبَابَرْ طَايْغِينْ (6) كَانُوا فِي الأَحْكَامْ

4-1 الأزجال و الموشحات في شعر الصوفية :

يختار أهل التّصوف الموشّح و الزّجل في الإنشاد لخفّة الإيقاع فيهما كما يشارك الحاضرون في السّماع بترديد الآزمة بعد المنشد بصوت جماعي أو مشاركتهم

---

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور" ، جمعه الفقير محمّد البوعناني، ص50

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور" ، جمعه الفقير محمّد البوعناني ، ص51

(3) المعمرون الفرنسيون

(4) المتعاملون مع الإستعمار (الحركه)

(5) و (6) الهيئة الحاكمة الإستعمارية ،

حيّ في الإنشاد أحياناً لأنّ معظم القصائد يتمّ حفظها من طرفهم من كثرة تكرارها .

للشّيخ أبي مدين شعيب قصائد صوفيّة من نوع الزّجل مثل قصيدة " طَابَتْ أَوْقَاتِي بِمَحْبُوبٍ لَنَا " (1)

مركز
طَابَتْ أَوْقَاتِي بِمَحْبُوبٍ لَنَا ... حُبُّـــهُ ذُخْـــرِي
نَرْغَبُوا مَنْ لَا لَنَا عَنْهُ الْغِنَى ... فِي صَـــلَاحُ أَمْـــرِي

الأغصان
أَنَا هُوَ شَيْخُ الشَّرَابُ سَاقِي الْمِلَاحْ ... لُـــذِّي لِي التَّمْـــزِيقْ
أَبْسُطُـــوا سَجَّـــادَتِي رَاحَا بِرَاحْ ... قَـــرِّبُوا الْإِبْـــرِيقْ

السمط
يَا أَنَـــا مِنْهُ أَنَـــا حَيَّ أَنَـــا ... هِمْـــتُ فِي سُكْـــرِي

أورد الدكتور عبد الحميد حاجيات في كتابه " الْجَوَاهِرُ الْحِسَانُ" أنّ هذا الزّجل من بحر الوافر ووزنه :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ ... فَـــاعِلَاتُنْ لُـــنْ (2)

و طبعها : إنصراف موال"

وله قصيدة " يَا عَيْنِي لَا زِمِي السَّهَرْ " من الزجل من بحر الرّجز (3)

مركز
يَا عَيْنِي لَا زِمِي السَّهَـــرْ ... طُـــولَ اللَّيَـــالِي
عِشْقِي فِي مَحْبُوبِي أَشْتَهَرْ ... رِقُّـــوا لِحَـــالِي

الأغصان
مَنْ نَعْشَقُوا مَالِي سِوَاهْ ... وَ لَا نَمَلُّـــو
وَ لَا نَـــزَلْ نَتْبَعْ رِضَاهْ ... الـــدَّهْـــرَ كُلُّـــو
وَ مَنْ يَلُومْنِي فِي هَـــوَاهْ ... نَبْـــدَأْ نَقُـــولْ لُّـــو

السمط
يَا لَائِمِـــي مَا نُعْتَبَرْ ... مِنْ ضُعْـــفِ حَـــالِي

---

(1) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص73

(2) د. عبد الحميد حاجيات ، " الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان " ، ص 31

(3) وزن البحر مستفعلن مستفعلن مستفعلن لسن ، أنظر المرجع نفسه للدكتور حاجيات عبد الحميد ، ص 39

و للشيخ قدور بن عاشور أزجالا كثيرة من بينها قصيدة " عَمّهُوجٌ لِقِيتَ الْبَارَحْ" (1)

مركز: عَادَمْ مَهْمُومْ أَحْزِينْ بْنَ نَاحَلَ الْجِسْمْ جَاحْ رَاحَـــلْ فَالدّنْيَـا سَـامَحْ
نَلْحَقْ النَّاسْ فَاتُوا أَقْفَاوْا فِي نَـــجْمَعْ رَاحْ عَمّهُـــوجَ الْقِيـتَ الْبَـارَحْ

الأغصان:
عَمّهُـوجْ ابْحُسْنْ فَـاتْ زِيـنْ بَـاهِي نعْـاتْ
يَسْتَحْكَـمْ فَاحْلَبَـاتْ كَلّمْتُـه فَـأَيْتَ
يْتَبَحْتَـرْ فِي غُرْفَـاتْ قَـدّ عَـالِي أَعْتَـا
شَتّتْ شَمّـلِي تَشْنَاتْ نَـارْجُوا فِي أَرْقَـاتْ
سَـاهَرْ فَالدّاجْ أَنْبَـاتْ دَمْعِـي كِـالشّتَـا
لِيَـّعْ رُوحِي لِيعَـاتْ يَا عَـذَابِي أَفَّـاتْ
كِي تَعْمَـلْ يَا سَدَاتْ قَـرْحَتِي نَـابْتَ
هَايَـمْ مَـنْ عَشْقُـه سَـايَحْ

و يكمن الإختلاف بين أزجال الشّيخ أبو مدين شعيب و أزجال الشّيخ قدور بن عاشور في عدد الأغصان. فالعدد الحقيقـي للأغصـان هو ثمانيـة لكـن شعـراء التّصوّف خرجوا من المألوف و إستغلّوا ما بدا لهم، و لم يحترموا قوانين الزّجل فأتت أزجالهم ناقصة إمّا بعدم وجود السّمط أو نزع القافيّة في الأغصان أو قلّة عددها من عددها العادي.

بينما تتكوّن في قصيدة " فَاجِي يَا قَلْبِي فَاجِي " (2) من العناصر التالية :

مركز: هَطّلُـوا بِالدّمْـعَ أَغْنَـاجِي مَنْ صَـدّ الْأَنْقَـوَاهْ طَالْ بِيَ الْعْلَاجْ
فَالْمِيـرَ أَكْثَـرَ الْجَـاجِي مَصْـرُوعَ أَبْنَارَ الْبِينْ شَاعَلْ مَلْتْهَاجْ
بِينَ أَصْـوَارِي وَ أَبْـرَاجِي نَصْبَرْ وَ الصّـبَرْ يَجُـودْ لَاغْـنَا بِالْفَرَاجْ

لازمة: فَـاجِي يَـا قَلْبِـي فَاجِـي

---

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور" ، جمعه الفقير محمّد البوعناني، ص151، و عمهوج يقصد بها الشاعر رسول الله صلى الله عليه و سلم .(شرح أحدناه من بعض المسمعين).

(2) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور" ، جمعه الفقير محمّد البوعناني، ص19.

أغصان

فَـاجِي يَا قَلْـبِي أَرْجَا ... أَغْمَـامَتَكْ تَنفَـجَا
وَ أَسْعَى أَتَنَـالَ الْحَاجَا ... أَعْضَـاكْ يَتْبَهْجُـوا
بَعْـدَ اظْلَامَ الدَّجَـا ... أَتَعُـودَ مَتْبَهْجَـا
قَمْـرَكْ مَسْـرُوجَا ... كْـوَاكَبْ ايْوَهْجُـوا
يَبْـدُو سِـرَّ الْمَهْجَـا ... أَمْنَـابَرْ طَـاهْجَـا
مَا تَبْقَـى لَكْ حُجَّـة ... أَجْـوَادَكْ أَتْسَـرْجُوا
تَعْـلَ بَالَـفْ دَرْجَا ... أَتْخُـودَ طَبْـعَ النَّجَا
ثُمَّ أَقْـوَالَكْ تَسْجَـا ... أَمْـوَاهَبْ ايْهَجُـوا

لقد إحترم الشاعر قوانين الزجل كونه إستهل قصيدته بمركز يضم ثلاثة أبيات ثم تليها ثمانية أغصان لكنه لم ينهها بسمط بل مباشرة نظم مركزا آخر و للشيخ إبن يلس زجل في قصيدة " ماء زمزم" (1)

مركز

مَـاء زَمْـزَمْ بِزَهْرَه الْمُنَى ... لْـوْنَ الْخَمْـرْ
وْ فِي قَابْ قَوْسِينْ إجْتِمَاعْنَا ... كَعْبَـةُ الْفَخْـرْ

أغصان

طَابْ وَقْتِي يْدُورَ الْكَمَالْ ... خُلَفَـا السُّلْطَـانْ
جَمْعُهُمْ فِيهِ حُضُورُ الْجَمَالْ ... جَنَّـةُ الْعِـرْفَانْ
مَكَّةُ الْمَجْدْ خَطِيتْ رْحَالِي ... حُسْنَـهَافَتَّـانْ

مركز

أَمْلَـؤُوا يَا فُقَـرَا كُؤُوسَنَا ... عَتِيـقَ الْخَمْـرْ
وَ أَشْرَبُوا وِ وَعَرْبِدُوا فِي وَقْتِنَا ... يَـا ذَوِي السِّـرّْ

نظم الشّيخ أبو مدين شعيب توشيحات من بينها " رَكِبْتُ بَحْرًا مِنَ الدُّمُوعْ "(1) ذكر الدكتور حاجيات إن هذا الموشح في هامش كتابة من بحر البسيط (2)

---

(1) " ديوان الحاج محمد بن يلس "، جمعه مصطفى بن يلس ، ص 27

(2) " ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 58 .

(3) د. عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 42

المركز { رَكِبْتُ بَحْرًا مِنَ الدُّمُوعِ سَفِينُهُ جِسْمِيَ النَّحِيلُ
فَمَزَّقَتْ رِيحُهُ قُلُوعِي مُذْ عَصَفَتْ سَاعَةُ الرَّحِيلُ

الأغصان { يَا حَيْرَتِي خَافُوا عُيُونِي تَحْسِرِي عَلَى الْخَدِّ كَالْعُيُونُ
خَيَّبْتُمْ فِي الْهَوَى ظُنُونِي مَا هَكَذَا كَانَتِ الظُّنُونُ
مِنُّوا وَ لَا تَطْلُبُوا مَنُونِي فَإِنَّ هِجْرَانَكُمْ مَنُونُ

مركز { وَ جَمِّلُوا الدَّارَ بِالرُّجُوعِ وَ بَرِّدُوا لَوْعَةَ الْعَلِيلُ
وَ سَامِحُوا الطَّرْفَ بِالْهُجُوعِ وَقَصِّرُوا لَيْلِيَ الطَّوِيلُ

نرى تنوعا في القافية و خروج من قيود القصيدة الفصيحة التقليديّة أو المقيدة في قافية واحدة.

1-5 خصائص الشعر الصوفي:

أ – دراسة خبايا النفس:

من أبرز الخصائص في الشعر الصوفي تطرقه لدراسة النّفس البشريّة بكثير من العناية.

يعد الشّاعر الصّوفي إبن الفارض من مؤسّسي علم النفس لما يملكه من فلسفة عجيبة و عبقرية كبيرة كونه يرى إن العلم منبعه النفس لا العقل، و مصدره الرئيسي هو الإلهام النفسي و ليس المعرفة العقلية. و منهج العلم لا يكون بترتيب المعلومات الإنسانية بواسطة الوحي و التذكر.

و هذا ما نجده في تائيته :

وَ فِي عَالَمِ التِّذْكَارِ لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا الـ مُقَدَّمِ تَسْتَهْدِيهِ مِنِّيَ فِتْيَتِي

يشرح عبد المنعم خفاجي هذا البيت شرحا باطنيا فيقول :

" فإبن الفارض يرى أن النّفس الإنسانية تكتسب علمها الأول من التّذكر لكلّ ما يستقرّ فيها من مشاعر و خيالات و صور.و التّذكّر النّفسي عالم أوسع

و بهذا يوضح إبن الفارض جانبا كبيرا مما كتب حوله الصوفيون من دراسة للنفس الإنسانية و من أدب التحليل النفسي الذي أبدع فيه الصوفيون" (1)

يقول الإمام علي كرم الله وجهه مبينا حقيقةالكائن الإنساني " وَ تَحْسَبُ نَفْسَكَ جُرْمًا صَغِيرًا وَ الْعَالَمُ فِيكَ إنْطَوَى" (2)

و أما الشرح الظاهري لبيت هذا الشاعر فهو كالتالي :" المعنى الظاهري أنه يعلم تابعية العالم الذي يتذكره من وجوده الأول في الملأ الأعلى من الله"(3)

ب – الرمزية :

و الخاصية الثانية في الشعر الصوفي هي الرمزية لأنه يتحدث من أعماق النّفس كحديث الرؤيا و الأحلام و العقل الباطن و خفاياه.

" و الشّعر الصّوفي برمزيته الأسلوبية و الموضوعية هو صاحب نزعة سريالية (4) و المذهب السّريالي يعود إلى التحلّل من كلّ المنطق التّقليدي و يتبّين دور الآدامي في العمل الفني مؤكّدا التداخل بين الأحلام و الواقع" (5)

و قد درس الصوفية عالم ما وراء الحس و تجاوز قدرة العقل و الحواس.و كان تأثيرهم على الشّعر العربي كبيرا و أثروه بسريالتهم الغامضة ثراءاً فاحشاً كبيرا.بدافع الشّوق و المحّبة الإلاهية و الرّغبة بالوصول و المشاهدة ، جالوا في العالم الرّوحي و الأسرار و الأنوار.و قد أبدعوا في مذاهب التّعبير و الآداء فوسّعوا من جوانب الأدب.(6)

---

(1) عبد المنعم الحفاجي، المرجع السابق ، ص 176

(2) متداول بين أهل الزاوية ميدان البحث

(3) عبد المنعم الحفاجي، المرجع السابق ، ص 176

(4) السّريالية هي التّعبير عن الفكرة في غيبة أيّة رقابة قد يمارسها العقل و ، بعيداً عن كلّ اهتمام جمالي (انظر الفنّ السّريالي لأندري بروتون)

(5) و (6) عبد المنعم حفاجي المرجع السابق ، ص 177.

و عبّروا عن الحبّ الإلاهي و إحترقوا بنار الشّوق و إتّخذوه مذهبا في الحياة.

يقول إبن الفارض (1) (576ه-632ه):

وَ عَنْ مَذْهَبِي فِي الْحُبِّ مَالِي مَذْهَبُ ... وَ إِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي

وَ لَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ ... عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بُرْدَتِي

لَكَ الْحُكْمُ فِي أَمْرِي فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعَنِّي ... فَلَمْ تَكُ إِلاَّ فِيكَ، لاَ عَنْكَ رَغْبَتِي !

فالغزل الصّوفي يسمو عن الغزل الحسّي بكثير.لكنّ الأمر إلتبس على القرّاء العاديّين أو العوامّ مثلما وقع للشّاعر الصّوفي عمر الخيّام (2) في رباعيّته حين تحدّث عن الخمرة و المرأة و هو يعني أمور حسّيّة يكسوها بأسلوب من الرّمز و التّمثيل و التّخييل الواسع لكن إستخدمها بذكاء و التّعبير عنها بصورة موحيّة ترسم خطوط الفكرة و تنسج خيوطها.

و ما يميّز الشّعر الصّوفي إضافة إلى ذلك هو " حاصل عن تعبير وجداني خالص ينبع من ذات الشاعر و من أعماق نفسه يجمع بين الرومنسية و الحلم و هو إشراقي النزعة، روحي الهوى" (3).

إنّ الشّاعر الصّوفي لا يسعى وراء الكسب و الشّهرة و إسترضاء الخلق، بل يسعى لمرضاة الله سبحانه و تعالىء و الموضوعات الّتي يتطرّق إليها الشّعر الصّوفي حول علاقة الشّاعر بالدّين الإسلامي في أعلى مستوى يخص مقام الإحسان.فمن مديح نبويّ إلى زهد في الدّنيا إلى آداب و أخلاق رفيعة و حكم و دعاء و إستغاثة و حبّ للذّات العالية.

---

(1) الإمام أبو حفص عمر بن علي بن المرشد الحموي أصلا المصري مولدا ..قدم والده من حماه و عاش في مصر يعمل في إثبات فروض النساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب " الفارض" (أنظر الأدب في التراث الصوفي لحفاجي " ص 213

(2) عمر الخيّام : صاحب الرباعيات و هو ديوان شعري ،

(3) عبد المنعم حفاجي، المرجع السابق ، ص 178

1- 6 مفهـــوم الـرّمـــز:

أ- لغويـــاً :

" و الرّمز يعني كـــلّ ما يحلّ محلّ شـــيء آخر في الدّلالة عليه لا بطريق المطابقة التّامة و إنّما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضيّة أو متعارف عليها " (1).

و يقول عن هذا المعنى " الملموس للرّمز" و عادة يكون الرّمز بهذا المعنى ملموساً يحلّ محلّ المجرّد كرموز الرّياضة مثلاً التّي تشير إلى أعداد ذهنية..." (2)

أمّا فيما يخصّ الشّيء الملموس : " و هناك وجه أكثر تعقيداً للرّمز هو الشّيء الملموس الّذي يوحي عن طريق تداعي المعاني إلى ملموس أو مجرّد كغروب الشّمس مثلاً الّذي قد يدعو إلى التّفكير في حالات الضّعف و السّكينة و الشّيخوخة، أو تصوير رجل هرم رمزاً للشّتاء "(3)

و قد إتّفق علماء اللّغة المحدّثون على التّمييز بين الرّمز و العلامة أو الإشارة، فالرّمز عندهم حسب المعجم يتميّز بصلاحيّته للإستعمال في أغراض مختلفة، و تلعب العوامل النّفسيّة بلا شكّ دوراً هامّاً في تحديد دلالته " (4) على سبيل المثال : نجد رمز سفا ستكا و هو شعار هنديّ يرمز إليه بصليب معقوف 卐 (5) بينما عند الألمان يمثّل هذا الشّكل رمزاً للنّازية الهتليريّة.

أمّا الإشارة يشرحها الدّكتور مجدي وهبة على أنّها :" ليس فيها سوى دلالة واحدة لا تقبل التّنويع و لا يمكن أن تختلف من شخص لآخر مادام المجتمع قد تواضع على دلالتها" (6).

ب- الـــرّمـــز أدبيـــاً :

إنّ اللّجوء إلى إستعمال الـــرّمز له إتّجاهات أدبيّـــة و فنيّـــة، يشرح مجدي وهبـــة الرّمزية قائلا : " و الرّمزيـــة فـــي الأصـــل هـــي كـــلّ إتّجـــاه في الكتابة فيه إستعمال الرّموز إمّا بذكر الملموس و إعطائه معنى رمزيّاً ، أو بالتّعبير عمّا

---

(1) د. مجدي وهبة و د. كامل المهندس، " معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب " ص 181

(2) ، (3) و (4) د. مجدي وهبة و د. كامل المهندس، المرجع نفسه ، ص 182

(5) سهيل إدريس و جبّور عبد النّور، المنهل قاموس فرنسي-عربي، ص 992

(6) مجدي وهبة و كامل المهندس ، المرجع السابق ، ص 182

هو مجرّد من خلال تصويرات حسّيّة مرئيّة كحروف الكتابة، أو اللّوحات الفنّيّة مثلاً "(1).

لقد إستخدم الأدباء الفرنسيّون رموزاً في نثرهم و شعرهم . مثل الكاتب فيكتور هيجو " Victor HUGO "(2) الّذي إشتهر بتفنّنه في ذلك . و شبّه في إحدى قصائده حركة الفلاّح في رمي البذور في الحقل و كأنّها نجوم مشتعلة في السّماء و هي كناية عن رمي الشّاعر أفكاره للقرّاء. كذلك الشأن بالنّسبة ل" ألفريد دوفينيي " "Alfred DE VIGNI " في قصيدة له عنونها بـــ " موت الذئب: la mort du loup " و هي في غاية الرّوعة و البراعة في إستعمال الرّموز تروي قصّتها عن شجاعة و قوّة الذئب المصاد للألم حتّى أنّه يفضّل الموت على إعترافه بالهزيمة بصراخه. و هو يرمز للإنسان القويّ الصّبور على الشّدائد.

أعطى "علي شلق " مفهوماً فنيّاً للرمزية قال : " الرّمزية فنّ تكثيف العبارة و ملئها بالإيماءات وإختيار ما هو بعيد، متنافر في الكون و اللّغة ، و رصفه على نسق من الإيقاع، والبريق الموحي، في لغته إلى منابع النّفس العميقة "(3)

و تأثّر الأدباء العرب بالرّمز فأظهروه في مؤلّفاتهم و خاصّة القصائد الشّعريّة . منذ عهد أبي تمّام و مسلم بن الوليد.

ج – الرمز في الشعر الصوفي:

روي في بعض الأحاديث عن إبن عطاء الله حين قال أن أصل دليل القوم في رمزهم من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال لأبي بكر يوما :" يا أبا بكر أتدري ما أريد أن أقول ؟ فقال : نعم هو ذاك هو ذاك"(4)

---

(1) حدي وهبة و كامل المهندس ، المرجع السابق ، ص 182

(2) هو جو (فيكتور) ، شاعر فرنسي (1802-1885) ، زعيم المدرسة الرومنسية ، مؤلف القصائد " اسطورة القرون " ، لقصص (البؤساء) و مسرحيات درامية راي بلاس Ruy Blas – LIBRAIRIE LAROUSSE – PARIS 1979 LA ROUSSE DE POCHE P 491 –

(3) علي شلق ، "الفنّ و الجمال " ، ص 109

(4) عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ،ص 186

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" حفظت عن رسول الله (ص) وعائين من العلم أما أحدهما فبثثته و أما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني البلعوم"(1)

و يسانده القول الإمام علي كرم الله وجهه عندما قال :" إن بجانبي علما لوقلته لأزلتم هذا عن هذا (و أشار برأسه عن جثته) و الإمام زين العابدين رضي الله عنه عندما نظم ابياتا في هذا السياق:

يا رب جـوهر علـم لو أبـوح به لقيـل لي أنـت ممن يعبد الوثنا

و لا سنحـل رجـال مسلمون دمي يـرون اقبـح ما يأتونه حسنا (2)

و ما العلم الذي تحدثوا عنه إلا علم الباطن الذي يخزن أسرارا عن الحقيقة. و هو الذي يرمز إليه الصوفية في أشعارهم و التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة و أحكامها و قد تحدثوا فيها من باب الإشارة أو الكتابة أو المجاز.

و قد وصف عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته كلام الصوفية قائلا :" ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في إصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر و محسن و متـأول" (3).

ثم قال:" فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك و نتركه فيما تركناه من المتشابه و من رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة"(4) و يقصد بكلامهم على المجاهدات و ما يحصل من الأذواق و المواجد و محاسبة النفس على الأعمال و المقامات التي يترقوا من أحدها إلى الآخر.

و في حكم كلام القوم يقول :" و أما الألفاظ الموهمة التي يعبـرون عنهـا بالشطحـات و يؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الإنصاف في شأن القـوم أنهم أهل غيبة عن الـحـس و الواردات تملكهم حتى ينطقوا عنهـا بمـا لا يقصدونـه و صاحـب الغيبـة غير مخاطب و المجبور معذور فمن علم منهم فضله

---

(1) و (2) أبو مدين شعيب " السعادة الأبدية لأبي مدين شعيب"، تحقيق عبد الحميد حميدو التلمساني ، ص 15

(3) و(4) عبد الرحمان بن خلدون ، " المقدمة"، ص 474

و آقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا " [1]

ثم أحصى هذا العلّامة الجليل عددا من الصّوفيّة و ما حدث لهم جرّاء كلامهم :" و أن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد و أمثاله و من لم يعلم فضله و لا إشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبيّن لنا ما يحملنا على تأويـــل كلامه و أما من تكلم بمثلها و هو حاضر في حسّه و لم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا و لهذا أفتى الفقهاء و أكابر المتصوّفة بقتل الحلّاج لأنه تكلّم في حضور و هو مالك لحاله "[2]

فما هو سبب لجوء الصوفية إلى إستعمال الرمز في إنتاجاتهم الشعرية ؟

يرجع سبب لجوء الصوفية إلى إستعمال الرّمز في كلامهم هو تقريب الفهم إلى المخاطبين، أو تسهيل على أهل تلك الصّنعة في الوقوف على معانيهم لأنفسهم أو الإخفاء و السّتر على من بينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها.و قال بهذا الإمام القشيري رحمه الله تعالى و الشّيخ إبن عربي و السّراج الطّوسي و مشايخ آخرون [3].

" و الرّمز في الشّعر الصّوفي ، يشرح عبد المنعم خفاجي ، لا يرجع فقط إلى الكنايات البعيدة وحدها و إعطاء أسماء على مسمّيات لا يودّون التّصريح بها عن طريق الرموز الخفية مثلا إطلاق إسم الخمرة على لذّة الوصل و نشوته. و هي خمرة إلاهيّة تجعل الصّوفيّة يروا نور الحقّ، و يسكروا بها قبل أن يُخلق الكرم فخمرتهم ليست المعصورة من كروم العنب و الّتي تصرع الألباب لقول إبن الفارض :

صَفَاءٌ وَ لَا مَاءٌ وَ لُطْفٌ وَ لَا هَوَا وَ نُـــورٌ وَلَا نَـــارٌ وَ رُوحٌ وَلَا جِسْمُ

تُقَدِّمُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَـــــا قَدِيمًا ، وَ لَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَ لَا رَسْمُ [4]

و توجد في كتاب الله العزيز رموزا أعجزت الكفّار عن الإتيان ببعـــض منهـــا

---

[1] و [2] عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق ، ص ص 474-475

[3] عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 185 – بتصرّف-

[4] عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 250 – بتصرّف-

مثـــلا في قوله عز و جل: " أَوَ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ" (1)

و إتّفق المفسرون على أن الله تعالى يقصد " أي أحييناه قلبا ميتا " أما قوله: " وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ"(2) و يعني إسال أهل القرية ، و قوله أيضا:" لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ"(3) أي إخراج النّاس من ظلمات الكفر و الطغيان إلى نور العلم. و يقصد من قوله تعالى : " وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ" (4) كناية عن حب العجل.

فظاهر الآيات القرآنية يبدي تعارضا و لكن بالتعمّق و التّدبّر في فهم مدلولها و متعلّقها نجدها قابلة للتّأويل.

فلا يمكننا الجزم بإيجاد تعارض و تصادم حسب رأي الشيخ عبد القادر عيسى في آي القرآن الكريم، و يذكر مثلا في قوله عز و جل و علا:" إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ "(5).

و قوله في آية اخرى:" وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (6) فمن لا يعرف تفسير النصوص القرآنية يجد تعارضا و تناقصا لأن الأول ينفي عن الرّسول (ص) الهداية فيقولون له أنّ الهداية في الآية الأولى تعني خلق الهداية و معناها في الثانية يقول الشّيخ، الدّلالة و الإرشاد فلا وجود للتّعارض عند ذوي الفهم أولي الألباب (7) .

إذا كان كلام الله سبحانه و تعالى يحتمل التأويل ، فكلام البشر يحتمل التأويل أيضا حسب إعتقاد أهل التصوف .

فنجد من الأحاديث الشريفة ما لا يجب حمل كلامها على الظّاهر بل تحتاج إلى تأويل و تفسير حتى يفهم مغزاها الملائم للنّصوص الشّرعية.

ذكر الشيخ حديثا جاء به الإمام الشعراني، فُهِم على حسب ظاهره قائلا: " و قد أجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات، كحديث : يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟مَنْ

---

(1) سورة الأنعام ، الآية 122

(2) سورة يوسف، الآية 82

(3) سورة ابراهيم، الآية 1

(4) سورة البقرة، الآية 93

(5) سورة القصص، الآية 56

(6) سورة الشورى، الآية 52

(7) عبد القادر عيسى، المرجع السابق، 416

يَسْأَلُنِي فأعطيه؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُلَه؟ "(1) و قد بلغ أحد الضّالين أن يقول ، و كان على منبر، فنزل درجة منه و قال للناس، ينزل ربكم عن كرسيه الى السماء ، كنزولي عن منبري هذا، و هذا جهل ليس فوقه جهل " (2).

و أمّا سائر العلوم و الفنون فلا نجد علمًا أو فنّا يخلو من إصطلاحات تخصّه لا يعرف معناها إلاّ أصحاب ذلك العلم أو الفن. نجد الطّبيب يستخدم مصطلحات تخصّ مهنته لا يفهمها المهندس و العكس صحيح. فلكلّ منهما آلاته المستعملة و مسميات خاصة يطلقها تعتبر رموزا و إشارات.

فإن شئنا مطالعة كتاب يتحدّث عن علم من العلوم لا بدّ لنا أن نطّلع على رموزه و معرفة فكها و إلاّ فيتم تأويل الكلام تأويلاً خاطئاً أو منقصا تماما لما يعينه صاحب الكتاب فيفهم فهماً خاطئاً (3)

ذكر الشّيخ عبد القادر القادري الأربلي في هذا الشأن : " إذا سمعت كلمات من أهل التصوّف و الكمال ظاهرها ليس موافقاً لشريعة الهادي من الضّلال توقّف فيها و إسأل من الله العليم أن يعلّمك ما لم تعلم و لا تمل إلى الإنكار الموجب للنّكال لأنّ بعض كلماتهم مرموزة لا تفهم هي في الحقيقة مطابقة لبطن من بطون القرآن الكريم و حديث لنبيّ الرّحيم فهذه الطريق هو الأسلم و القويم و الصراط المستقيم ..."(4)

لقد إتّهم الشّيخ إبن عربي بالزّندقة نتيجة عدم فهم كلامه ، فألّف كتابه المعروف ب " ترجمان الأشواق " يشرح فيه قصائده ،وفسّر سبب شرحه قائلا :" و كان سبب شرحي لهذه الأبيات أنّ الولد بدرا بن عبد الله الحبشي و الولد إسماعيل إبن سود كين نوري سألاني في ذلك وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ينكران أن هذا من الأسرار الإلاهية و أنّ الشّيخ (إبن عربي) يتستّر لكونه منسوباً

(1) حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب التّهجّد عن أبي هريرة رضي الله عنه و مسلم في كتاب " الذّكر و الدّعاء".(أنظر حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسي ، ص 416)،

(2) عبد القادر عيسى، المرجع السابق، ص 416

(3) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص ص 418 419 بتصرف

(4) الشيخ عبد القادر القادري ، " فيض الخاطر ، ص 3

إلى الصلاح و الدين ، فشرعت في شرح ذلك و قرأ عليّ بعضه القاضي إبن عدنم بحضرة جماعة من الفقهاء ، فلمّا سمعه ذلك المنكر الّذي أنكره تاب إلى الله سبحانه و تعالى و رجع عن الإنكار على الفقراء و مـــا يأتون به في أقاويلهم من الغزل و التّشبيب ، و يقصدون في ذلك الأسرار الإلاهية ..." (1)

ثمّ ذكر المكان و الزّمان الّذان ساعداه على نظمه فقال : " فإستخرت الله تعالى في تقييد هذه الأوراق و شرحت ما نظمته بمكّة المشرّفة من الأبيات الغزليّة في حال إعتماري في رجب و شعبان و رمضان أشير بها إلى معـــارف ربّانية ، و أنوار إلاهية ، وأسرار روحانية ، و علوم عقليّة ، و تنبيهات شرعية و جعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل و التّشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوفّر الدّواعي على الإصغاء إليها و هو لسان كلّ أديب ظريف ، روحانيّ لطيف ." (2)

وما حدث لإبن عربي حدث لمعظم شعراء الصوفية قبل زمانه و بعده إتّهموا بالكفر و الهرطقة و الجنون والشرك بالله و الغطرسة بسبب إستعمالهم لمصطلحات غامضة كـــ " وحدة الوجود " و " الخمرة " و " الغزل الصوفي " من حبّ و عشق وولع و غيرها من الكلمات الخاصّة بهم و الّتي تحمل معاني روحيّة مقدّسة .

و قدم الشّيخ محي الدّين بن عربي منظومة يوضح فيها سبب إستعماله للرّموز :

كُلَّمـــا أَذْكُـــرُهُ مِنْ طَلَـــلٍ أَوْ رُبُـــوعٍ أَوْ مغَـــانٍ كُلَّمَـــا
وَ كَذَا إِنْ قُلْتُ هَا أَوْ قُلْتَ يَا وَ أَلاَ ، إِنْ جَـــاءَ فِيـــهِ أَوْ أَمَـــا
وَ كَذَا إِنْ قُلْتُ هِيَ أَوْ قُلْتُ هُوَ أَوْ هُمُـــو أَوْ هُـــنَّ جَمْعًـــا أَوْ هُـــمَا (3)

كنموذج للإختلاف النّاشيء بين شعراء التّصوف و من لم يدرك فكّ الرّموز المستخدمة في إنتاجهم الشّعري هذه الأبيات من قصيدة الشّيخ محي الدين بن عربي عنوانها " الأوانس المزاحمات "(4) :

---

(1) إبن عربي ، "" ترجمان الأشواق ""، ص 199 بتصرف
(2) إبن عربي ، المرجع نفسه – ص 32
(3) إبن عربي ، المرجع نفسه – ص 10
(4) إبن عربي ، المرجع نفسه ، ص 32

وَ زَاحَمْتُنِي عِنْدَ إِسْتِلَامِي أَوَانِسُ أَتَيْنَ إِلَى التَّطْوَافِ مُعْتَجِرَاتِ
حَسِرْنَ عَنْ أَنْوَارِ الشُّمُوسِ ،وَ قُلْنَ لِي تَوَرَّعْ ، فَمَوْتُ النَّفْسِ فِي اللَّحَظَاتِ
وَ كَمْ قَدْ قَتَلْنَا ، بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ، نُفُوسًا أَبِيَّاتٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ

فلا شكّ أنّ الكلمة المفتاح المتسبّبة في سوء الفهم لدى القارئ الّذي لا يملك مفاتيح فكّ رموز هذا النّوع من الشّعر هي " أوانس ".

و المعنى الأوّل المتبادر للذّهن هو أنّ الشّاعر زاحمته أثناء الطواف حول الكعبة أوانس و وقع بينه و بينهنّ حوار.

و لمّا يسلم لنا الشّاعر هذه المفاتيح ندرك معنى قوله الحقيقي :

تعني عنده " أوانس " الملائكة لوقوع الأنس بهنّ و أنّهم لأن اللفظة التي تطلق عليهم تقتضي التأنيث و هو " الملائكة " و " الجنة " و لهذا جعلهم من جعلهم بناتا و إناثا.

أمّا لفظ "معتجزات"فيعني به" غير مشهودة له سبحات و جوههم لأنّهم غيب لنا لا نراهم ".

حسرن عن أنوار الشموس أي ظهرن له و إرتفع الحجاب فسطعت أنوارهن لعينه مثل الشّموس تورع : إجتنب الملاحظة لئلاّ تذهب بنور بصرك المقيّد أي لا تنظر إلينا فتعشق بنا و مقاماً و أنت إنما خُلِقت له لا لنا فإن إحتجبت بنا عنه أفناك عن وجودك به فمت فتكون عليك لحظة مشومة فنصحوه بقولهم : تورّع .

" كم من نفس أبية " يعني الّتي تحب معالي الأمور و تكره مذام الأخلاق و التعلّق بالأكوان و مع هذا حجبهم و تيّمهم جمال الأكوان في أوقات ما و في مقامات ما فتحفظ لئلاّ تلحق بهم و لا تخص أنفسهم بهذا الخطاب و إنما تعني كل الأرواح في كل مقام ".

إلى أن يقول :

كُلَّمَا أَذْكُرُهُ مِمَّا جَرَى ذِكْرُهُ أَوْ مِثْلُهُ أَنْ يُفْهَمَا
مِنْهُ أَسْرَارٌ وَ أَنْوَارٌ جَلَتْ أَوْ عَلَتْ جَاءَ بِهَا رَبُّ السَّمَا

لَفُـــؤَادِي أَوْ فُـــؤَادُ مَنْ لَـــهُ مِثْلُ مَا لِي مِنْ شُـــرُوطِ الْعُلَمَـــاءِ
صِفَـــــةٌ قُدْسِيَّةٌ عُلْـــــوِيَّةٌ أَعْلَمَتْ أَنَّ لِصِـــدْقِي قَـــــدَمَا
فَاصْرِفِ الْخَاطِرَ عَنْ ظَاهِرِهَا وَاطْلُبِ الْبَـــاطِنَ حَتَّى تَعْلَـــمَا (1)

و أطلق الصوفية على الحضرة الإلاهية عدة أسماء منها ' سَعْدَى ' ، و ' لُبْنَى ' و' عِتَبْ ' و' سَلْمَى ' و ' رَيَا ' أما" لَيْلَى " فهي الأكثر تداولا بينهم .و قال بعضهم :

أُسَمِّيكِ لُبْنَى فِي نَسِيبِي تَارَةً وَ آوِنَـــــةً سَعْـــدَى وَ آوِنَـــةً لَيْلَى
حَذَارِا مِنَ الْوَاشِينَ أَنْ يَفْطُنُوا بِنَا وَ إِلاَّ فَمَنْ لُبْنَى؟ فَدَتْكَ ، وَ مَنْ لَيْلَى ؟ (2)

و الطريقة الرمزية كما جاء في المعجم هي طريقة أهل التصوف الملبئة بالإشارات والمقامات الصوفية و ترجع نشأتها في الشّعر العربي لإبن الفارض (632 هـــ) الّذي ربي تربية صوفية و كان ينظم إشارات الصّوفيّة،و يصف مقاماتهم و يكثر من وصف الخمر و ذكر الغزل مريدا بذلك الذّات الإلاهية على إصطلاحهم .

و ذكر أنّه قد وقع إختلاف في شرح ديوانه فيقال : " فمنهم من شرحه على ظاهر اللّفظ كالبوريني (1024 هـــ) و منهم من أوّله على طريقة الصّوفيّة كالنّابلسي (1143 هـــ) " (3)

و بعيداً عن الفتن و اللّهو كان تيّار الــزّوايا الصّوفية يدعــو إلى النّــقاء و الصّفـــاء و الإستقامة. و رفض أهله التّعامل مع السّلطات الإستعماريّة الفرنسيّة بأي صفة. لقد دافعوا عن وطنهم و لم يكونوا بمعزل عما يحدث في مجتمعهم. و رغم فقرهم المادّي و حرمانهم إلاّ أنّهم صمدوا مثلهم مثل سائر أفراد الشّعب الجزائري.

---

(1) إبن عربي ، ترجمان الأشواق ، ص 10

(2) عبد المنعم خفاجي ، المرجع نفسه ، ص 181

(3) مجدي وهبة و كامل المهندس، المرجع نفسه، ص 237 (" هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي أشهر الأولياء العارفين من عصره إلى الآن ... تأليفه كثيرة و كلها حسنة متداولة مفيدة ، و نظمه لا يحصى لكثرته و من تصانيفه " إيضاح الدلالات في سماع الآلات " و تنبيه من بلهو عن صحة الذكر بالإسم هو " ، و له كرامات لا تحصى ، و كان لا يحب أن تظهر عليه و لا أن تحكى عنه و كان يحبه الناس و يعتقدون فيه و يقبلون عليه و كانت وفاته في دمشق سنة 1143 و دفن في الصالحية " أنظر جامع مع الكرامات الأولياء ج2 " للنبهاني ، ص 181-186. ، .

و إحترفوا حرفا لكسب عيشهم كمهنة النّجارة و صناعة القباب و المحاريث الخشبية و صناعة الأحذية و صناعة "البَلاَغِـــي"(1) "و " المَضَالّ " (2) إلى غير ذلك من حِرَف من الحرف الشّريفة الّتي تتطلّب الإتقان في العمل و بذل الجهد الكبير .

و عرف أهل التّصوّف بالقناعة و حبّ العمل حتى أنّ الشّيخ بن عودة بن مامشا كان يعمل من طلوع الشّمس إلى غروبها و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على صبره و قوّة تحمّله و لم يكن عالة على الناس.

لقد أحرز معظم مشايخ الصوفية تعليما متوسطا فنجد الشيخ إبن مامشا شأنه شأن الكثيرين من المشايخ حفظ قسطا من القرآن و السّنّة بالسّماع . لم يتمدرس قطّ فقد كان أمّيّا و لكنّه لم يكن جاهلاً لتعاليم كتاب الله العزيز و السّنّة النّبويةالشّريفة. كان ينطق بالحكمة أحسن ممّن نال الشّهادات العليا يقول تعالى :" يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ " (3)

و قد إنعكس مستواهم التّعليمي البسط على أشعارهم. و الرّموز الّتي نراها في نظمهم لا تصل إلى تلك الّتي إستعملها إبن عربي و إبن الفارض و الحلاّج و غيرهم من شعراء الصّوفيّة.

و القليل منهم من نال من التّعليم حظًّا وافرًا كالحاج محمد بن يلّس.

أبيات تبين الرمزية عند الشيخين الحاج محمد بن يلس و قدور بن عاشور

أ- الحاج محمد بن يلس :

إِنْ تَنْظُـــرْ بِجِدِ الْحَـــقّ لاَ وُجُـــودَ لِلْمَوْهُـــوم
فَتَجَـــلّى بِحُـــلَـــلِ الْحُسْـــنِ بِـــلاَ مِثَالِ
بِالْجَـــلاَلِ وَ الْجَمَالِ وَ الْمَحْسُوسِ وَ الْمَفْهُوم (4)

(1) البلغة نوع من الحذاء التقليدي يلبسه الرجال لتأدية صلاة الجمعة في المسجد أو الزاوية.

(2) المضل : قبعة مصنوعة من الحلفاء توضع على الرأس للوقاية من حر الشمس

(3) سورة البقرة ، الآية 269 .

(4) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ص 13

إنّ هذه الأبيات ترمز إلى وحدة الوجود الّتي قال بها جلّ الصّوفيّة في أشعارهم و هم لا يروا الحسن إلّا في الجمال بل يرونه في الجلال أيضا و لهذا يمضون سنين في المكابدة و السّهر في الذّكر و مجاهدة النّفس ، وهم لا يفرّقون بين القبح و الحسن في الخلق و يرونه مجموعا في الأضداد و لمّا ينتقلون من الجلال إلى الجمال يلومهم النّاس على زخرف الحياة. أمّا غيرهم فلم يروا الحسن إلّا في الجمال فقط ، ثم يقول :

لَمَّا أَفْنَيْتُ السَّرَابْ مَا بُقَى إِلَّا الْوَهَّابْ

لَا نَرَى لَهُ حِجَابْ هُوَ الشَّاهِرْ وَ الْمَعْلُومْ (1)

و يقصد بالحجاب ، الخلق و النفس و البشرية

و في قصيدة له يقول :

زَارَنِي الْمَلِيحْ وَ أَدَارَ الْكَأْسْ فِي رِيَاضِ الْقُدْسِ خَمْرَ الْجَلَّاسْ

و المليح هنا يقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الجلاس فهم أهل الذكر

قَدْ بَدَا قَمَرًا فِي مَحْفَلِنَا بِجُلَلِ الْحُسْنِ أَجْمَلُ لِبَاسْ

و القمر يرمز إلى شخص الرسول (ص)

وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا إِنْ تَغِبْ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلٍ غَلَسْ

و هنا قدم صورة بيانية بحيث شبه وجهه الكريم بإشراق الشمس و شبه غيابه بالبدر في الليلة الظلماء.

إلى أن يقول:

لَا تَفِي بِمَدْحِكَ أُولُو النُّهَى بَحْرُكَ الطَّامِي فَاضَ عَلَى الْإِحْسَاسْ (2)

و أُولُوا النُّهَى هم الواصلون العظام الذين يستطيعون الإيفاء بمدحك الذي تستحقه . أما البحر الطامي فهو البحر العظيم و يعني به كل الخصائص من كرم و جود و معرفة و أخلاق رفيعة تفوق الوصف و في موضع آخر يصف الحضرة الإلاهية برموز :

هَذِهِ شُمُوسُ لَيْلَى شَعْشَعَتْ سَلَبَتْ أَنْوَارُهَا كُلَّ الدُّرَرْ

و الدرر يشير بها إلى الأنبياء و الرسل و الأولياء الصالحين.

كَشَفَتْ بُرْقُعَهَا عَنْ وَجْهِهَا أُطْرِبَ الْكُلَّ وَ مَاتُوا فِي النَّظَرْ

---

(1) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس – ص 13

(2) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس- ص 11 قصيدة "زارني المليح و أدار الكأس"

أي أن الحضرة الإلاهية أزالت اللثام أي ظهرت دون تخفي وراء الكائنات المخلوقة.أما عبارة "ماتوا في النظر " تشير إلى الإضمحلال .

إِنْ تَقُلْ شَمْسٌ فَبَعْضُ نُورِهَا أَوْ تَقُلْ بَدْرٌ كَذَلِكَ الْقَمَرْ

يعني بأن الرسول (ص) تعجز الألسن عن وصفه فما نور الشمس إلا من بعض نوره و ما نور القمر إلا قبس صغير من بدره ، فنلاحظ أن المشبه أصبح مشبها به ، يسهل تحديد الصورة البيانية لو قال :

إن تقل شمس فالشمس بعض نورها (أي أنوار شموس ليلى) و المشبه به أصبح مشبها لقوله " أو تقل بدر كذلك القمر " أي أن نور القمر يأتي من نور البدر ألا و هو الرسول صلى الله عليه و سلم.

يرى الصوفية أن الله سبحانه و تعالى لما أراد أن يخلق الأشياء خلقها من نور سيدنا محمد (ص) و نوره من نور العزة.

حَضْرَةُ الْإِطْلَاقِ بَدَتْ شُمُوسًا مَحَتِ الرِّوَاقَ مِنْ وَجْهِ لَيْلَى (1)

يقصد ب " حضرة " الإطلاق " التّجلّي في الكلّ أي تجلّي الله سبحانه و تعالى في صنعه و هي ضدّ حضرة التّقييد (العبد عبد و الرّبّ رب) أي مقيّدة بالشّريعة التي تتطلب العبادة .

إنّ حضرة الإطلاق هي الحضرة المترهة و جمال ليلى تجلى في كل رونق (في معارفه و أنواره و أنبيائه و أوليائه) .

صَاحَتِ الْأَطْيَارُ فَوْقَ الْمَنَابِرْ *** وَ فَاحَتِ الْأَزْهَارُ وَ الرَّوْضُ عَاطِرْ

إن الطّير هو الروح و يرمز لحنين الأرواح المقيدة في الجسم إلى أصلها و إشتياقها إلى للعودة إلى موطنها بالأطيار التي تصبح من شدة حنينها إلى أصلها ، و المنبر جمع منابر هو الجسم ، و فاحت الأزهار يعني تجلي الجمال و فيض المعارف.

أما البيان و البلاغة في شعر الشيخ قدور بن عاشور فتكاد لا تحصى نذكر من بينها تجانس الحروف في الأبيات التالية :

مُحَمَّدٌ الْعَزِيزُ الْمُعَزُوزْ مَا عَزَّ مَنْكٌ إِلَّا الْجَازِي

يَا كَتَّرْ دُرَّ صَافِي مَفْرُوزْ تَزْكَى فِي سَاعَتْ الْأَحْيَازِي

(1) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس – ص 10 (قصيدة " صلوا ياكرام على الوسيلة)

و هو يشبه الرسول (ص) بالكنز الصافي و أنه يجده في وقت الشدة

مِنْ كَنْزِكَ إِمْتَلأَتِ الْكُنُوزْ بِاللهِ وَ بِيكَ النَّاسْ إِتْحَازِي

و الكنوز هي كل المعارف و الأنوار الموزعة على الأنبياء و الأولياء الصالحين ...إلخ.

أَدَّخَرْتْ مَدْحَكْ إِبْغِيتْ نْفُوزْ وَ نْجُوزْ لِيسَ نَبْقَى مَهْزِي (1)

مَلْزُوزْ لِيكْ ظَاهَرْ شَاهَرْ

فحرف " الزاي " يتكرر في هذا المقطع أما المقطع الذي يليه فيتكرر فيه حرف " الراء " لهذا مهد له في الآزمة بكلمة (شاهر).

يعتقد اهل التصوف أن الله تعالى خلق الأشياء كلها لأجل محمد صلى الله عليه و سلم لأن مستوى المحبة هو أعلى الدرجات في درجات الأنبياء و المرسلين كما جاء في الحديث القدسي : " كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ فَبِهِ عَرَفُونِي " (2) إنّ أصل الكائنات و المخلوقات بأكملها من نور سيّدنا محمد (ص) و هذا ما يريد الشّيخ ابن عاشور توضيحه في الأبيات التالية :

مُحَمَّدْ لَعْزِيزَ أَعْلِيَّ وَ عْلَى الْأُمَامْ جْمِيعْ إِخْوَاءْ

مَبْعُوثْ خَاتَمَ الْأَنْبِيَّا الرَّسُولْ بَلَّغَكْ مَوْلَاءْ

حَضْرَا مُعَظَّمَةْ دَاهِيَّا مُحِيطْ أَرْضْ وَ سَمَاءْ

لَوْ لَا أَنْتَ مَا تْكُونْ دُنْيَا لَا لُوحْ لَا قْلَمْ كِنَاءْ

لَا شَمْسْ لَا قْمَرْ مْنَوَّرْ

لَا عَرْشْ مُعْتَبَرْ لَا كُرْسِي مَشْهُورْ لَا أَرْضْ لَا سَمَا لَا كَوْثَرْ

لَا وَادْ لَا طْوَادْ أَرْسَلْهَا وَ أَبْحُورْ لَا خَلْقْ ظَاهَرْ أَبْيَضْ وَ أَحْمَرْ

لَا سِرّْ لَا إِسْتَرْ لَا يْغَمّْ تْكُونْ لَا حَالْ لَا أَحْوَالْ تْعَمَّرْ (3)

---

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوغناني ، ص 148

(2) حديث قدسي لم نجد له توثيقا

(3) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوغناني ، ص 148

الفصل الثاني : السماع الصوفي أساسه الشعر

2- المبحث الثاني : الشّعر الصّوفي المتداول في الزّاوية المامشاوّية :

1.2: نماذج من هذا الشّعر

2.2: مقارنة بين شعر الشّيخين محمد بن يلّس و قدّور بن عاشور

أ/ النّظم بالفصحى و العامّية (الإشكالية 2)

ب/ هل الأنا في شعر الشّيخ قدّور بن عاشور نرجسيّة أم كبرياء ؟

ج / قدرة الشّيخ قدّور بن عاشور على نظم الشّعر

3.2: مقارنة بين شخصيّات المشايخ الثلاث : الشّيخ محمد بن يلّس و الشّيخ قدّور بن عاشور وإبنهما الرّوحي الشيخ بن عودة بن مامشا)

4.2: الجوانب الفنّيّة في الشّعر الصّوفي بالزّاوية المامشاوّية

2-1 / نماذج من هذا الشعر:

للنّص الشّعري الصّوفي قاسم مشترك مع النّص الشّعري العادي لأنّ كلاهما ينتج من أجل تلحينه و إنشاده. فالشّعر لا يبالي بإحترام البحر الذي يتقولب فيه هذا الشّعر أكثر ممّا يبالي بالأفكار و إحترام القوافي و لا سيما في الأزجال .

و النّص الشّعري الصّوفي هو نوع من البوح و التّصريح " روى الشّيخ البوني حادثة جرت في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم قائلا : " و قد جاء جبريل إلى الرّسول صلى الله عليه و سلم بتفاحتين من تفاح الجنة و كان عنده الحسن و الحسين فأعطى كل واحد واحدة فأخذاهما لمعلمهما فأكلهما فأنطقه الله تعالى بالحكمة و المغيبات فبلغ خبره النبي صلى الله عليه و سلم فقال له يا إبن عقب قدم و أخر فإن إفشاء سر الربوبية حرام" (1). يقول الشيخ قدور بن عاشور في رائعته " مُحَمَّدٌ اَصْطَفَاكَ الْقَادِرْ"(2) في إحدى الفقرات موضحا أمر توجه في قصائده :

قَبْلَ نْمُوتْ نَنْظُرْ وَجْـهَـكْ بَايْـدِي نْعَنّْـقَـكْ وَ نَبْـكِي
ثُمَّ نَنْـظُـرْ خَـاتْمَـكْ لَلْعَـاشْقِيـنْ بِهْ ا نَحْكِي
فِي النُّومْ قُلْتْ لِـي حَرَّرْتَكْ مَضْمُـونْ كَـاتْبَكْ مْلُوكِي
سِيـدِي قُلْـتْ لِي بُـوحَ أَهْضَـرْ
أَنْتَ وْنَاسَكْ وَ سَمَّاعَكْ مَغْفُورْ مَطْبُـوعْ طَـابْعَكْ مْشَحَّـرْ
بَشَّرْ أَهْـلَ الْمَحَبَّةَ غَافَرْ مَغْفُـورْ لاَ تَعْتَـبِي بِـمَنْ يَسْتَنْكِـرْ
اَللّٰهْ كَارْمَكْ يَا وَلْدِي قَـدُّورْ إِقْـرَأ ضْمَـانْتِي عْلَـى مَنْبَـرْ
مَكْرُومْ كَارْمَكْ اللّٰهْ الشَّكُورْ مَرْحُومْ صُولْ بِينْ غِلْمَانْ وْ حُورْ
أَنْتَ الشَّفِيعْ يُومَ الْمَحْشَرْ

و يفهم من اللازمة الأولى :" سِيدِي قُلْتْ لِي بُوحَ أَهْضَرْ" و الشطر الثاني من البيت الثالث في الفقرة الثانية "إِقْرَأ ضْمَانْتِي عْلَى مَنْبَرْ" يوضح أن الشيخ

(1) علي البوني ، المرجع السابق ، ص 341

(2) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 73

قدور بن عاشور كان يفشي بعض الأسرار مطمئنا بالله و معتقدا ان الرسول صلى الله عليه و سلم أمره بذلك و حثه على أن لا يبالي بمن يستنكر أقواله .

و هذه الإفشاءات لا تستقبل بصدر رحب من طرف كل سامع لأن البعض منها يتنافى في الظاهر مع الشريعة الإسلامية التي مقتضاها أن" العبد عبد " و " الرب رب " حتى و أن كثيرا من الناس يتخيلون أن الله سبحانه عزوجل له مكان في السماء و هناك حد فاصل بينه و بين مخلوقاته. و كان الشيخ بن مامشا يؤكد على هذه النقطة و يسميها الشرك الخفي أو شرك العامة من الناس قائلا: " لو كان الله الفوق لكان مرفوعا و لو كان التحت لكان مقهورا و لو كان على اليمين أو على الشمال لكان محدودا و هذا كله يستحيل في عظمته و جلاله سبحانه. و لهذا كان سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه يتمنى أحيانا أن يكون له إيمان العجائز" بمعنى أنّه يؤمن و لا يبحث و لا يتخيل أمورا قد تضره و تعود عليه بفساد العقيدة.

و نظم في وحدانية الله :

لَاإِلٰهَ حَقًّـــا إِلَّا مَـــوْلَانَا وَ عَلَا نَذْعَنُ وَ نَشْهَدُ فَلَا
مَعْبُوْدٌ حَقًّا إِلَّا اللّٰهُ نَمُوْتُ وَ نَحْيَا عَلَى أَنْ لَا إِلٰـــهَ إِلَّا اللّٰهُ (1)

و يستنتج ممّا سبق أنّ بين الشّعر الصّوفي و السّماع علاقة عضويّة و أكيدة و إذا كان الشعر الصوفي يغذّي السّماع الصّوفي فهذا الأخير سبب وجوده.

إذن، ما هي الدّوافع الّتي تجعل الصّوفي يعبّر عن أحاسيسه و تجاربه شعرا ؟

و ماهي الغايات المرجوّة من طرف الشّاعر الصّوفي ؟

فالشّعر عند الصّوفية وسيلة و ليس غاية لأنّه ليس هناك طريقة أخرى يعبّر بها الصّوفي عن وارداته و تبيان مقامه و أحواله. و أغلبهم يلجأون إلى الشّعـــر فيتحدّثون عن الشّيخ و المريد و الفقراء و الحال و المقام و مدح المشايخ و مدح الرّسول صلّى الله عليه و سلّم.

---

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 154.

إنّ السّماع شعر دينيّ صوفيّ مغنى بألحان إمّا يكتفي فيه بالصّوت البشري أو يرافق أحيانا في بعض الطّرق الصّوفيّة بالآلة لوحدها و عزف معزوفات شعبيّة تؤثّر تأثيرا كبيرا في السّماع فيصل إلى حالة غبطة.

و السّماع في الزّاوية المامشاويّة الشّاذلية الدّرقاوية قائم على قصائد تعود إلى الشّعراء الصّوفيّين الّذين ينسجم شعرهم مع التّوجيهات الخاصّة بالطّريقة و آدابها. و على رأس هؤلاء النّاظمين الشّيخ شعيب أبو مدين الّذي لا تستغني عن إنتاجاته أية زاوية درقاوية. و من أبرز القصائد المحبّبة عند المريدين تلك الّتي تحدّد أخلاقيّات الزّاوية و علاقة المريد بالشّيخ و إخوانه في الطّريق و هي تعدّ أساس التّربية.

يقول الشّيخ شعيب أبو مدين في شأن قيمة الفقراء و آداب مجالسته :

مَالَذَّةُ العَيْشِ إلاّ صُحْبَةُ الفُقَـرَاء ... هُمُ السَّلاَطِينُ وَ السَّادَاتُ وَ الأُمَرَاء
فَاصْحَبْهُمْ وَ تَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ ... وَ خَلِّي حَظَّكَ مَهْمَا خَلْفُوكَ وَرَاء (1)

و بعدها يصل إلى أدب الفقير مع الشيخ المربي :

وَ رَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوَالِهِ فَعَسَى*** يُـرَى عَلَيْـكَ مِنِ اسْتِحْسَـانِهِ أَثَـرَا
وَ قَدِّمِ الْجَدَّ وَ إِهْضَمْ عِنْدَ خِدْمَتِهِ*** عَسَاهُ يَرْضَى عَلَيْكَ وَ كُنْ مِنْ تَرْكِهَا حَذِرَا (2)

و نظم في المحبّة :

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمْ عَنَّا ... وَ تَذْهَبُ بِالأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَـا مِنَّا
فَيُعْدُكُمْ مَوْتٌ وَ قُرْبُكُمْ حَيَا ... فَإِنْ غِبْتُـمُوا عَنَّـا وَ لَوْ نَفَسًا مِتْنَا
نَمُوتُ بِبُعْدِكُمْ وَ نَحْيَا بِقُرْبِكُمْ ... وَ إِنْ جَاءَنَا عَنْكُمْ بَشِيرُ اللِّقَا عِشْنَا
وَ نَحْيَا بِذِكْرِكُمْ إِذَا لَمْ نَرَاكُمْ ... أَلاَ إِنَّ تِذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشُـنَـا (3)

و ينشد المسمعون قصائد أخرى نذكر مقاطع منها :

تَذَلَّلْتُ بِالْبَلْدَانِ حِـينَ سَبَيْـتَنِي ... وَ بِـتُّ بِأَوْجَـاعِ الْهَوَى أَتَقَـلَّبُ

---

(1) و (2) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص58

(3) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 59

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ وَ أَتْرُكُ قَلْبًا فِي هَوَاكَ يُعَذَّبُ
وَ لَكِنَّ لِي قَلْبًا تَمَلَّكَهُ الْهَوَى فَلَا الْعَيْشُ يَهْنَانِي وَ لَا الْمَوْتُ أَقْرَبُ (1)

كما تنشد رباعية الشيخ أبو مدين شعيب " أُحِبُّ لِقَاءَ الْأَحْبَابِ" (2)

أُحِبُّ لِقَاءَ الْأَحْبَابِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لِأَنَّ لِقَاءَ الْأَحْبَابِ فِيهِ الْمَنَافِعُ
أَيَا قُرَّةَ الْعَيْنُونِ تَا اللهِ إِنَّنِي عَلَى عَهْدِكُمْ بَاقٍ وَ فِي الْوَصْلِ طَامِعُ
لَقَدْ نَبَتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكُمْ مَحَبَّةٌ كَمَا نَبَتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي مَحَبَّةُ غَيْرِكُمْ كَمَا حُرِّمَتْ عَنْ مُوسَى تِلْكَ الْمَرَاضِعُ

و يحب الفقراء سماع قصيدة " مَتَى يَا عُرَيْبَ الْحَيِّ " هذا مقطع منها (3)

مَتَى يَا عُرَيْبَ الْحَيِّ عَيْنِي تَرَاكُمُ وَ أَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ نِدَاكُمُ
وَ يَجْمَعُنَا الدَّهْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَ يَحْظَى بِكُمْ قَلْبِي وَ عَيْنِي تَرَاكُمُ
أَمُرُّ عَلَى الْأَبْوَابِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لَعَلِّي أَرَاكُمْ أَوْ أَرَى مَنْ يَرَاكُمُ

و من قصائد الشيخ أبي مدين المحببة لدى جمهور المريدين قصيدة " تَحَيَّا بِكُمْ كُلُّ أَرْضٍ " (4) و تضم أربعة أبيات منها :

تَحَيَّا بِكُمْ كُلُّ أَرْضٍ تَتَرْلُونَ بِهَا كَأَنَّكُمْ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ أَمْطَارُ
وَ تَشْتَهِي الْعَيْنُ فِيكُمْ مَنْظَرًا حَسَنًا كَأَنَّكُمْ فِي عُيُونِ النَّاسِ أَزْهَارُ

و كذا قصيدة " دَارَاتْ عَلَيْنَا كُؤُوسٌ" (5) في خمرة الصوفية :

دَارَتْ عَلَيْنَا كُؤُوسٌ مِنْ خَمْرَةِ الْبَالِي وَ لَا تَطِيبُ النُّفُوسُ إِلَّا بِأَمْثَالِي
دَارَتْ عَلَيْنَا كُؤُوسٌ فِي حَضْرَةِ الْمَحْبُوبْ
وَ أَهْلُ الْمَعَانِي جُلُوسٌ وَ مَنْ دَخَلْ يَشْرَبْ
وَ لَا تَطِيبُ النُّفُوسٌ إِلَّا لِمَنْ يَقْرُبْ

و هناك قصيدة تؤدى أثناء العمارة مطلعها :

إِعْلَمْ يَا خِلِّي *** أَنَّ خِصَالِي *** رَشَفَ الْمَصَالِي (6)

(1) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 61
(2) و (3) و (4) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 64
(5) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار - ص 70
(6) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار - ص 74

و مثلها في الوظيفة نجد قصيدة " إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْرَبْ"(1) ذكر مقطعا منها :

إِنْ شِئْتَ أَنْ نَقْرَبْ قُرْبَ الْوِصَالِ هِمْ فِي هَوَى الْمَحْبُوبْ وَ لَا تُبَالِي

إِنَ شِئْتَ أَنْ تَـرْقَى فَخَـلِّ الْأَكْـوَانَ

وَ آفْنَ وَ مُتْ عِشْقًا يَكُـنْ لَـكَ الشَّـأْنُ

وَ آتَّبِـعِ الْحَـقَّ وَ آدْخُـلْ لِلْمَيْـدَانِ

و القصيدة التي كانت قريبة الى الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله هي :

رَكِبْتُ بَحْرًا مِنَ الدُّمُوعِ سَفِينَـهُ جِسْمِيَ النَّحِيـلْ

فَمَزَّقَـتْ رِيحُـهُ قُلُوعِي مُذْ عَصَفَتْ سَاعَةُ الرَّحِيلْ (2)

و تؤدي القصيدة الغيثية في السماع لما يضيق الحال بالفقراء و الشيخ، و هي بمثابـة دعاء و تضرع و توسل للخالق فائدتها في جلب المطر أثناء الجفاف و كذا قضاء حوائج أخرى مطلعها (3) :

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِمَا قَنَطُوا

إِرْحَمْ عَبِيدًا أَكُفُّ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا

و لكثرة آداء الفقراء لقصائده ، نستكشف مكانة الشيخ بومدين شعيب لديهم . فهـو الذي يرجع الفضل له في نشر السماع و يعد من المشارب الأولى في ميدان التصوف علما و أدبا.

و تتنـاول الـزاويـة المامشاويـة قصائد الشيخ الحراق و هـو أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحـراق و يعـود نسبـه أبـا عن جد إلى السيد الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه و فاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم .

كان هذا الشيخ إماما جليل القدر جمع بين علم الظاهر و الباطن ، تفنن في علوم شتى من تفسير و حديث و فقه و فتوى. أما الأدب و الشعر فقد كاد أن

---

(1) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 78

(2) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 81

(3) "" ديوان الشيخ أبو مدين شعيب "" جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 68

ينفرد به في عصره. فكـــان قدوة للبشـــر فحرر الطريقـــة و سهلهـــا و سلك فيهـــا أوضع المسالك و أقربها و أتى بأعجب العجاب من علم الإشارة بألطف بيان و أوجز عبارة و أسس طريقة على:

أربع قواعد: ذكر و مذاكرة و علم و محبة و كفاه فخرا أنه تلميذ للقطب الكبير الشّهير بالعربي الدّرقاوي و وارث سرّه الحقيقي و خليفته. و مكث في طريقة القوم شيخاً مربّياً نحو ثلاثين سنة و توفّي سنة 1261 هـــ و عمره خمس و سبعون سنة و دفن بزاويته المشهورة بثغر تطوان رحمه الله. (1)

و من إنتاجه الشّعري ما كان محبّبا لدى الشّيخ بن عودة بن مامشا قصيدة : " نَحْنُ فِي مَذْهَبِ الْغَرَامِ أَذِلَّه " (2)

نَحْنُ فِي مَذْهَبِ الْغَرَامِ أَذِلَّه ... إِنْ أَقَمْنَا عَلَى الْحَبِيبِ أَدِلَّه
كَيْفَ يَظْهَرُ لِلْعُقُولِ سَوَا ... وَ سَنَاهُ كَسَى الْعَوَالِمَ جُمْلَه
فَتَرَاهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَـــرَاهُ ... فَهُوَ الْكُلُّ دَائِمًا مَا أَجَلَّه
فَافْنَ فِيهِ صَبَابَةً وَ هِيَامًـــا ... إِنَّمَا الصَّبُّ مَنْ يَعِيشُ مُوَلَّه

تم يتبعها بهذه القصيدة التي تلخّص قضيّة الفناء في الله : و الصّحو الغيبة فيه تعالى(3):

أَكْثَرَ الْعَادِلُونَ فِيـــكَ مَلَامِي ... عَلَّهُمْ يُطْفِئُـــونَ نَـــارَ غَرَامِي
وَ تَبَاهَوْا بِأَنَّـــهُمْ عَيَّـــرُونِي ... بِجُنُـــونٍ وَ حِيـــرَةٍ وَ هِيَـــامِ
وَ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ يُسَلِّي فُؤَادِي ... عَنْ هَوَاكَ وَ ذَلِكَ مَحْضَ غَرَامِ
كَيْفَ يَسْلُو وَ أَنْتُمُ الرُّوحُ مِنْ ... وَ دِمَـــائِي حَقِيقَةً وَ عِضَامِي
وَ عَزَلْتُمْ عَنِ الْوُجُودِ وُجُودِي ... بِشُهُودِي وُجُودُكُمْ فِي إِنْعِدَامِ

---

[1] ديوان الشيخ الحراق ، ص 5

(2) ديوان الشيخ الحراق ، ص26

(3) ديوان الشيخ الحراق ، ص26

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْقَظْتُمُونِي ... فَانْتَبَهْتُ بِفَضْلِكُمْ مِنْ مَنَامِي
فَإِذَا بِالْفَنَاءِ قَدْ كَانَ وَهْمًا ... قَدْ عَرَانِي كَسَائِرِ الْأَوْهَامِ
فَأَرَانِي بِأَنَّنِي كُنْتُ غَيْرًا ... وَ تَحَوَّلْتُ بَعْدَهُ لِمَقَامِي
وَ أَنَا لَسْتُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرًا ... أَوْ لِلْغَيْرِ دُونَكُمْ مِنْ قِيَامِ
حِكْمَةُ الشَّرْعِ أَثْبَتَتْنِي لَمَّا ... سَمَّتِ الْكَوْنَ كُلَّهُ بِأَسَامِي
وَ نَفْيُ جُمْلَتِي إِنْفِرَادُكَ بِالذَّاتِ ... وَ الْأَفْعَالِ وَ النُّعُوتِ وَ الْعِظَامِ
وَ إِذَا كُنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ فَرْدًا ... إِسْتَحَالَتْ حَقَائِقُ فِي الْأَنَامِ

و ما يلاحظ للوهلة الأولى ، هو أن الشّيخ الحراق كان متمكّنا من اللّغة الفصحى و حسب تفحّصنا لديوانه لم يأت بقصائد باللّغة العامّية .

و من شعر الشّيخ العلاوي ينشد المسمّعون في الزّاوية قصيدة متداولة كثيرا عرفت رواجا كبيرا في الأوساط الشعبية إثر أدائها من طرف عدّة مطربين مطلعها :

صَفَتِ النَّظْرَةْ طَابَتِ الْحَضْرَةْ ... جَاءَتِ الْبُشْرَى لِأَهْلِ اللهِ
قَامُوا سُكَارَى لِذِي الْبِشَارَةْ ... جَعْلُوا عِمَارَةْ شُكْرًا لِلّٰهِ [1]

و هو كسائر المشايخ الصّوفيّين نظم في المحبّة و الشّوق و مدح الرّسول (ص) ووصفه خَلقا و خُلقا و في آداب المريد وجّه له نصائح قيّمة في الطّريق و نظم في الخمرة الصّوفية و سرّها و فضلها.

و يلاحظ أن شيخا الزّاوية الحاج محمد بن يلّس و الحاج قدّور بن عاشور يحتلّان قسطاً وافراً من السّماع الصّوفي بالزّاوية المامشاويّة الّتي توليها إهتماما كبيراً في السّماع.

أمّا الشّيخ إبن يلّس فله تقريبا 28 قصيدة في ديوانه تناول فيها مواضيع متنوّعة من مدح الرّسول (ص) بأسلوب رمزيّ و من أشهر نظمه قصيدة " بَدْرٌ

---

[1] دواوين آيات المحبين في مكقامات المعارفين ، ص 93.

"الكَمَالِ قَدْ لاَحْ " (1) و هذا مقطع منها :

قَمَـرُ المَحْبُوبِ دَافَقْ بِكُـلِّ رَوْنَـــقْ
الأَطْيَـارُ بِهَا نَاطَقْ وَ الشَّجَـرُ بَاسَقْ
فَشَـذَاهَا يَعْبَـقْ يَلْمَعُ وَ يَشْـرُقْ
يُغَنِّي عَالَمُ الأَشْبَاحْ إِذَا السُّـنُّـورُ لاَحْ
هَذَا زَمَانُ الأَفْرَاحْ وَ الزَّهْـــرُ فَاحْ

و للشيخ قصيدة مطلعها :

نَبْدَأُ بِاسْمِ القَدِيرْ وَ الصَّلاَةُ عَلَى البَشِيرْ (2)

و تمتاز بسهولة عباراتها و خفّة وزنها و إيقاعها . فلذا تنشد مشياً على الأقدام من طرف مسمّعي الزّاوية المامشاوّية الّذين يشكّلون صفّا أو صفّين أمام الموكب الجنائزيّ.

و مواضيعه مست جانب الخمرة الصّوفية في قوله :

يَا سَائِرًا بِالْوَفَى سَبِيـلَ الْخَيْـرْ فَغِبْ عَنْ ذَلِكَ وَ هَكَذَا عَنْ بِكْرِي
وَ اشْرَبْ إِنْ كُنْتَ عَاشِقًا بِالْخَمْرْ مِـنْ خَـمْـرَةِ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهِ
يَا عَاشِـقًا هَذِهِ خَمْرَةُ الأَذْوَاقْ وَ مَا يَبْتَغِي العُشَّـاقْ فِي الخَلاَّقِ (3)

و له في آداب المريد قصيدة" يا مريد الحق " نذكر جزءا منها :

يَا مُـرِيـدَ الْحَـقّْ نَقُولَكْ قُلْ الصِّـدْقْ اَللهْ اَللهْ
مِنْهُ الْخَمْـرَهْ تَدَّفَقْ أَفْـنَ فِـي ذِكْـرِ اللهْ اَللهْ اَللهْ
إِذَا تَشَخَّصْ إِسْمُهْ الْقَـلْـبُ بِـهْ يَنْـمُو اَللهْ اَللهْ
أَجْوَارْحَكْ يَغَنْمُو تَعْرَفْ كَلاَمْ أَهْـلَ اللهْ اَللهْ اَللهْ
إِذَا نْطَقْتْ بِالـلَّهْ أَعْـرَفْـتْ اللهْ بِـاللهْ اَللهْ اَللهْ
تَعُودْ تَفْعَلْ بِالـلَّهْ فِي الْكُـونْ بِجُهْـدِ اللهْ اَللهْ اَللهْ (4)

(1) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 25
(2) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 9
(3) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 28
(4) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 22

و كثيرا ما يختم أبياته بالصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مثلا القصيدة التي ذكرناها سابقاً :

صَلِّ يَا رَبِّ الْأَبْرَارْ عَلَى النَّبِي الْمُخْتَارْ
ثُمَّ آلُ الْأَقْمَارْ وَ الصَّحْبْ وَ التَّابِعِينْ (1)

و تمتاز قصائده بقصر البيت و دقّة المعنى و غموضه النسبي فمثلا قوله :

صَلُّوا يَا كِرَامْ عَلَى الْوَسِيلَهْ *** وَ شَمْسُ الْأَنَامِ مَظْهَرُ لَيْلَى (2)

نفهم أن الصلاة على الرسول صلّى الله عليه و سلّم . و لكنّه رمزله بالوسيلة لأنّه (ص) كان وسيلة لنشر الدّين الحنيف للعالمين و بعث مكارم الأخلاق و الفضائل و الوسيلة في معرفة الله تعالى :

فحضور الفقراء في الذّكر يكون قلباً و لساناً ، فجسمهم موجود و السّرّ المخفي فيه بدا و بذلك تطيب الحضرة بصفاء النظرة أو المشاهدة للسّرّ الذي يحمله الرسول (ص).

غير أنّ الزّاوية المامشاويّة لا تستغني عن شعر الشّيخ قدّور بن عاشور الثّري بالمواضيع و الغنيّ بلغته. و قد تناولنا عنواناً خاصّاً بمواضيعه الشّعرية.

أمّا شعر الشّيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله (قصيدتين) :

شعر الشيخ بن عودة بن مامشا :

أمّا النّظم الشّعري عند الشّيخ بنعودة بن مامشا فيقتصر على قصيدتين فقط الأولى عنوانها " سُقِيتُ كُيُوسَ الْوِدِّ فِي حَانِ حَضْرَتِي " تضمّ تسعة أبيات و هي مطروزة بلغة فصيحة بليغة تتضمّن تعابير صوفيّة و رموز تدلّ على قدرة الشّيخ المؤسّس للزّاوية في قرض الشّعر الصّوفي الفصيح مع العلم أنّه أميّ كلّيا لا يحسن لا قراءة و لا كتابة.

(1) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 30

(2) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 11

أمّا القصيدة الثّانية فعنوانها " يَا مَنْ تَفْهَمْ اَلْمَعَانِي " و تتكوّن من عشرين بيتاً يخاطب فيها المريد الواصل شارحاً له مقامه العالي لمّا غاب و فنى في الحضرة الربّانيّة و خرج عن بشريّته و نال الخمرة الزكية و غاب في الواحدية و يذكر في الآخر شيخه الأول الحاج محمد بن يلّس مادحا إياه بشمس الشّموس و تختم القصيدة كالعادة بالإمضاء :

نَشْهَرْ إِسْمِي لِلْخِلاَّنْ إِبنْ عُودَة قُولِي صَافِيهْ

إِبنْ مَامْشَا يَا إِخْوَانِي عَبْدُ رَبِّ اَلْبَرِيَّهْ .

و هذه القصيدة تبرز أيضا مدى قدرة الشّيخ بن عودة بن مامشا في النّظم باللّغة القريبة جدّا من الفصحى. و نتسائل لكونه لم يزد على هاتين القصيدتين العميقتين في المضمون ذات الأسلوب السّلس الواضح المتّسم بالإيجاز ، ربّما إكتفى بشعر من سبقه من شعراء الطّريقة الشّاذليّة ، و الفكرة الجامعة عنده هي أنّ الوليّ الّذي يفنى في ذات الله و ينال الخمرة الأزليّة ، يعود إلى الأصل الأوّل الّذي كان عليه قبل الخلقة " فَيَرَى " الحق بلاثان في السرو العلانية و ينطق بكل لسان و لا يسمع إلا حيا " فروحه تغني في الروح الأصلية و تعود إلى أصلها كما تعود قطرة الماء إلى البحر المحيط فإذا قالت بعدها " أنا نقطة " فوجودها مع المحيط يعد غرورا و سوء أدب و إذا قالت " أنا المحيط " فصدقت و من هنا يأتي إستعمال ضمير " أنا " الذي هو محل الإنتقادات من طرف أهل الشريعة و خصوصا أهل الفقه و لكن كما قال الشيخ بن عودة " يحسن عون اللي ذاق و يحسن عون لي ماذاقش " أي " من ذاق هذا الأمر له الحق و من لم يذق لا يستحق اللوم كل واحد منهما له الحق .

و في هذه الأبيات من القصيدة الأولى ينطق الشيخ بلسان الحال و جاءت " الأنا " عنده مبهمة ضمن السياق .

من أفعال قدرتي ظهـــور الغيـــرية و إعجـــاز قـــدرتي عدم الخليقة

عجزي و قدرتي كل مظهر من ذاتي و سمعي و بصري بكل الكائنات

أشهد جميع ما في الأرض بمقلـــتي و أحصى كل طـــور في تجلياتي

و هذه أبيات من القصيدة الثانية :

مَنْ يَعْشَقْ فِي ذَا الرَّحْمَانِ ... يَخْـــرُجْ عَنِ الْبَشَـــرِيَّة
يَدْخُلْ لِرِيـــاضِ الْجَنَانِ ... يَسْقِيـــهِ شَـــرْبَةً زَكِيَّة
مِنْ خَمْـــرَةِ الْجِنَانِ ... فِي كُـــؤُوسِ الْـــوَاحِدِيَّة
يَـــرَى الْحَـــقَّ بِـــلَاثَانِ ... فِي السِّـــرِّ وَ الْعَـــلَانِيَّة

من خلال مطالعتنا لها تين القصيدتين توصلنا إلى أن الشيخ بن عودة أخذ عن شيخه الأول خصائص شعره المتمثلة في :

1- القصيدة القصيرة

2- الإيجاز في المعاني

3- إستعمال اللغة العربية القريبة جدّا من الفصحى

4- التّطرّق إلى مواضيع تخصّ تربية المريدين و عدم الإستمرار في النّظم الشّعري عند هذا الشّيخ يدلّ أنّه يستحقّ فعلاً لقبه " الشّيخ الخامل " لقد بيّن قدرته في قرض الشّعر بالعربيّة القريبة جدّاً من الفصحى مع أنّه أمي ثم تخلّى عنه مكتفياً بقصائد مشايخه و من سبقهم من الشّعراء الصّوفيّين.

2.2- مقارنة بين شعر الشّيخين قدّور بن عاشور و الحاج محمّد بن يلّس:

من خلال تفحّصنا لقصائد الشّيخ قدور بن عاشور و قصائد محمد بن يلس ظهرت لنا إختلافات و مطابقات بارزة :

أوّلا ، المطابقات، هذه القصائد كلّها تنتمي إلى الشّعر الصّوفي و تعالج موضوعات تخصّ الحضـــرة الإلاهيّة و المحبّـــة و الخمـــرة و الفناء و البقاء و البسط و القبض و الزّهد في الدّنيا و أحوال النّاس المعاصرين للشّاعر.

و يوظّف الشّاعران قاموساً من الألفاظ و العبارات تكرّر عبر أبيات القصائد و إلى جانب العدد من المطابقات الّتي تلاحظ في نفس الموضوعات فإن هناك إختلافات بـــارزة منها : أوّلا قصر القصيدة عند الشّيخ إبن يلّس بحيث

أطول قصائده لا تتعدّى ثمانية و عشرين بيتاً. و طول القصيدة عند الشّيخ قدور بن عاشور بحيث تصل القصيدة إلى المائة بيت أو يزيد.

ثانيا ، يغلب عند الشيخ إبن يلّـــس الأسلـــوب الفصيح حيث إنه يستعمل مفردات و تراكيب لغوية عربيّة فصيحة بينما تنقسم القصائد العاشورية إلى ثلاثة أصناف، صنف يستخدم فيه الشّاعر، اللّغة العاميّة، و صنف فصيح غير معرب يوظّف فيه الشّاعر مهارة و معرفة كبيرة و ما يزيد الإستغراب أو الإندهاش هو أن الشيخ قدور بن عاشور كان شبه أمي أو عصامي التكوين حيث تعلم اللغة العربية بمجهوده الخاص ، و ذكر في ترجمته بأنه تعلم الحروف لوحده. يقول محمد بن عمرو الزّرهوني في مقدّمة الدّيوان : " و درس ما كان يدرسه أقرانه من الصبيان و إقتصر في الدراسة على ما تيسر له كأترابه الذين تشاء لهم الأقدار الإنقطاع عن طلب العلم تفرغا في سن مبكرة لخوض غمار الحياة قبل حينه " [1]

و الإختلافات متمثّلة في أن الشّيخ قدّور بن عاشور تطرق زيادة على الموضوعات التي ذكرناها إلى مواضيع خاصة لم يعالجها الشّيخ محمد بن يلّس منها : وصف الطبيعة و القصص الأسطوريّة و التّاريخ و الهجاء و السّخرية و التّحريات التّاريخية.

و يستعمل الشّيخ إبن عاشور قاموساً واسعاً من الألفاظ و التعابير تفوق بكثير تلك الّتي يستعملها الشيخ إبن يلّس ممّا يدلّ على أنّه كان شاعراً صوفيّاً قبل أن يكون شيخاً مرّبياً. و تظهر قدرته هذه خاصّة في قصيدة حول قدوم فصل الرّبيع و الّتي يعرفها أهل الزّاوية المامشاويّة ب " الرّبيعية "[2] و حتّى نبيّن هذه القدرة اللّغوية وضعنا جدولاً قسّمناه إلى محاور كالتّالي :

---

[1] "" ديوان لشيخ قدور بن عاشور ""، جمعه محمد بن عمرو الزرهوني ، ص15

(2) عنوانها الفقير محمد البوعناني " أبديت باسم الله توفيق " ، ص 136.

جـــدول المفـــردات الموظّفـــة في قصيـــدة "الـــرّبيعـــيـــــة":	
النّباتات:	زعفران- العبق- الزفرانا- الند- العمايم- اللزان- دمام- القندول- عين علجة — أشبورالبشات — الويزة — الشيبة — مردقوش — العطرش — النعناع إخديدج — أزويون — مردوش — ملباني — دفيلى.
الأزهار :	البنفسج — السندروس — الفل- سنبل — البابونج- غبناز — صندل — ريحان — البهر — المشرفي — الجمري — قوم بنعمان — اليازدي — النسري — الدحلان — العشيق و معشوق- الشقيق — أقحوان — الزربري — الخابوري — الورد — القرنفل — الخيل — البها — السوسان — الياس — القيقلان — وجلاز .
الأشجار :	اللوز — البرقوق — بو عضيمة — سفرجل — مشماش — التين — التوت — الزيتون — ماندري — الليم — الليمون — الدوالي — زرندخان — طرنج — رنج — لشين — خوخ — تفاح — لنقاص — جوز — لعناب — زعرور — مزاح — زند —طمج — رمان — نخل
الطّيور :	البلبل - الحربل — مقنين — الحداد — السمريس — المنيار — الصرند - كناليا — القطة — إيمام — الفاخت — الطاووس — الحجل — البشيق — أم الحسن — التيتر — الغنام — العصفور — هيزاربوح — التليج — الكدري — الحمام - الحبر - الوز — العارم.

الأطيار:	الوقواق — القريق — الورور — العقعاق — الخطيب — الساق — الخطاف — المشرف - العشيق — المرونق - اليمام العجمي - النشيط — العراقي - العابد - اله - هدهد -باز- ريم — غطاس - لمقرنس - العوام.
الوحوش :	الكركدان — الران — لمط — الفهد — لروي — احصان وحشي — جاموس — مها — غزلان — نمور — قصاور — العفر
الآلات الموسيقية:	القياطر — العود- القانون — سنترا — طر — ارباب — الكمالجا — البيانو — الجنك - الغوالي
ألوان الخيول:	لدهم زين القصة — لزرق ينخلع - لعمر صحراوي كن — ريح اهباب — كمت — يخفق بلا جوانح — لشقر — البحري — النمري — احماري — قرطاس — برقجان — الحديد روحاني .
الحضر أهل المدينة :	رياضات القاح — صوالي — بوابر — كيسان الراح — أتاي — حنابل — فطوف — زرابي — أمطارح — لحوف — أثمارق — المامولي.
العرب و لباسهم :	هيفات محنطين — برهيف لقماش — الحرير — كمبخ — ملف

هل وصف الطّبيعة لنفسها أم لهذا الوصف غاية أخرى ؟

هذه القصيدة و غيرها من القصائد الشّعرية عند الشّيخ قدّور بن عاشور تثبت ثقافته الغزيرة ذات الأبعاد الطبيعيّة في معرفة الأشياء و توظيفها لأغراض صوفيّة فالقاموس الهائل عن عناصر الطبيعة يترك المتلقي لأول وهلة يعتقد أن الشّاعر يحتفل بقدوم فصل الربيع و يبرز فرحته لإستقباله و التمتع به لكن إذا ما خاض في فهم القصيدة، يلاحظ أن هذا الكمّ الهائل من المفردات الدّالّة على مكوّنات الطّبيعية من حيوانات و نباتات و أزهار..إخ إنّما هي مشاهد تثبت قدرة الله تعالى و تجلّيه في خلقه كما يحلو للصّوفية أن يعبّروا عن أذواقهم و مواجدهم ، فالشّاعر أقرب إلى حدّ ما من الشّاعر الرومنسي الّذي يتغنّى بجمال الطّبيعة أو حزنها ليعبّر عن مشاعره . إنّ شاعرًا صوفيًّا كالشّيخ قدّور بن عاشور يطبّق كلام الله حيث يقول سبحانه :" فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " و كذا الآية: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " .(1)

(1) سورة فصلت ، الآية 53 .

و يمكن لنا الوصول إلى نفس الإستنتاج إذا قمنا بتحليل قصائد أخرى مثل قصيدة "حصار تلمسان" .(1) و الّتي تتضمّن حقائق مخالفة للتّاريخ الرّسمي.

في القراءة الأولى يتبادر لنا أنه يعالج موضوع حصار مدينة تلمسان من طرف السّلطان يعقوب المنصور منفرداً و مخالفاً الرّواية الرّسميّة و مقدّما حقائق غير معروفة و هي سرد السّبب الرّئيسي لهذا الحصار و هو سجن الملك المنصور و زوجته و إبنته بسبب رفض الملك المنصور المتخفّي في هيئة خادم فرن بتزويج إبنته إلى السّلطان الزّيّاني يغمراسن.

ثم سجن السّلطان المنصور بعد أن عجز السلطان يغمراسن تقديم المهر المطلوب و هو عبارة عن جوهرة المعادلة لتلك التي كانت في حوزة السّلطان و هو مهر زوجته.(2)

و لكن بعد التّفحّص العميق يتبيّن أنّ القصد من القصّة هو بالذّات هذه الجوهرة الثّمينة من نوعها و الّتي يملكها السّلطان المنصور؛ الّذي تخلّى عن مملكته و أصبح مواطناً بسيطاً يعمل بكدّ يده و الّتي لم يجدها السّلطان يغمراسن في كلّ خزائن مملكته.

و ترمز هذه الجوهرة إلى الحضرة الإلاهية و إلى المعرفة و الولاية التي تخلى من أجلها السلطان المريني زاهدا في الدنيا وترمز البنت إلى الآخرة.إذ متعارف عند أهل التصوف ان الآخرة هي بنت الدنيا و هي تفوق أمها جمالاً و بهاءاً.فيما يرمز السّلطان يغمراسن إلى الشّخص الّذي يريد الآخرة و معرفة الله و الوصول إلى الحضرة لكن يعجز عن دفع المهر ، و المهر هو مجاهدة النفس و محوها و لذا يقول : " مَهْرُنَا غَالٍ لَمَنْ يَخْطُبُنَا ".

من خلال هذه التّحاليل نستخلص أن الشّيخ قدّور له قاموسه الخاص في الرّموز الصّوفيّة و مواضيعه الخاصّة و أنّه ليس شاعرًا مقلّدًا لمن سبقه بل و أنّه شاعر أصيل و مجدد.

---

[1] من حكم إبن عطاء الله متداولة في الزاوية أما المامشاوية

(2) تكلمت إحدى القنوات الفضائية (الحرة) عن هذه الياقوتة الضخمة و تبين أنها موجودة حقيقية .

إذا إستثنينا مسألة الإفتخار و إستعمال ضمير " أنا " التي أقلقت بعض النقاد و قرأنا قصائد الشيخ قدور بن عاشور أقررنا أن شعره يعد من التراث الذي يجب على الأدب الجزائري عموما و الأدب الصوفي خصوصا أن يفتخر به عن حق و إستحقاق و أن يجعل له مكانته الائقة به ضمن فحول الشعراء.

أ – النظم بالفصحى (غير المعربة) و العامية :

ينقسم الإنتاج الشعري للشيخ قدور بن عاشور إلى ثلاث أقسام:

أما القسم الأول فتطغى فيه الفصحى مع تسكين أواخر الحروف من الأبيات أي (الروي) و القافية مثال :

لما رفع الستور و شاهدنا الآهوت

يلاحظ إحترام البناء النحوي مع إستعمال مفردات فصحى و التسكين للوزن :

- يَاناكِرِي مِنْكَ ٱلْإِنْتِقَامْ.....
- بَزَغَتْ شَمْسُ الشُّمُوسِ.....

أما الثاني فبيني بين الفصحى و العامية :

- فَتَمَزَّقْ غَرَاضِي
- يَا مَنْ تُرِيدُ طَيَّ ٱلْوَصَالِ *** عَلَيْـــــكَ بِمَحَبَّـتِي

وَ إِخْطِيكْ مِنَ ٱلْقِيلِ وَ ٱلْقَالْ

و الثالث عامي و هو الأغلب في شعره تغلب فيه المفردات العامية و إدغام الكلمات الفصيحة .

لَا بُدَّ لْكْ كِي هَذَا الرَّاسْ يَا رَاسِي : لَا بُدَّ لَكَ مِثْلَ هَذَا الرَّأْسِ يَا رَأْسِي

- يَا نِيَامْ عْلَاشْ تَنُومُوا = يَا نِيَّامْ لِمَاذَا تَنَامُونَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
- مُحَبَّتَكْ سَكَّنَتْ مِيرَ دْخَالِي = قَلْبِي أَمِيرُ دَوَاخِلِي = قَلْبِي

و هذه الإدغامات و التّغيير للحروف من أجل تسهيل النّطق لتكون سلسلة من أجل أداء السّماع.

يمكن تقسيم أشعار الشّيخ قدور بن عاشور كذلك إلى ثلاثة أقسام:

1/ القصائد الّتي ينظمها عن وعي و حضور ،

2/القصائد التي يستلهمها من حضرة الرسول (ص) ،

3/ القصائد التي ينظمها و هو غائب كليا في الحضرة الإلاهية و هي التي ينطق فيها بالفخر و الكبرياء فيها ضمير " أنا "،

ب – هل الأنا في شعر الشيخ قدور بن عاشور نرجسية أم كبرياء ؟

حالة الصحو	حالة الغيبة و الفناء
الشريعة	الحقيقة
1)- يا دري يوفيلي ربي أمعاك مرغوب يا دري يتهنى قلبي أينال طلبو يا دري تعطفلي يا من أعليك منسوب من أدري عاش يقول المحبوب لمن يحب توجب أعليه الطاعه ما يفيده أهروب و لالي إشتكى لوشي أبعلا يرحم أيطيب أيسامحوا فالعثرة يعف اعليه و أيتوب هكذا وصف المومن أرسول جادب (1)	1)- أنا سيف الله و لا فخرني فريد العصر وريث الخلافا أنا غوث الحوى دامت حياتي قدمي على قدام المصطفا أنا المتولي على الولاتي إمام متوكل بالضعفا في المشرق و المغرب سطوتي يعرفني أهل فني الشرفا (2)
2)-أنت هو سيد الكوني رشحت نقطتك ياعين الدين و اليقين فلولا فضلك لولا فضلك يا ذا المرسل يفعل بنا الله ما يفعل أنت الرحمة بك إستعمل الأشياء لأجليك إصطفانا فا على المنزل (3)	2)- و أنا ملك مالك الملكوت الأعظم عين الرحمة مولا الخاتم (4)
3)- الله مرامي هو غرامي عند الأنامي نقد كلامي و أرفع مقامي في على سامي أصرف مدامي في الإسطلامي صبت أدامي به إعتصامي و إحترامي على العلامي حسنت حسني و زيادات على العشاق ما قلت أنا حتى جمعت فاتي و باقي (5)	أنا فرض الرحمان خذوا سرا مني أنا هو السلطان قليل من يعرفني أنا كنز الكنوز كثير المعادن و من عرفني يفوز يحوز المحاسن أنا روح الأرواح فاختلطت روحي (6) ثم يقول : أنا الغوث المغيث عجال بيدي سيف القدرة فالشرق و الغرب جمال كذلك جوفي و قباتي أرضا و سما مشتمال في كفي كجوهرة

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 23
(2) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 5
(3) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 32
(4) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 33
(5) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 43
(6) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 53

(تابع الجدول)

		أنا الذي مالي مثل فلم نعرف بالنعوت (1)	
4) - وَرجعت لله حقيري	سامحوني يا سادتي	أنا الغوث المعظم	مفتاح الأبواب
طيبكم مني عاطري	يا حظرة السولايتي	أنا الروح المتمم	خليفةالوهاب
سامحوا إبن عاشيري	بأحسن الإرادتسي	أنا الفرد المقدم	مشرق المنصاب
قدور المستجيري	بكم عند المعركي (2)	أنا السر المنعم	مستبشر لأغضاب
ثم يقول :		أنا المرحوم الراحم	لا شك لا إرتياب
الله أكبر أكبر المتكبر	على نفسه يستحيل العبودية	أنا المغنوم الغانم	كنوزا بلا حساب
العبد إسم بلا مسمى في حقنا	يدريه من كان مثلي مشاهدتي	أنا المقيم القائم	بالله المستجاب
مثاله كمثل البحر و الأمواج	فيهاكذلك الخالق مع المخلوقاتي	انا القاهر كل ظالم	وجب له العذاب
صفاته لا تفارق ذاته أبدا	ظاهره صحوي و باطنه سكرتي	أنا الغاني العادم	و باقيا ثواب
و الناطق على لسانه	لا إنفصا لا بيني وبين الربوبية (3)	أنا النور المكلتم	ذاتي عجب العجاب أنا
		أنا الكنز المطمطم	فظة و ذهاب (4)

و من خلال هذا الجدول نستشفّ أنّه لا يجوز إتهام الشيخ قدور بن عاشور بالأنانية والنرجسية و الغرور بل هي حالة نفسية روحية لا يتحكم فيها و هو إنما يتكلم بلسان الحال.

و هنا يستحسن أن نترك للشّيخ المجال ليجيب بنفسه على السّؤال الجوهري يقول في حزبه المعروف ب " حزب النّور" و هو كملحق نجده في ديوانه الذّي جمعه الفقير محمد البوعناني .

---

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 55 و 56

(2) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 59

(3) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 164 – 165

(4) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 57

" اللهم بحق قدرتك قدرني على عبادتك و وجهني إليك بطاعتك و انصرني بنصرك ... و ارحمني و أمني من كل مضرة و خوف العاجل و الآجل ... إلهي لا تعسر أمري فيسره يسرك أنك أنت القائم بنفسك فلا راد لحكمك و لا طاقة للعبد و لا إرادة له إلا بإرادتك ... سبحانك لا إله الا أنت تعاليت على كل شيء فانت الشيء الذي لا يتكيف و لا يعرف فالعارفون يعرفون برقا من ذاتك فلا معرفة للعارفين و لا مدخل للمتحققين إلا بسرك الغامض و نورك الناهض و لسانك الوارد المتكلم على لسان العارف و هو لا يعرف و لا يشعر ثم يتذكر و يشعر تغيب حواسه و كليته في كليتك فيصير مسطلما غائبا داهشا حائرا متحيرا فلا يجد نفسه ثم يصير كأنه نقطة في بحر أنوارك سقطت منه فيه و رجعت لأصلها فصار يتكلم و لا يشعر هو في الحقيقة لا يتكلم و إنما أنت المتكلم في روحه و جسمه فالجسم جسمك و الروح روحك و الكلام كلامك فهو البيت و أنت يا ربّ ربّ البيت . إلاهي علمتني علما ما كنت أعرفه و ليس لي علم فأنت العليم الحكيم." (1)

فمن هذا الدعاء الصادق الموجه لربه يعترف الشيخ قدور بعبوديته له و أنه حين يغيب عن حواسه يتكلم بأمور تأتي على لسانه ولكن ليس له تحكم فيها و يؤكد هذه الحالة من غياب الشعور الشيخ جلال الدين الرومي حين يقول : " كلامي ليس صادر مني و أنا أتألم لأني أريد أن أخاطب أحبائي و كلامي لا يخضع لي و لكن بما أن كلامي أسمى مني و أنا تحت تأثيره أحس بالسعادة لأن كلام الله حيثما وصل يحي و يخلق نتائجا عظيمة ".

و نفس التجربة وقعت للشيخ جلال الدين الرومي رحمه الله ، التي كانت تربطه بالشيخ العارف شمس الدين التبريزي علاقة حميمة جعلته يقع في حزن عميق إثر وفاته فأمر حينئذ بدعوة عازفين موسيقيين و أمرهم بالعزف على الكمان ذو الأضلع الستة و أسس السماع الصوفي المولوي الخاص بطريقته و ذات يوم إعتزل عند صديق و طوال عشرة أيام و ليالي بقي داخل حوض الحمام بدون أكل و شرع في هذه الغرفة المظلمة في إملاء أفكار انتابته و كان الصديق يكتبها و يقرأها . و لما

(1) "" ديوان الشيخ قدور بن عاشور "" جمعه الفقير محمد البوعناني ، ص 179

إنتهى منها أمر الشيخ صديقه بحرقها قائلا :" ما يأتي من أعماق العالم السّرّي عليه أن يعود من حيث أتى بدون ان يمس " و حاول الصديق أن يحضى ببعض الأوراق و لكن الشيخ إنتبه لهذا الأمر و قال له :" لا تحاول لأن الأفكار الموجودة في هذه الأسرار لا يمكن أن يفهمها حتى أذكى الناس في هذه البلاد و لذا يجب أن تبقى الغذاء الروحي لمن هم مقربين من الله " و قال :" كلامي ليس صادر مني و أنا أتألم لأني أريد أن اخاطب أحبائي و كلامي لا يخضع لي و لكن بما أن كلامي أسمي مني و أنا تحت تأثيره أحس بالسعادة لأن كلام الله حينما وصل يحيي و يخلق نتائج عظيمة"

ج/مقدرة الشيخ قدور بن عاشور على النظم :

لقد وصل عدد القصائد التي نضمها الشاعر إبن عاشور إلى حوالي ثلاث آلاف قصيدة حسب ما أدلى به بعض الفقراء القدامى ، لكن لم يبق منها سوى القليل ذلك لأن الشيخ قدور أمر بحرقها لما كانت تحتويه من أمور لا يمكن تحملها حتى من طرف أغلبية أهل التصوف .

إن نظم قصيدة شعرية باللغة الفصحى من طرف شاعر صوفي أمي لدليل قاطع على موهبة خارقة و إستعمال كلمات غريبة أو قديمة لم تعد مستعملة في العقل الأدبي حتى الشعبي منه أمر يشد الإنتباه و يستغرب له و أمثلة من هذه الكلمات ، نجدها في القصيدة "عمهوج لقيت البارح "

وَ اللهِ إلاَّ عَمْهُـــــوجْ صَارْ فُـــوقْ الفَجُوجْ
يَقْطَفْ مَنْ كُلّ احْرُوجْ تَـــاهْ بالْغِـــي سَـــاجْ
شَـــارَبْ وَ إلاّ مَبْنُوجْ فِي حَلِيـــبْ أيْـــرُوحْ
فِي رِيَاضْ خَصْبَ يْمُوجْ قْمَرْ ضَـــاوِي فِي دَاجْ
زِينَـــةْ مَخْنَـــتْ مَبْهُوجْ سَاكَـــنْ عْلَى دْرُوجْ
قْصَـــرْ الدّهَجْ مَطْهُوجْ فِي أحْسَنْ الـــدّبَاجْ
مَكَّنْتْ حشْوِي بَدْمُوجْ وَ الْجْفَانْ الفْتُـــوحْ

كِالزَّنْجِ أَغْسَاقٌ أَدْعُوجِ شَـــاوِشْ اَلْمِيـــرْهَاجِ

نلاحظ تحكّم الشّاعر في حرف الرّوي و القافيّة و قدرته في تشبيكها (أوج و آج) لقد إجتمعت عند الشّيخ قدّور بن عاشور (ض) ثلاثة مواهب متكاملة و هي نظم الشّعر و التّلحين و الغناء ، و لا تجتمع هذه المواهب إلاّ نادراً عند بعض العباقرة القدماء ، مثل إبن مسايب و بن سهلى و بن تركي ، إذا كان الشّعر الشّعبي عموماً و الشّعر الملحون بالخصوص سبب الإنحطاط الفكري و ضعف الثقافة و إذا كان هناك تيّاران أدبيّان الأوّل فصيح و الثاني عامي فالشيخ قدور بن عاشور يمثل تيارا ثالثا و هو " الشعر الموهوب " و هو تعبير على كل ما يدركه العارف عند المشاهدات و يتكلّم به بدون أن يشعر فيكون فانياً في حبّ الله (1) و هو عطاء من عند الله و فضل منه لقول الله تعالى :" وَ إِتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (2). و قوله تعالى :" وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " لأن كبار الصوفية يفتح لهم في العلم و يلهمون لقول بعضهم :" لا يتخذ الله وليا جاهلا إلّا و علّمه " (3). و الشّعر هو حال يتكلّم به الشّاعر عن لسان الحال بدون شعور و عبارة عن تقريب الفهم لما يدركه العارف (4)" فإذا أدرك العارف الصّوفي أسرار المعاني أورثه الله تعالى علم صور الشّعر باللّغة الفصيحة ".(5)

و من الفقراء من يرى بأن المشايخ رغم أنّهم أمّيّين أو ذوي تعليمٍ قليلٍ أي لم يدرسوا اللّغة و النّحو إلاّ أنّهم يحفظون عن ظهر قلب قصائد و حكم مشايخ سبقوهم فتكوّنت عندهم طبيعة شعريّة و لغوية ساعدتهم على النّظم فيما بعد.و كذلك توغّلهم في المعرفة و الحكمة ساقتهم إلى الوصول إلى سرّ أو مصدر فنّ الشّعر و فنون أخرى فنبعت منهم قصائد أصلها واردات باطنيّة (6).

إنّ حلّ أقوال الفقراء تصبّ في وادٍ واحدٍ و هو أن الشّعر الصّوفي علم موهوب و ليس بمكسوب و أنّه إلهام من الله تعالى (7).

---

(1) تصريح الفقير عبد الحفيظ زرحب

(2)سورة البقرة ، الآية 282

(3) تصريح الفقير للمقدم قدور سبيح

(4) تصريح الفقير نسر الدين بوعياد

(5) تصريح الفقير للدكتور مامشاوي أحمد.

(6) تصريح الفقير كمال بحي

(7) تصريح الفقير الغوتي بنقلفاط

لهذا لا نتفاجئ إذا وجدنا الشّاعر قدّور بن عاشور ينظم بالعاميّة تارة و باللّغة البينيّة أو الفصيحة غير المعربة تارة ثانية و بالفصحى الّتي لولا أن المنشدون يؤدّونها بطابع الملحون فيسكّنون أواخر الكلمات لقلنا بأنّها فصحى خالصة بكلّ المقاييس.

هل الدّوافع الّتي جعلت الشّيخ قدّور بن عاشور يختار نظم الشّعر هي نفسها الّتي جعلت إنساناً غير صوفي يرسم أو يبرز في فنّ ما ؟

إنّ تأثير العالم الموازي لعالمنا في نفس الفنّان الموسيقي و التّشكيلي كان ضرباً من الخيال لكنّه و بعد التحريّات و الرّبورتاجات الحيّة بالصّوت و الصّورة على المباشر في قنوات تلفزيونيّة أصبح حقيقة ملموسة و شاهدنا في إحدى الحصص رسّاما يعيد أشهر اللّوحات لأشهر الفنّانين الغربيّين في وقت و حيز لا يتعدى بعض الدقائق . و كان الرسّام يكون في حالة تشبه الهستيريا ثم يعود إلى حالته الطّبيعيّة و كأنّه لم يفعل شيئاً ، و كذلك لمّا نعلم بأنّ الإمبراطورالفرنسي " نابوليون بونابارت الأول " يعد ظاهرة عالمية فريدة من نوعها لأنه كان يملي ثلاثة رسائل في وقت واحد على الكتّاب يقال بأن الشيخ قدّور بن عاشور رحمه الله تعالى لمّا يأتيه "الفَيْضُ الرَّبَّانِي " كان يملي ثلاثة قصائد صوفيّة في نفس الوقت على ثلاث كتّاب.

إذا كان الشّيخ يقوم بهذا العمل بقدرته الفرديّة فهذا يعدّ من العبقريّة النّادرة في التّاريخ و إلاّ موهبة أعطاه الله إياها فنؤيّد الآراء الّتي صرّح بها الفقراء المامشاويّين.

3.2 – مقارنـــة بين المشايخ الثلا ث (إبن يلس ، إبن عاشور ، إبن مامشا):

الشّيخ الحاج محمد بن يلس (ض)	الشيخ قدور بن عاشور (ض)	الشيخ بن عودة بن مامشا (ض)
1/ التّكوين التّعليمي: متعلّم في المدارس و مستواه جيد.	1/ عصاميّ التّكوين ، لم يكمل تعليمه في الكتاب.	1/ تعليمه و ثقافته الصّوفية مبنيّة على السّمع و الحفظ الشّفوي
2/ التّربية الرّوحية و السّلوك في الطّريق: أخذ عن الشّيخ البوزيدي ثم الشّيخ الهبري.	2/ له إتّصال روحانيّ مع جدّ أمّه الشّيخ سعيد البجائيّ. – و أخذ عن شيخه التّراري الوزّاني الطيّبي	2/ أخذ عن الشّيخ محمّد بن يلّس و بعد رحيله إلى الشّام أخذ عن الشّيخ قدور بن عاشور الّذي بشّره بالمشيخة.
3/ نظم الشعر : له 21 قصيدة أغلبها فصيحة.	3/ له بالتّقريب **190** قصيدة أغلبيّتها باللّغة الفصيحة غير المعربة ، و الفصيحة المعربة و العاميّة.	3/ له قصيدتان شعريّتان فقط
4/ مواضيع القصائد: ▯ نظم المريد و توصية بتعاليم آداب الطّريق ؛ • و الخمرة الصّوفية • السّكر و الصحو • الفناء و البقاء ▯ الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة	4/ – تاريخيّة – مدائح نبويّة – الأحوال و المقامات و الكشف – السّكر و الصّحو و الخمرة – المحبّة وهجاء كلّ من نكّر عليه مقامه رثاء مشايخه و التّعظيم بأهل الله	4/ قصيدة واحدة حول الخمرة الإلاهية و الأخرى حول الحقيقة الإلاهية.
5/ إحتراف مهنة التلحين و الغناء: سمح لمريديه إنشاد قصائده و قصائد مشايخه	5/ إحترف مهنة التلحين و الغناء و قيادة الجوق	5/ كان يؤدّي السّماع
6/ " الأنا " في شعره : قليلة التداول مثال أَنَا الشَّـرَابُ لَنَـا النَّـاسُ	6/ هي كثيرة الإستعمال و خاصة قصيدة " يا من تريد طيّ الوصال " أَنَا الْغَوْثُ الْمُغِيثُ عَجَّالُ بِيَـدِي سَيْـفُ الْقُدْرَةِ	6/ كرّرها ثلاث مرّات فقط في قصيدته و رمزها بضمير متصل (تي) و (ذاتي)
7/ الغرض من نظمهم الشّعور و التّغنّي به هو رضا الله و ليس للتكسّب و الشّهرة.		
8/ الصّفة البارزة هي الكرم (1)		

(1) الشيخ قدور بن عاشور ، " المناقب " ،ص 121

قد تميّز الصّوفيّة بالزّهد في الدّنيا و توصّلوا إلى مركّب الكمال خلافاً لمركّب النقص الذي بنى :" سيمون فرويد " Sigmund FREUD عليه نظريته ، و حاول المفكران يونغ و هادلير تصليح ما أتت به هذه النظرية واصفين " فرويد " بالمبالغة المفرطة في التطرف.

إن العلماء الغربيون يأتون بنظريات بدون تفحص الصواب و الخطأ فيها يتبعهم الناس و خاصة فئة المثقفين المنبهرين بها فيروحون هذه الأفكار و إذا ما أتت أفكار جديدة تظهر أصواب ينضمون إليها كفكرة " الأرختيب أو الضمير الجمعي " الذي أتى به يونغ YOUNG عوض الضمير الفردي .و هذه الأمور غير موجودة لدى أهل التصوف لأنهم يتنافسون على أمور الآخرة متخلين عن السلطة و الحكم و طموح النفس و العجب.

يختلف شعراء الصّوفيّة عن الشعراء العوام في أنهم لا يتبعون التيارات القديمة و الجديدة كالرومنسيّة و الواقعيّة لا موجات الموضة ، لذا نجد مواضيع أشعارهم متشابهة و كأنها صيغت أو أخرجت من قالب واحد لذا هم محلّ إتّهام النقّاد بتقليد بعضهم البعض . يمكن تفسير هذه الظّاهرة بوجود مصدر إلهام واحد من العالم الباطني الخاصّ بهم. و رغم إختلاف بيئتهم الإجتماعيّة و الثّقافيّة إلاّ أنّهم تخرجوا من مدرسة واحدة . و ما يميز الشّاعر الصّوفي المتعلّم عن غير المتعلّم ، كون الأوّل يصقل أفكاره و تعابيره و يوجزها محاولاً تنقيح قصيدته كالشّاعر العاميّ تماماً (غير الصوفي).

يتمتّع شعراء الملحون الّذين عنوا بالموسيقى في قصائدهم ، بثقافة صوفيّة واسعة مثل سابقيهم و بالموهبة و الفطرة السليمة حيث تتّضح معالم شخصيّتهم و تؤثّر معانيهم و صورهم البسيطة في القارئ." إنّ لغتهم قد تبدو صعبة غير مفهومة أحيانا لأنها تخص بيئاتهم التي نشأوا فيها و لكنّنا نحسّ فيها صدقا و عاطفة متأججة و ضراعة بدعاء حارّ" (1).

يمكن تطبيق هذا القول على الشّيخ قدّور بن عاشور لحدّ ما و لكن قدرة هذا الشّاعر تكمن في إستعمال ألفاظ صعبة و قافية متعدّدة فيرجع أهل الزّاوية هذا الإمكانيات

---

(1) عبد الله ركيبي ، المرجع السابق ، ص 325 بتصرف.

إلى ما يسمّونه ب " الْفَتْحِ الْمُبِينِ " لقول الله تعالى : " ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (1) " .

إنّ الشّاعر الصّوفي لا ينظم أشعاراً من أجل نيل المال أو الشّهرة و الجاه كعامّة الشّعراء و إنّما يسعى لنيل رضا الله . و يشتمل شعره على حكم و مواعظ و يبرز مشاعره نحو الله و الرسول (ص) و الأولياء الصّالحين و لا يخضع لمقاييس نضمية و هو موجه لنخبة النخبة أو فئة خاصة جدا.

و فيما يخص المواضيع التاريخية عند الشيخ قدور بن عاشور رحمه الله مثلا قصيدة " يا القمري " (2) التي يتحدث فيها عن فترة صعبة عرفتها تلمسان و هي الحصار الّذي فرض عليها من طرف بني مرين و في القراءة الأولى ، نجد سرد أحداث تاريخيّة لا غير ، أمّا في القراءة الثّانية ، نستشف أن بها رموزاً تستدعي الشّرح ، مثّلناها في الجدول الآتي :

---

(1) سورة النساء ، الآية 70.

(2) قصيدة تقارب المئة بيت و هي من الشعر القصصي تروي أحداث تاريخية

المفـــــــردة	تـــأويلـــها عنـــــد الصـــــوفية
القمري : (طير)	– الرّوح (حرة) أعمال الطّاعات – الأذكار
السّلطان :	– العارف بالله
التّخلّي عن الملك :	– التّخلّي عن الخطوط النفسيّة (السّلطة – الجاه – مال – النّفوذ)
الغزالة :	– المعرفة – الحكمة
الكهف :	– الطّريق الصّوفي . الغزلة
الأولياء الثلاثة :	– درجات الإيمان :
العنب الأسود	– الحسنات لمن يعمل لنيل الجزاء كالعبادة
العنب الأبيض	– // // // // // المحبّة و الرضا
الوليّ المكتوم :	– كل إنسان ولي مكتوم حامل للحقيقة الربّانية لكن لا تظهر هذه الحقيقة حتى يمتثل الإنسان لأمر الخالق.
الإقامة في تلمسان :	– مرحلة من مراحل السير
الفرن :	– المجاهدة الأولى للتّخلّي عن الرذائل و حظوظ النّفس
اليهوديّ :	– العارض – الواشي
السّلطان يغمراسن :	– طالب الحضرة و المعرفة (النّفس)
المهر :	– مهرنا غال لمن يخطبنا (التضحية بالنفس وذبحها)
الياقوتة التي لا نظيرها :	المعرفة – المحبّة الحضرة
السّجن :	– النّفس
إبن السّلطان :	– الشيخ المربي الذي يساعد المريد على التحرير من النفس.
الجيش :	– الملائكة – الأذكار و خدامها
المنصورة المشيّدة في ليلة واحدة :	– حصار النفس – مخالفتها
تذليل السّلطان يغمراسن :	– مرحلة جديدة في طريق الإنتصار على النفس ترقية و درجة جديدة
الذّهاب إلى مصر :	– رضوخ النّفس و الإقبال على الله طوعاً أو كرهاً
	– مرحلة أخرى من الإرتقاء
	– و هي مرحلة الرّضا و التسليم
الأمّ و البنت :	– الدنيا و الآخرة ، تخلّي العارف عنهما

أمّا من شعر الشّيخ الحاج محمد بن يلّس ، نجد براعة في التّشبيه في قصيدة "بِعَيْنِ رَأَيْتُ الْمَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ".(1) الّتي حاولنا تقديم تحليل معناها الظّاهري و الباطني في الجدول التالي :

بِعَيْنِ رَأَيْتُ الْمَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى رُتَبِ التَّحْجِيرِ فِيهَا تَكَسَّرَا
وَ لَكِنَّهُ عَمَّ الْوُجُودَ بِطَوْرِهِ فَشَبَّهْتُهُ بِالْخَمْرِ حِينَ تَحَجَّرَا

و نجد نفس الموضوع عند الشيخ مصطفى بن عليوة (ض) و مطلع القصيدة :

بِعَيْنِي رَأَيْتُ الْمَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ مِنَ التَّنْزِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ فَتَطَوَّرَا
وَ لَوْلَا أَنَّ رَأَيْتُ الْجَوْهَرَ بِعَيْنِهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْقَمَرَ صِرْفًا تَحَجَّرَا (2)

(1) "" ديوان الشيخ محمد بن يلس "" جمعه مصطفى بن يلس ، ص 13

(2) دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين " ، ص 90.

أبيات القصيدة	المعنى الظاهري للأبيات	المعنى المقصود أو الباطني (الصوفي)	ملاحظات
1- بِعَيْنٍ رَأَيْتُ الْمَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى رُتَبِ التَّحْجِيرِ فِيهَا تَكَسَّرَا	تزول الماء من الأعلى كالشلال النازل يضرب الصخور فينقسم و يتشتت عند هبوطه. تشخيص الماء كأنه جسم صلب، يلقي بنفسه و عند اصطدامه بالصخر في الأسفل يتكسر.	يقصد بالماء الروح، يقول تعالى:" وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" (سورة الإسراء الآية 84) تشبيه الروح بالماء لوجود وجه شبه بينهما و هي الحياة. و إنعدام الماء في الأجساد و الكائنات إنسان و حيوان و نبات و أرض يؤدي إلى موتها كذلك الروح إذا فارقتها تموت. إنّ الرّوح لطيفة، و عند هبوطها و دخولها في الأجسام الكثيفة يحصل بها إنقسام.	نلاحظ براعة النّاظم في إستخدام أساليب فنيّة تضفي جمالا و رونقاً على القصيدة الشعرية. و يجتمع الماء و الروح في صفات هي اللطافة و السريان و شفافية اللون. و يجتمع الجسد و الصخر في الصلابة . و عندما تدخل الروح الجسد تصبح مقيدة . وهي تنزل من العالم العلوي إلى العالم الدنيوي و يقول أيضا : يقول سيدي بومدين شعيب (ض) : هُوَ مُمْسِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَعْلَى **** وَ إِلَى أَسْفَلِ و مُبْدِعُهَا بِغَيْرِ مِثَالِ و يقول أيضا : أَمَا تَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقَفَّصَ يَا فَتَى

			إِذَا ذَكَرَ ٱلْأَوْطَانَ حَنَّ إِلَى ٱلْمَغْنَى فالطير هو الروح أما الفتى فهو الإنسان.و ذكر الله الذي يجعل الروح تحن إلى العالم الأسمى.
2- وَ لَكِنَّهُ عَمَّ ٱلْوُجُودَ بِطَوْرِهِ فَشَبَّهْتُهُ بِٱلْخَمْرِ حِينَ تَحَجَّرَا	الماء حينما ينزل من الأعالي يعمّ الوجود أي ينتشر و هو كالخمر عندما يتحجر	الروح عند انتشارها تعم الوجود و مثلها مثل الخمر و يعني السر المكنون القديم عندما يتجراً أي يدخل في قوالب أي الأجسام.	
3- لَمَّا بَدَا بِٱلْحُسْنِ لِلنَّاسِ تَائِهًا فَأَدْهَشَنِي فِيهِ وَ زِدْتُ تَحَيُّرَا	هذا الماء جميل المنظر فهو عند سريانه يتيه أي يتغلغل في الكائنات. و هذا ما أدهش الشاعر وزاد في حيرته.	كلما زاد انتشار الروح و انقسامها على الكائنات أو الأجساد تبدو جميلة و لكنها تتيه لما تتغلغل أو تسري في الأجسام و يختفي سرها. و هذا ما يدهش و يحير الناظم.	
4- وَ لِحِكْمَةِ ٱلظُّهُورِ كَانَ نُزُولُهُ مِنْ حَضْرَةِ ٱلتَّنْزِيهِ إِلَى حَضْرَةِ ٱلْوَرَى	فالماء شفاف ليس له لون و لا يرى عندما يسري في الأجسام و الله أنزله من السماء ليظهر حكمته في خلقه	حكمة نزول الروح من العالم المنزه و الأسمى ، انما غرضها سر الرحمان و شأنه في خلقه. حضرة التنزيه هي ما قبل خلق الخلق أما حضرة الورى فهي ما بعد خلق الخلق.	
5- وَ قَدْ مَنَحَ ٱلنُّهَى إِبَاحَةُ سِرِّهِ لِأَنَّهُ بِٱلتَّشْبِيهِ حَقًّا تَسَتَّرَا	فالماء سر من أسرار الله لقوله تعالى:" أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ، أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ	أهل النهى و هم الرسل و الأنبياء و الأولياء منعهم الله سبحانه و تعالى من إباحة أسراره و من بينها أمر الروح لأنه عز وجل بها	يقول الشيخ بن عودة بن مامشا رضي الله عنه في وارد له : " مِنْ شِدَّةِ قُرْبِهِ مِنْكَ.إِحْتَجَبَ بِكَ

	ٱلْمُنزِلُونَ " الآية 68-69 (سورة الواقعة) . فالماء مكون من الأكسجين و الهيدروجين لكن هذه المادة الهامة في الحياة و عظيمة النفع نجهل تكوينها الحقيقي لقوله تعالى:" وَ مَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"	تستر أي احتجب عن خلقه	عَنْكَ"
6- وَقَامَ حَالُ التَّشْبِيهِ بِكُلِّ تُحْفَةٍ بَيْنَ زُهْدٍ وَ أَنْوَاعٍ كَسَى جَمِيعَ الثَّرَى	فالماء يسري في الأزهار و الأنوار و سائر النباتات كسى جميع الثّرى يعني أن الماء كسى النّدى	إنّ الرّوح تسري في الزّهر و الأنوار و معنى الزهر الإنس أما الأنوار فالجان. كسى جميع الثرى أي انه ليس هنالك جسم بلا روح.	

4-2 الجوانب الفنّيّة في الشّعر الصّوفي المتداول بالزّاوية المامشاويّة :

كسائر الأنواع الأخرى من الأشعار الّتي تملك جانباً فنّياً من ألفاظ و بيان و بديع ، نجد في الشّعر الصّوفي جانباً عند فحصنا له جوانب فنّيّة كثيرة لكنّها ليست غاية في حدّ ذاتها بل هي وسيلة فقط للتّعبير عن مواجد وواردات الصّوفيّة.

أ / اللغـــــــة

ينقسم هذا الشّعر إلى ثلاثة أقسام تبرز مستويات اللّغة المستخدمة : لغة عامّيّة محضة، و لغة مزدوجة،متضمّنة لمفردات و تراكيب لغويّة فصيحة في قالب عامّي و بجوار مفردات علمية و تراكيب عامية، فصيحة لفظاً و تركيباً .

و يلعب المستوى التعليمي الدّور الأساسي في تفضيل مستوى لغويّ عن آخر فالشّيخ إبن يلس الّذي أحرز على قسط وافرٍ من العلم ينظم قصائده جلها باللغة الفصحى بينما الشيخ قدور بن عاشور يغلب عليه الطابع اللغوي العامي الملحون مع اللجوء إلى مفردات و تعابير لغوّية فصيحة و أحيانا إستعمال اللّغة القريبة من الفصحى و تجنيد قاموس من الألفاظ المتعدّدة تدلّ على ثراء لغويّ خصب و فريد من نوعه إذا ما نظرنا إلى الفترة الّتي أنتجت فيها هذه القصائد و بالخصوص إذا علمنا أن الشيخ بن عاشور عصامي التّكوين تعلّم بنفسه ربط الحروف فيصعب علينا التسليم باننا أمام شاعر صوفي عادي بل و تشهد قصائـــده بتنوع مواضيعها و ثراء ألفاظها و عبقرية تراكيبها إلى أن هذا الشاعر غير عادي و أنه إما ينتسب إلى النوع العبقري من الشعراء أو أنّه يجمع في آن واحد بين نوع من العبقريّة و نوع من الموهبة الرّبانيّة. أمّا من ناحية المضمون ، فلا يمكن مقارنة أشعار الشّيخين لا من ناحية المضمون و لا من ناحية الأسلوب و اللّغة و كأنهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين. ينما يقتصر شعر الشّيخ إبن يلّس جلّه على المحبّة و الخمرة و تربية المريد عموماً يشمل شعر الشّيخ قدّور إبن عاشور مواضيع مختلفة حيث يتطرّق إلى المواضيع الآتية:

و إذا قارنّا القاموس اللّغوي عند الشّاعر حصلنا على نماذج مشتركة خاصّة بشعراء التّصوّف قديماً و حديثاً. منها، النّجوم و القمر و الشّمس.و الفهد و الليث و الأسد و الشبل و الغزل و المرأة ذات الجمال الباهر و أسمائها المختلفة كَلَيْلَى كُحْلَة و سَلْمَى.

و ما يلفت النظر عند التّطلع إلى قصائد هؤلاء الشعراء هو الإرتكاز على مجموعة من الرموز تكاد تتكرر من قصيدة إلى أخرى و صور تشبيهية تجعل الناقد يظنّ أنّها تكون نوعاً من الأمتغير عبر العصور و يصدر أحكاما بأنّ هؤلاء الشعراء يجدون من يتّهم بدون الإتيان بالجديد يحكمون عليهم بالتّقليد الأعمى و الإكتفاء بتكرار ألفاظ و تعابير سمعوها في قصائد من سبقهم من المشايخ و هكذا إذا تقبّلنا هذا الرّأي فإنه يعني أن الشعر الصوفي وضع بين القرن الثّالث و الخامس الهجريّين، و إكتملت الموضوعات و الصور و الرّموز و الأسلوب ... الخ إن الشيخ إبن يلس صاحب المستوى العلمي الجيد له أنواع محدودة في النّظم الشّعري بينما نجد عند الشّيخ قدور بن عاشور الشبه أمي أو عصاميّ التّعليم جلّ المواضيع الّتي يتطرّق إليها الشّعراء".

المـــواضيع
- مدح الرسول (ص) المديح : المادي سراج النور- سادتي أهل وزان
- التصوف : نبتدي بإسم الغوثية يا حضار
- الخمرة :
- إبتهال : اللهم يا لطيف
- رثاء : كيف ما نبكي جميع الأحباب
- أغوانيات : أهل الهوى قالوا لي
- حنين : سلم على بلادنا
- مطوشات : لما سقاني الساقي
- منافحة : كشف المصون ، يا ناكري منك الإنتقام
- وعظ : القبر يرحاك / يا الغافل النوم أداك
- توسل : يضوي بصري
- شكوى : واحب على كل يوم نواح
- وصف : الربيعية
- قصص : يا القمري
- تشبب : مقصودي سعاك يا مليح
- هزل : قصة أولاد بوحصة

و كلّ من أتى بعد هذه الفترة من شعراء صوفيّين ما هم سوى مقلّدين يتكلّفون أشعارا لإظهار أنفسهم و إبراز أنانيّتهم بدون أن يكـــون لهم أيّ تعبيـــر حقيقيّ عـــن مشاعرهـــم و أحاسيسهم و بالتّالي فإنّهم مدّعون فقط فيما يصرّحون به من حبّ و عشق إلاهيّ و ما وصلوا إليه من مقامات و مراتب و ما ظهر على أيديهم من كراماتٍ و إختراق العوائق الطّبيعية المألوفة. لكن إذا ما تفحّصنا هذا الإنتاج الشّعري رأينا أنه يختلف من شاعر إلى آخر و قد يختلف من قصيدة إلى أخرى عند نفس الشّاعر.

لكن ما يمكن قوله و الإتّفاق عليه هو أنّ الشّعراء الصّوفيّين كأنّهم يستعملون الأفكار و الصّور و المفردات من نفس المصدر مع التّعبير الشّخصي النّاتج عن شخصيّة الشّاعر و مساره التّكويني ، و كما رأينا الفروق بارزة واضحة في القصائد الشّعريّة للشّيخين الحاج محمد بن يلّس و الشّيخ بن عاشور مع العلم أنّهما معاصران ، كلّ واحد منهما له أسلوبه الخاصّ به.

(1) " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " جمعه الفقير محمد البوعناني، ص 140.

رأينا من خلال دراسة البعض من الشّعر المتداول في السّماع بالزّاوية المامشاويّة أنّه يعالج عدة أغراض خاصّة بأهل التّصوّف و أنّ اللّغة المستخدمة لها ثلاثة مستويات : اللّغة الفصحى و اللّغة العامية و اللّغة البينيّة و توصّلنا إلى نتيجة مفادها أنّ هذا الشّعر يمكن تقسيمه إلى نمطين : الأوّل مكتسب يتضمّن إلهامات أكيدة و لكنّه ينظم بعد تفكير و تخمين و تنقيح أي بعد محاولات عدّة كما هو الشّأن عند الشّيخ الحاج محمّد بن يلّس صاحب المستوى التّعليمي البارز و الّذي يستعمل شعره في أغراض صوفيّة تربويّة و النّمط الثّاني موهوب يستلهمه الشّيخ قدور بن عاشور من الحضرة إذ ينهال على قريحته نهلاً بحيث كان يملي عدّة قصائد في آن واحد على كتّاب مختلفين الشّيخ قدّور بن عاشور الّذي عالج شعره أغراضاً مختلفة تارة باللّغة الفصحى و تارة باللّغة العامّيّة يذكّرنا بفحول شعراء الملحون و تارة باللّغة البينيّة مستخدماً قاموساً ثريّاً و فريداً من نوعه ، مستعملاً رموزًا أغلبيّتها لا تدين في شيء إلى من سبقوه من الشّعراء الصّوفيّين مكثرا من الخطاب بضمير " أنا " الدّال ليس عن الغرور و النّرجسيّة كما يظنّ المتسرّع في الحكم عليه و إنّما عن غلبة حال ليس للشّاعر دخل فيه إذ يعتبر نفسه مأمورا بالتّصريح به و عدم كتمانه كما يعتقد حلّ المنتمين إلى هذه الزّاوية و كما يستنتج من خلال ما يصرّح به بنفسه في توضيحاته حين يكون في كلّ إمتلاك ملكاته الفكريّة .

و هذه السّيمات قد تثبت للدّارس التّريه أنّ الشّعر الصّوفي له خصوصيّات يختلف بها عن الشّعر " العامّي " ربّما لأنّ وظيفته الأساسيّة تكمن في كونه متوجّه للإنشاد أي للسّماع الصّوفي و الحضرة الصّوفيّة.

3.2- الفصـــل الثالث : السّماع الصّوفيّ و الحضرة :

1- المبحث الأول :

1-1 / تعريف السّماع

1-2 / نشأته

1-3 / العلاقة بين الصّوت و السّمع

أ – الصّوت عند الغزالي

1-4 / أنواع السّماع حسب الوسيلة المستعملة

1-5 / رأي الدّين في السّماع

1-6 / شروط ممارسة السّماع

1-7 / أنواع السّامعين

1-8 / آداب السّماع

1-9 / وظيفة السّماع :

أ- الوجد و التّواجد و الوجود

ب- العلاج النّفسي

1-1 تعريف السّماع :(L'oratorio spirituel)

أ/ لـــغـــــة :

جاء في قاموس المحيط للفيروزبادي أن السّمع : حِسُّ الأُذُنِ ، وَ الأُذُنُ وَ مَا وَقَرَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ، وَ الذِّكْرُ الْمَسْمُوعُ، وَ يُكْسَرُ، كَالسَّمَاعِ ، وَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ وَ الْجَمْعُ :أَسْمَاعٌ وَ أَسْمُعٌ، جج : أَسَامِعُ، سَمِعَ كَعَلِمَ، سَمْعًا ، وَ يُكْسَرُ، أَوْ بِالْفَتْحِ : الْمَصْدَرُ، وَ بِالْكَسْرِ: الْإِسْمُ، وَ سَمَاعًا وَ سَمَاعِيَةً ، وَ تَسَمَّعَ وَ أَسْمَعَ ...وَ الْمُسَمِّعُ: كَمُحَسِّنٍ : الْقَيْدُ ، وَ بِهَاءٍ : الْمُغَنِّيَةُ"... (1)

ب/ إصطلاحا :

إنّ الصّوفيّة لم يعطوا تعريفًا للسّماع و إنّما قدّموا مفهومًا خاصًّا حسب تجاربهم و أذواقهم و مواجدهم.

نقل الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير عن الأستاذ أبي عليّ الدّقّاق عن السّماع فقال :" السّماع هو الوقت ، فمن لاسماع له لا سمع له , و من لا سمع له ، فلا دين له ، لأن الله تعالى قال : " إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ" (2) و قال : " قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ " (3) فالسماع سفير من الحق و رسول من الحق ، يحمل أهل الحق بالحق إلى الحق ..." (4)

و حسب الشيخ أبي حزام " إنّ السماع هو الإستجمام من تعب الوقت ، و تنفس لأرباب الأحوال ، و إستحضار الأسرار لذوي الأشغال " (5)

و يقصد بأرباب الأحوال أهل التّصوّف فهم ذوي الأشغال لأنهم مشتغلون بربّهم من عبادة و ذكر كثير و توجه دائم إلى الحق ، سئل أبو يعقوب النهرجوري عن السّماع فقال :" حال بيدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الإحتراق " (6)

و قيل السّماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ، و يدرك برقّة الطّبع لرقّته ، و بصفاء السّرّ لصفائه عند أهله " (7)

---

(1) الفيروزبادي ، قاموس المحيط ص 268

(2) سورة الشعراء ، الآية 212

(3) سورة الملك ، الآية 10

(4) أبو سعيد بن أبي الخير الميهني ، " أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد " ، ص 298.

(5) أنور فؤاد أبي حزام ، المرجع السابق ، ص 100

(6) و (7) أبو القاسم القشيري : " الرسالة القشيرية " ، ص 333

إذا كان الجسم يتغذّى بالطّعام و الهواء و الماء ، و العقل يتغذّى بالفكر و العلم و المطالعة و القلب يتغذى بالذّكر لقول الرّسول صلّى الله عليه و سلّم :" لِكُلِّ شَيْءٍ مِصْقَلَةٌ وَ مِصْقَلَةُ الْقَلْبِ ذِكْرُ اللهِ " و لقول الله عزّوجلّ في حديث قدسي يخاطب النبي داود عليه السلام : " لا تَسَعُنِي سَمَوَاتِي وَ أَرْضِي وَ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ الذَّاكِرُ الشَّاكِرُ ".

قال القشيري : " سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرّازي يقول سمعت أبا على الروذباري يقول و قد سئل عن السّماع فقال مكاشفة (1) الأسرار إلى مشاهدة (2) المحبوب" (3).

و في فضل السّماع ، حكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال :" تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السّماع فإنّهم لا يسمعون إلاّ عن الحقّ ... " (4)

و السّماع أسلوب يعمد إليه بعض الصّوفيّين ليحصل لهم الوجد. نشأ عن تطوّر مجالس الذّكر و ملخّصه أن يجتمع الصّوفيّون وحدهم و هم في حالة زهد و ينصرف المجتمعون إلى التّأمّل و يكون بينهم مغنّي أو قوّال يترنّم بألحان دينيّة شجيّة يصحب ذلك إنشاد شعر روحيّ (5).

يرى بعض أهل الزّاوية المامشاويّة بأنّ السّماع يكون فيه مجتمعون حول أحدهم يمدح و يغنّي لهم أبيات العشق الإلاهي و الغرام و قد يؤدّي ذلك إلى حادثة إغماء على بعضهم (6).

و السماع هو الإستماع للنظم (7). و أعطى لنا مسمّع الزاوية المامشاوية مفهوماً للسّماع بأنّه:"ذكر المدائح النبوية جماعة في الزّاوية" (8). و السّماع في نظر البعض ذكر الحبيب أي ذكر الله (9)

و منهم من يرى بأنّه أنا شيد يستعملها المريد ليسلك بعض الواردات الّتي تطرأ عليه من حين إلى آخر (10).

و السّماع هو قراءة أشعار على صيغة أو لحن غنائي ....(11) و هو إنشاد القصائد الصّوفية (12).

(1)يقول الغزالي رحمه الله :" و المكاشفة أتم من المشاهدة و هي ثلاث : مكاشفة بالعلم و هي تحقيق الإصابة بالفهم ، و مكاشفة بالحال و هي تحقيق رؤية زيادة الحال ، و مكاشفة بالتوحيد و هي تحقيق صحة الإشارة (عن " معجم مصطلحات الصوفية لأبي حزام ، ص 167)

(2)يقول التهانوي في المشاهدة :" رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين (المرجع نفسه ،ص 163).

(3)أبو القاسم القشيري ، " الرسالة القشيرية " ،ص 335

(4) أبو القاسم القشيري ، المرجع نفسه ، ص 332

(5)عبده الشمالي " دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية و آثار رجالها " ، ص 461.

(6)تصريح السيد " بن شوك محمد " المدعو ب " النور "

(7) تصريح السيد " شريف محمد مولاي " أكبر الفقراء سنا

(8) تصريح السيد خوني بن قلفاط

(9) تصريح السيد قدور سبيع مقدم الزاوية المامشاوية

(10) تصريح السيد نصرو بوعياد

(11) تصريح السيد الحاج بختي

(12) تصريح السيد حكمت صاري علي

و هناك من يرى أنّ معناه أوسع كونه يشتمل على الذّكر و النّظم الّذي يحتوي على مواعظ و مدائح دينيّة (1).

إنّ السّماع حسب بعضهم شعر و أناشيد ملحونة لتعظيم الجبروت و الرّسول (ص) بالحال الّذي يكون فيه (2)

فالملاحظ أنّ جلّ التّعريفات المقدّمة تدلّ على أنّ السّماع شعر صوفيّ مغنّى يراعي فيه الميزان (3)

1-2نشـــــأته :

إنّ السّماع الصّوفي لسان حال أهل التّصوف الّذي يعبّر عن مشاعرهم و أحوالهم و إنقطاعهم للعبادة و التّحلّي بالقيم السّامية.

سئل جلال الدّين الرّومي يوماً عن كيفيّة دخول الرّوح في الجسد ، فأجاب قائلا :" في أوّل الأمر رفضت الروح أن تمتثل للأمر ، و لمّا أسمعها الله الموسيقى سكرت هذه الرّوح بالموسيقى و قبلت الدخول في الجسم " (4) ، و أكّد هذا من قبل الإمام الجنيد رضي الله عنه قائلا : " إذا كانت الأرواح تحس بنشوة عند سماعها للموسيقى ، ذلك لأنّها عرفتها قبل النشأة ".

إنّ النّغم الموسيقي يمتزج مع نغم النّشأة بحيث أصل الأولى يذكّر بأصل الأخرى بالمساواة و يترجمها جلال الدّين الرّومي بقوله :" عليك أن ترقص على قلبك " (5).

و في شأن تحديد الفترة الّتي ظهر فيها السّماع الصّوفي إلى الوجود فقد إختلف المؤرّخون.

يعتقد أهل التّصوّف أنّ ما يحدث في مجالس السّماع وثيق العلاقة بالسّنّة النّبوية الشّريفة . وما يؤكّد إعتقادهم " حكي عن طاهر بن بلال الهمذاني الورّاق و كـــان من أهل العلم أنّه قال : " كنت معتكفا في جامع جدة على البحر، فرأيـــت يومـــاً طائفـــة يقولون في جانب منه قولا و يستمعون ، فأنكرت ذلك بقلبي، و قلت في بيت من بيوت الله ، يقولون الشعر، قال فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم يستمع إليه و يضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك اللذين كانوا يستمعون و هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع و أبو بكر يقول ، فإلتفت إلي الرّسول صلّى الله عليه و سلّم ، قال : هذا حق بحق أوقال حق من حق أنا أشك فيه " (6)

(1) تصريح السيد عبد الحي غماري

(2) تصريح السيد عبد الحفيظ زرحب.

(3) تصريح السيد عبد الكريم غفور. الميزان (يقصد به الإيقاع أو الوزن) ،

(4) et (5) Michel RANDOM , « Le Soufisme et la Dance » , p 174.

(6) أبو حامد الغزالي ، « إحياء علوم الدين ج2 » ، ص 139

لقد إتّفق العلماء الدّارسون للتّصوّف كسلوك و إعتقاد و نمط عيش و أخلاق يشكّل فنّا و قوانين إتّضحت معالمها في العالم الإسلامي منذ أواخر القرن الثّاني الهجري أنّ السّماع الصّوفي له قواعد ظهر مكتملاً مع نهاية القرن الثّالث الهجري . و يعدّ القرن الخامس الهجري قرناً حافلاً بالدّراسات القديمة الّتي نوّهت إلى تاريخ نشأته، غير أنّ الدّراسات الإسلاميّة لم تتناول موضوع السّماع الصّوفي كظاهرة في التّصوّف تستحقّ إسالة الحبر ، حيث أنّ معظم الدّارسين إهتمّوا بالجانب الفقهيّ له بيد أنّ الجانب الفنيّ لم يكن معدوما و مهملا تماما.

لقد إهتم القدماء بفنّ السّماع إهتماماً بالغاً بحيث خصّص القشيري في رسالته و بعده الغزالي في إحياء علوم الدّين باباً كاملاً في الموضوع : تعريفه، أصوله ، آدابه و آثاره.

و قام الهجويري و الكلاباذي أيضا بدراسة ظاهرة السّماع في الفترة ما بين القرن الخامس الهجري و السّادس الهجري ممّا يسمح بالإعتقاد أن تاريخ نشأة هذه الظاهرة يمكن تحديده في بداية القرن الرّابع الهجري.

و قد جلبـــت ظاهرة السّماع الصّوفي إنتباه المستشرقين أيضا أمثال ماسينيون و جان و بلاثيوس و غيرهم.

يرى المفكّر آسين بلاثيوس في تاريخ النّشاة "و ليس من السّهل تحديد العصر الدّقيق الّذي دخل فيه السّماع عند الصّوفيّة في الإسلام ، لكن يمكن أن نؤكّد أنّ صوفيّا مصريّا ، ذو النّون المصري كان من أوائل الّذين نشروا السّماع في مستهلّ القرن الثّالث الهجري (التاسع الميلادي " (1)

و يوافقه الرأي لوي ماسينيون الّذي ذهب إلى القول بأنّ أول مجلس للسّماع أقيم في بغداد حوالي سنة 870 م أو قبل هذا " يظهر أن ذو النّون المصري كان أحد المسؤولين الأوائل لمجالس السّماع حوالي 859 م " (2) ؛ و الّذي يمكن إستنتاجه من الدّراسات الحديثة في المجال هو أنّ البدايات الأولى لظاهرة السّماع الصّوفي كانت مع حلول القرن الثّالث الهجري ، بـــدأت تظهر بصورة ملموسة بعد نهاية القرن الثّالث الهجري و إستمرّت في النّمو و الإنتشار و التّبلور بعد ذلك ، و بعد إنتشار الممارسات الصّوفية بمختلف أنواعها ، أخذت الحضرة و السّماع الصّوفي مكاناً بينهم . (3)

---

(1) Michel RANDOM OP-Cit , p 170

[2] // // // // // //

[3] قيداري قويدر ، المرجع السابق ، ص 78

و يرى الشيخ جلال الدين الرومي : "إنّ السّماع حفل موسيقيّ ، عرف و مورس منذ زمن طويل في الإسلام . و يرجع أصل السّماع إلى التّرتيل المتوازن لسور القرآن الكريم و إيقاع الصّوت الجميل و قال ميراي جان مولي بأن ذو النّون المصري كان بمثابة عالم كيمياء ، تعلّم سرّالهيرو غليفيات و درس الكتب ذات الأسرار الغامضة . و من الأمر الفريد أنّ نلاحظ أن هذا الشّيخ هو أحد المنظّرين القدماء للسّماع أمّا من الجانب الكيمياويّ للسّماع نفسه، فقد أكّده عدّة مرّات جلال الدّين الرّومي و أحمد الرفاعي قبله. و يعتبر الجنيد (910 م) في القرن التاسع الميلادي الثّالث الهجري كمنظّر حقيقيّ للسّماع و المدرسة الصّوفيّة معاً في بغـــداد. و لقد كان لهؤلاء الصوفية ميل كبير للميتافيزقيا و الشّعر و الموسيقى و إستعملوا السّماع بإنتظام [1]

و يبدو أن السّماع الصّوفي نشأ من الحداء . روى أنس بن مالك رضي الله عنه :" إنّ النّبي صلّى الله عليه و سلّم كان يُحدى له " [2]

فالحداء حسب الإمام الغزالي نغمات موزونة للأرواح ، و يؤثّر تأثيراً عجيباً ، إمّا بحزن أو شعور بالفرح أو النوم أو الطرب فيصل المتأثر إلى درجة تحريك أعضاءه على حسب الوزن باليد و الرّجل و الرّأس لقول أحدهم:" من لم يحركه الربيع و أزهاره، و العود و أوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج " [3]

إنّ الحداء يسكت الصّبي عند البكاء، فيصغي إليه ، و كان الجمل لا يتحمّل قطع المسافات الطّوال إلّا به، يقول الغزالي :" و الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخفّ معه الأحمال الثقيلة ، و يستقصر لقوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة " [4]

و منهم من يرى أنّ السّماع يعود إلى نفخ الرّوح في نشأة الإنسان و أنّ الرّوح اللّطيفة لم تقبل الدّخول في الجسم الكثيف حتّى سمعت الموسيقىو في هذا الصّدد يشير أهل الزّاوية المامشاويّة إلى النّبي داود عليه السلام و عزفه على المزمار حتّى كانت الطّير تتأثّر بشدى ألحانه عندما تقف على رأسه و عندما يكثر طربها تسقط ميتة. و يحكى أنّ الجنّ و الحيوان كانت تتأثّر أيضا بالإستماع إليه.

---

[1] Michael RANDOM , Op.cit , page 170.

[2] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 147

[3] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 147

[4] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 148

و الإنســـان كمخلوق لديــه حـــسّ ، فإذا حـــزن بكى و تقلّصت عضلات وجهه و إشتدّت و إذا فرح أو سرّ تنبسط عضلات وجهه و ربّما غنّى أو طرب و إهتز و رقص أو ولـــــه (1)

و يمكن القول أن السّماع الصّوفي نشأ مع نشأة الإنسان ، فالرّوح دخلت الجسد أي إتّحاد اللّطافة بالكثافة أو إتحاد السّموّ بالدّنوّ، و كانت الوسيلة الوحيدة الّتي جمعتهما هي سماع الموسيقى الرّوحية و منذ هبوط الإنسان إلى الأرض ، و هو يميل إلى سماع الموسيقى.

و الملاحظ أنّ مريدي الزّاوية لا تهمّهم مسألة نشأة السماع بصفة نظرية إلّا أن لهم آراء و معتقدات حوله حيث يجدون في الكتاب أو السنة و السيرة النبوية دلائل أو يرتكزون عليها لتبرير ممارسته في جلساتهم.

يقول الشّيخ محمد بن يلس :

وَ سَمَـــاعٌ إِخْـــوانِيّاً يَشْفِـــي صَـــدْرَ الْحَـــاضِرِينْ
سَيَظْهَـــرُ فِيهَا نُـــوْر لِلْإِخْـــوانِ وَ الْحُضُـــوْرْ
شُهُـــودُهُمْ لِلْمَذْكُورْ فِي عُمُـــومِ الْمَخْلُـــوقِينْ (2)

1-3 / العلاقة بين الصّوت و السّمع:

يرى جل علماء اللغة أن ثمة علاقة بين الوظيفة الصوتية و بين ظواهر الوجود فرضت تجاوبا و تجاذبا بين الإنسان و الطّبيعة، و راح الإنسان في موقفه منها بين مقلّد أو محاكٍ لها على حدّ قول أرسطو، و بين مبدع فرضت عليه مواهبه أن يتجاوز حدود التّقليد و المحاكاة بما حباه الله من سعة الإدراك. و رفاهية الحسّ المعبّر عنهما بالنطق، و يبدو أنّ لكلّ فرد منّا صوتاً خاصّاً به يميّزه عن الآخرين.

و الصّوت لا بدّ له من مستقبل له إتّصال وثيق بالعالم المادّي حول الإنسان ، و يتميّز مستقبل الصّوت بقوّة النّقاط تفوق إمكانات الإنسان الأخرى فكانت الأذن نعم المستقبل القويّ الّذي يستطيع التّمييز بين صوت و آخر و لذلك قدّم الله سبحانه في كتابه العزيز هذه

---

(1) أنور فؤاد أبي خزام، المرجع السابق ، ص 128 (و له : من الوله ، إفراط الوجد)

(2) " ديوان الشيخ محمد بن يلس " جمعه مصطفى بن يلس ، ص 11

الحاسّة السّمعيّة على البصريّة لأهمية هذه الأخيرة القصوى. و قدّمها على الحواسّ الأخرى و منها القلب حيث قال : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " (1)

و العلاقة بين الحاسّتين لها بعدين آخرين : أوّلهما متعلّق بتحسّس الجمال و إستكانة أسراره و هو جانب غريزي و ثانيهما متعلّق بإصابة المعنى في العمليّة الإبلاغيّة و هذا جانب وظيفيّ و كلاهما يتحقّق ما يعرف بالجانب الإنفعالي في اللّغة من خلال النّصّ الأدبيّ و من هنا لا يمكن للشّاعر أن يحقّق الجانب الجماليّ بمعزل عن الجانب المعنوي للنّصّ الشّعري.

و عمليّة التّأثير هذه تعمل كما يرى ريشاردز بطريقة غير مباشرة في المعاني الّتي تفهم من الألفاظ و لذا يحمل النّص الشّعري في زخم المدّ الرّوحي دلالات شتّى، و تأويلات عديدة، و كلّها صالحة لتفسير الجانب القصدي المستتر الإبداعية.

و يرى حكماء العرب أنّ ما يميّز الشّعر عن النّثر و الكلام العادي هو الوزن و القافيّة و بقي هذان العنصران مواكبين لمسيرة الشّعر العربيّ منذ بدايته إلى يومنا هذا . و ستبقى الموسيقى الشّعرية القاسم المشترك الّذي يجمع بين الشّعراء و سيبقى الإيقاع الشّعري مُحْدِثًا أثرًا بفضل الصّلة الواضحة بين الألفاظ و معانيها.

و بعد تقديم أقوال العلماء القدامى من الحكيم إبن سينا إلى الفارابي يستخلص الد. صالح يوسف عبد القادر أنّ المسموع من الشّعر العربيّ قد مرّ عبر ثلاثة أطوار رئيسيّة في مسيرته الكبرى.

أوّلا ، كان الشّعر في هذا الطّور وسيلة للإبلاغ بين الشّاعر و المتلقّي مباشرة دون وسيط و في هذا الطّور أطال الشّاعر من قصائده بغية الإقناع و التّوصيل . فلم تعد هذه القصائد الطّويلة صالحة للغناء و إكتفى بالسّماع في الأسواق و المحافل الشّعرية و كان هذا في العصر الجاهلي و باكورة العصر الإسلاميّ.

ثانيا ، في الطّور الثّاني عرف الشّعر قصائد وضعت أصلاً للغناء فنظمت على أوزان خفيفة و بألفاظ سهلة. و بتراكيب فيها من العذوبة الشّيء الكثير و كان مع تفتّح القوم

(1) سورة الإسراء ، الآية 36

و بداية التّحضّر و أخذهم بوسائل ترفها و ملذّاتها. (1)

و قد شهد العصر الأموي مع المرحلة المروانيّة هذه البدايات و معها أخذ الغناء الشّعري يشكّل الظّاهرة الّتي إستوفت كلّ شروطها الحضارية في العصر العبّاسي.

ثالثا ، أمّا الطور الثالث فقد عرفته الأندلس في فنّ الموشّحات و ما سبقها من إرهاصات و ما تفرّع عنها أو شابهها من الشّعر الغنائي مثل : الدوبيت، و الكان كان، و الزجل و المواليا.

و ما يبين صعوبة تلحين القصائد الطّوال مثل المعلّقات و ما قاله أمير المغنين :" معبد " في تاريخ الغناء العربي القديم : " و لله لقد صنعت سبعة ألحان ، كلّ لحن منها أشدّ من فتح تلك الحصون" و هذه الصّعوبة تكمن في التّركيب اللّغوي و تميزه فنّيا لأنّ صعوبة التّركيب كانت أحد المقاييس عن النّقّاد القدماء و لهذا عزف "" معبد " عن إقتحام عمق المعلّقة الجاهليّة و بقي يحوم حول أبيات معدودة من معلقات ثلاث إتّسمت بليونة التّركيب النّسبية.

إنّ الصّلة بين الموسيقى و الشّعر العظيم الحقّ تبدو لنا حين نفكّر في البنية الّتي تقدّمها أنجح القصائد الّتي وضعت في إطار موسيقي لأنّها لا تكون طوع التّلحين الموسيقي في حين أن الشّعر العادي أو الضّعيف كالكثير من القصائد الأولى لـــ هايني **Heine** و ويلهام مولو قدّم نصوصا لأعذب أغاني " شوبرت" و " شومان" و حين يكون الشّعر ذا قيمة أدبيّة سامية فإنّ التّلحين في الغالب يشوّهه أو يبهم أنماطه تمام الإبهام.

و المقطع الصّوتي و عامل الزّمن الموسيقي في أيّ شعر يقول سليم الحلو عن العلاقة بينهما ينحصر تكوين الموسيقى بعنصرين جوهريّين هما : الصّوت و الزّمن ... فالصّوت هو علم تركيب الطّبقات الصّوتيّة المتآلفة الّتي تكون لحناً يتغذّى به إمّا بواسطة الصّوت الإنساني أو بواسطة الآلات الموسيقيّة .(2)

إنّ الشّعر يجعل المتلقّي يتحرّر من جزئيّته إلى مستوى أكبر أي إنساني كلّي و الملاحظ هو أن كلّ شاعر يختصّ بصوت يحرص من خلاله على أن تكون العمليّة الإبداعية بقدر طموحه من الإنتشار. و لذلك على المنشد للشّعر أن يتمثّل صوت الشّاعر الحقيقي. و هذا ليس سهـــلا يتطلب طاقة روحيّة ووجدانيّة لقمص شخصية الشّاعر تستحضر تجربته و تعايشها.(3)

---

(1) صلاح يوسف عبد القادر ، " العروض و الإيقاع الشعري "، ص 149-150

(2) و (3) صلاح يوسف عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 173

و هناك نقطة تشابه بين لغة الشّعر و لغة النّثر في قواعد التّشكيل الصّوتي أمّا نقطة الإختلاف فهي في طبيعة الأداء الصّوتي و هذا ما سمّاه بعض الباحثين بـــ " النّبر " و هو مصطلح فنّي ليس من السّهل التّسليم به في التّشكيل الصّوتي للشّعر العربي.

و الحقيقة أن النّبر (**Stresse**) كمصطلح بالمفهوم الغربي لا يصلح كبعض المصطلحات الأخرى. أن يكون ضمن قواعد إيقاع الشّعر العربيّ و أساسا من أسس تنغيمه أو إنشاده العنصر بل العنصر الأساسي للإيقاع هو المقطع (**Syllabic**) و الّذي يعتبر العنصر المقنن لهذا الإيقاع. فالنبر مجهود صوت عضلي، و للمنشد الحرية في تحديد موقعه فكما يمكن أن يكون في جزء من الكلمة ، يمكن أن يكون في أكثر من جزء و قد لا يكون إطلاقا الشيء الذي يعطي الحرية الكاملة للمنشد في تصوّر أو إختيار الطّريقة الّتي ينغم بها شعره و يعطيه إيقاعه الخاص به.

و في الشّعر مدّ و مطّ في الحركات أو تقصيرها و يقول الجاحظ في هذاالسّياق :" العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، و العجم تمط الألفاظ فتقبض و تبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون "

إنّ الوزن الموسيقيّ اللّحنيّ و الإيقاعيّ قد لعب دوراً هامّاً في عمليّة النّظم بدليل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العروض لم يخترع عروض الشعر و تفاعيله، بل إستنبط هذا من أشعار العرب القدماء و نظمهم، و ليس النّظم المعرّب فقط بل شمل كلام العامّة و دارجها.

فطبيعة البيت الشّعري هي الّتي تحدّد طبيعة النّغمة مثلاً البيت المستقلّ في معناه يكون مستقلاّ في إنشاده. لذا فإنّ المنشد مع المقطع الأخير يوحي بنغمة هابطة (↘) بإنتهاء البيت الإنشاد- و يكون هذا البيت عادة تقريريا (**declaratif**) أو منفيّا أو إدّعائيّا أو شرطيّا أو إستفهاميّا بغير الأداتين : " هل و الهمزة " . أمّا عند الإستفهام بإحدى هاتين الأداتين فإنّ البيت ينتهي بنغمة صاعدة (↗) وإذا وقف المنشد على أبيات متّصلة في المعنى أي أنّه لا يتمّ معنى بيتٍ منها بمفرده وقف عند نهاية كلّ بيت من هذه الأبيات بنغمة أفقيّة أو صاعدة مع الرّمز المتقطّع (←أو + - - -) . (1)

---

(1) صلاح يوسف عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 174- بتصرف

لا يقع التّنغيم في أواخر الأبيات فقط بل من الممكن وجوده في الحشو (داخل البيت) كذلك . و يختلف التّنغيم حينها بإختلاف المقاطع لأنّ البيت الشّعري قد يتألّف من مجموعة من الجمل ذات دلالات مختلفة تتطلّب تشكيلاً مقطعيّاً متبايناً – في صعود النّغمة و هبوطها و مثال على هذا في قول الشاعر :

أبتاه أدركني فتلك ثلاثة *** غنت على ليل الهوى بصباح

القدس و اللّهب المقدّس في دمي(↖) **(و القلب بينهما) (فكيف ألاحي) (↙) ؟

نلاحظ أنّ الشطر الأول من البيت الثاني يتّسم بمقاطع قويّة تحمل جملتها دلالة قويّة فنغمته صاعدة (↖) .

بينما الشّطر الثّاني من نفس البيت يتّسم بمقاطع فيها شيء من الضّعف تحمل جملتاها دلالة على الضّعف متباينة – فالجملة الأولى منه (و القلب بينهما) هي جملة تقريريّة إخباريّة تأخذ منحى متوسّطا أفقيّاً فبالنغمة (←) أمّا الجملة الثّانية (فكيف ألاحي ؟) فهي أضعف من الأولى لأنّها إستفهامية (كيف) أداة إستفهام و بما أنّ الأداة ليست (هل) أو الهمزة (أ) فالنّغمة هابطة (↙) .

بما أنّ الإنشاد يتعلّق بالإيقاع و ليس بالمعنى فالوقف القصير يتّصل فيه الصّوت بين نهاية كلمة و بداية كلمة أخرى تليها بنغمة توحي بالوقف و قد يكون الوقف القصير في الحشو . و أكثر ما يكون الوقف القصير بين الشّطرين و يجب أن يكون الإتّصال بين الشّطرين إيقاعيا وليس من ناحية المعنى .

يكون الوقف المتوسّط في أغلب الأحيان عند صيغة الأمر أو التّنبيه أو السّؤال أو تفصيل المعنى الواحد أو تفسير الجمل أو نداء القريب .

أمّا الوقف الطّويل يكون عند النّغمة الهابطة بإنتهاء المقطع ذي الفكرة الواحدة أو يكون بعد صيغة النّداء البعيد أو بعد صيغة السّؤال في نهاية الفكرة الواحدة.إلّا أنّ لكلّ منشد طريقته الخاصّة في الإنشاد الشّعري و على هذا نفترض أنّ النّسبة في قواعد الإنشاء لها وجود.

أمّا طبقات الصّوت المختلفة من منشد إلى آخر فهي كالتّالي :

1/ منشد يتميّز بصوت دقيق قويّ .

2/ // // // أجش .

3/ // // // هادئ .

4/ // // // جهوري .

و نشير إلى العلاقة الموجودة بين النّصّ الشّعري و طبيعة صوت المنشد :

- الصّوت الهادئ و الصّوت الأجشّ لا تناسبه الأغراض الشّعرية المتّسمة بطابع القوّة .

- الصّوت الجهوري أو الصّوت الدّقيق القويّ لا ينسجمان مع الأغراض الشّعرية المتّسمة بطابع القوّة .

أمّا الشّروط الّتي يجب مراعاتها أثناء أداء الإنشاد فأهمّها :أنّه ينبغي على المنشد مراعاة النّشاط النّفسي و الجوّ العامّ الّذين يصاحبان عمليّة الخلق الشّعري و كذا أن يأ خذ بعين الإعتبار الجوّ العامّ الّذي يحيط بالمتلقّي

2/ و على المنشد تقمّص شخصيّة الشّاعر الحقيقي (الأصلي) للقصيدة إذا لم يكن الشّاعر نفسه هو المنشد .

أ- الصوت عند الغزالي :

الصّوت بالغ الأثر على أذن السّامع لقد درس الإمام الغزالي الصّوت و تعمّق فيه ، حاولنا تجسيد أفكاره في المخطّط التالي :

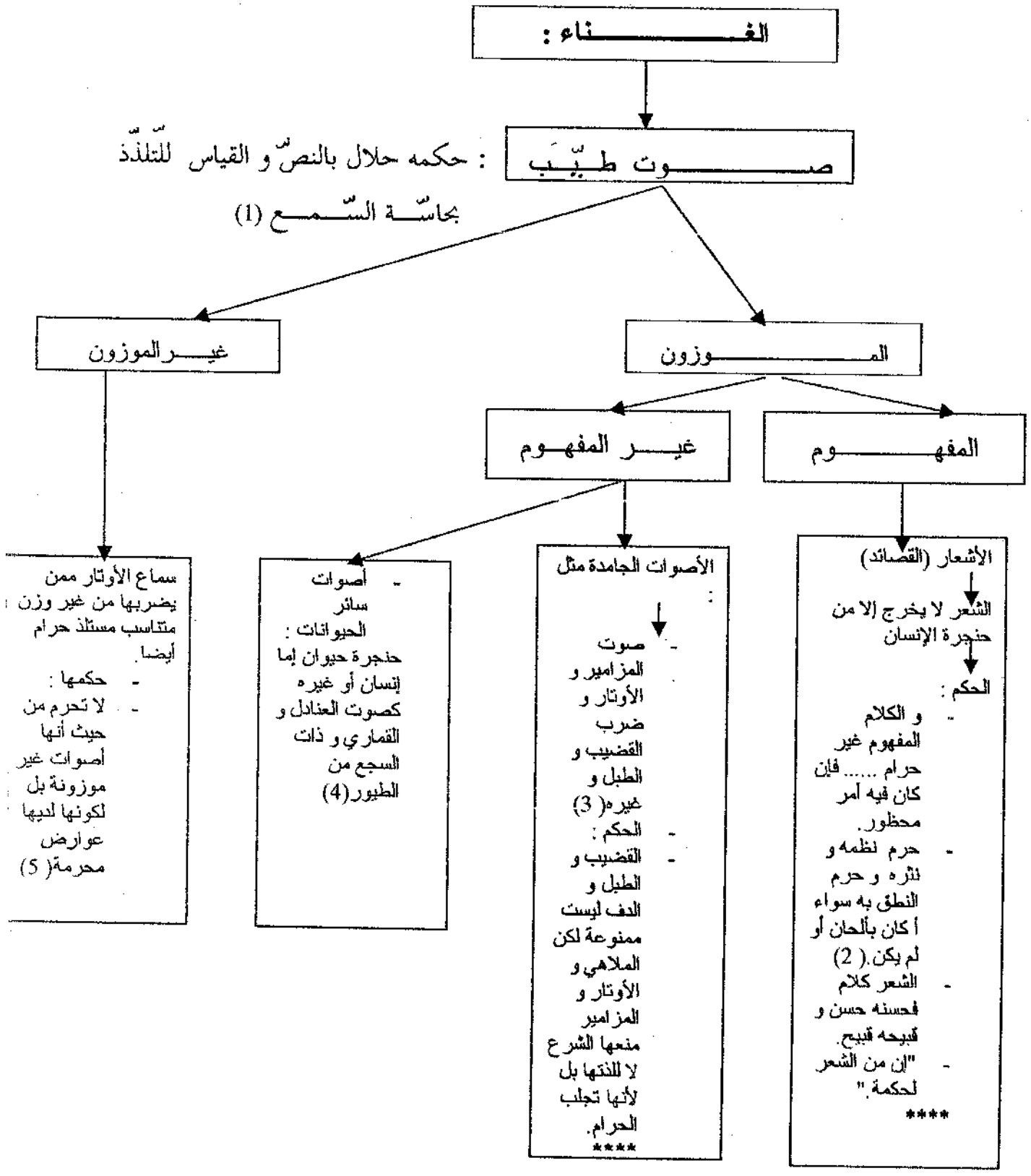

[1] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 140 – بتصرف –

[2] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص ص 144-145 – بتصرف –

[3] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 142

[4] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 142

[5] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 150

****

- الحداء للجمال لأداء بأصوات طيبة و ألحان غير منكر(1)

غناء الحجيج وعظ مؤثر جائز ما لم يدخل فيه المزامير و الأوتار التي هي من شعار الأشرار (2)

غناء الغزاة : مباح لتحريضه الناس على الغزو ضد العدو(3)

رجزيات الشجعان (4)

تقام وقت اللقاء، تستعمل لتشجيع النفس و للأنصار و تحريك النشاط فيهم للقتال، و التمدح بالشجاعة و النجدة.و ذلك مباح في كل قتال مباح.

و نقل عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعليّ و خالد و يمنع ضرب الشاهين فيه لتنقيصه الشجاعة في الغزو بسبب الحانه الرقيقة.

أصوات النياحة و نغماتها نوعان :

مذموم : - و الحزن على الأموات وورد النهي الصريح عن النياحة، لما نهى الرسول —ص— أم عطية في البيعة من النوح.

محمود : حزن الإنسان على تقصيره في آداء العبادات و الفرائض — بكاء آدم عليه السلام و نياحة داود عليه السلام — حتى كانت الجنائز ترفع من نياحته.

****

حرم المزمار العراقي و الأوتار كلها كالعود و الصنج و الرباب و البربط.

و السماع في وقت السرور تأكيدا له، منها إنشاد بنات خال الرسول(ص) قصيدة طلع البدر علينا ، لشدة الفرح بقدوم الرسول —ص- إلى المدينة و قد كن على السطوح يضربن بالدف و الألحان و غيرها من الروايات كغناء الجاريتين في بيت الرسول —ص- و عدم الإنكار عليها ...إلخ.

- سماع المحبين لله (5)

المحب مشتاق للقاء ربه، لا يرى شيئا إلا يراه فيه سبحانه .فيسمع به تعالى أي بالحق.و السماع جائز و مباح له.

---

[1] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 148

[2] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 149

[3] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص149

[4] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 150

[5] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 155

1-4 / أنواع السماع حسب الوسيلة المستعملة :

السّماع الصّوفي ثلاث أنواع :

1/ السّماع المعتمد على الحنجرة أو الصّوت.

2/ السّماع المصحوب بالآلة إضافة إلى الصّوت البشري

3/ السّماع المعتمد على الآلة الموسيقية فقط.

1/ السّماع المعتمد على الصّوت البشري :

قدم الأستاذ عبد الحميد مشعل في كتابه " موسيقى الغناء العربي " دراسة حول تأثير نزول القرآن الكريم في الموسيقى العربية في الإسلام:

" لقد لبست الموسيقى العربية في الإسلام ثوباً دينيّاً ناصعاً يوم نزل القرآن الكريم و سرت تلاوته بالصّوت الجميل في النّفوس سريان الطهر و العافية في الجسم السّقيم . ومن إعجاز القرآن الكريم نظمه على إيقاع موسيقي رائع بسيط على المستمعين و لو كانوا غير مسلمين . حتّى قال الأجلاّء أنّ قوانين الموسيقى قد لوحظت في القرآن الكريم تامّة كاملة . وكذلك الشأن في بعض الشّعائر الدّينيّة الأخرى، كالمدح النبوي و الأذكار المنغّمة و كالآذان للصلاة و صلاة العيد في ألحان موسيقية ترقّق حاشية الروح " [1]

و إتّخذ الصّوفيّة في طقوسهم ، الصّوت لإنشاد أشعارهم شريطة أن يكون حسنا طيّبا و جميلا حتّى يتمكّن من التّأثير في السّامعين.

و يقوم المسمّع بالإنشاد مظهرا براعته في الإيقاع الصّوتي و إحترامه للوزن [2] الّتي نظمها صاحبها عليها مراعاة في سرعته و إبطائه في الإيقاع للوقت الملائم و قوانين الإنشاد كالوقف في النّغمات المتعلّقة بالقصائد.

لقد تعرّض إبن رشيق لدراسة أنواع من الوقف الغريبة و إتّخذ أمثلة كثيرة و متنوّعة حول المنشد و القصيدة المنشدة :

1- إنشاد لقصيدة مطلقة القافية مقيّدة من غير إعتقاد تقييد(تقييد عفوي)

2- أن ينهي المنشد كلّ قافية ب " إنّ " الخفيفة لكي يشعر المستمع بإنقضاء أو نهاية البيت.

---

[1] عبد الحميد مشعل ، " موسيقى الغناء العربي "، ص 16

[2] يسميه أهل الزاوية المامشاوية بـ " الرّيـــح "

-3 إنهاء القافيّة بنقل الحركة من حرف إلى حرف

-4 إنهاء القافيّة بتسكين المتحرّك و تحريك السّاكن

و كل هذا التّفنّن في الإنشاد حتّى لا يتشابه المنشدون في طريقة أدائهم لكن إشعار المستمع بإنتهاء البيت عن طريق الوقف العمدي لا يوافق الشعر العربي القديم المعتمد على وحدة البيت.

و ما هو مهمّ يقول النّاقد في الدّراسة هو جمال القافية الموسيقية و أجمل قافية في الشّعر المنشد هي القافية الموصولة من ناحية الإيقاع و هي مفضّلة على القافية المقيّدة عند الإنشاد و العناصر الّتي تعتمد عليها اللّغة العربيّة تختلف عن جماليّات أيّ تشكيل صوتيّ في أيّة لغة أخرى. و هذه العناصر هي أصوات المدّ و اللّين " الألف و الواو و الياء و هذا ما يجعل بعض الباحثين يفترضون بأنّ خاصّة " النّبر" لا توجد في اللّغة العربيّة إلاّ في هذه الأصوات الثلاثة لأنّ ثمّة تناسباً طردياً بين درجة النّبر و طول الصّائت إذا أخذنا بتفسير النّبر « Stresse »، لكنّ هذه الفرضيّة لا تلغي كون الفاعليّة الجماليّة تتحدّد بأشياء كثيرة منها التّنغيم الّذي يميّز كلّ صوت من هذه الأصوات، و الأحاسيس الحركيّة بالأيدي و الرّأس، و أحيانا بالأرجل ، و الّتي قد تصاحب النّطق بصوت من الأصوات و هناك أيضا القيم الموسيقيّة للحروف الّتي تطبّق على المصوّتات و إستنتج أنّ كلّ هذه العناصر تساهم في خلق التّأليف اللّحني للشّعر و تآلفه؛ و يبيّن الدّور الهامّ الّذي تقوم به الأذن كونها تحكم على صحّة التّأليف و التّآلف أو نشازهما(تنافرها).

و رمز للعناصر الّتي أتى بها بإشارات :

1/ - ترميز النّغمات الثّلاث :

1 النّغمة الهابطة ↙ 2 النّغمة الصاعدة ↖ 3 النّغمة الأفقيّة ←

رموز الوقف :

1 - الوقف القصـــير •

2 - الوقف المتوســـط •

3 - الوقف الطويـــل ●

4 - الوقف الطويل مع إمكان إعادة المقطع الّذي قبله كلّيا أو جزئيّا ⊙

5 – وصل حتميّ بين بيتين متعاليّين فأكثر ضمن المقطع الواحد و بالنّغمة نفسها ←

و ما يبين تأثير الصّوت على السّامع، تواجد الرّسول (ص) لمّا أنشده كعب بن زهير " البردة" لأنها ظفرت منه بأحسن القبول و نالت من الإحترام ما لم تنله قصائد أخرى حتّى قال أبو جعفر الألبري :" حدّثني بعض أشياخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلّا بقصيدة كعب، فقيل له في ذلك ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلـــت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك؟ فقال : نعم ، و أنا أحبها و أحبّ من أحبّها . قال : فعاهدت الله أنّني لا أخلوا من قراءتها كل يوم" [1]

و قصيدة كعب بن زهير لا زالت تنشد في مجالس السّماع في الزّوايا ليومنا هذا و خصوصاً تلك الّتي تسير على نهج الشّاذلي رضي الله عنه. و البردة تحمل عاطفة دينيّة قويّة، تسمو بالمرء إلى روح التّصوّف [2]

و يقع لدى المنشد مد ومط في الحركات أو تقصيرها . يقول الجاحظ في الشّعر مقارنًا إيّـــاه بالشعـــر العجمـــي :" العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعـــار الموزونة، و العجم تمط الألفاظ فتقبض و تبسط حتى تدخل في وزن اللّحن فتضع موزونا على غير موزون"[3]

للمسمّع الحريّة الكاملة في تصور أو إختيار الطّريقة الّتي يتنغّم بها شعره. فيصبغه صبغة خاصة فيكون له إيقاعا خاصا به. و هذا معروف و مألوف لدى الشّاعر العربي عموماً. فنجد الألحان الّتي لحّنها الشّيخ قدّور بن عاشور لقصائده الكثيرة مختلفة عن بعضها البعض كلّياً فلحن " لَمّا رُفِعَ السّتُورْ" غير لحن " وَلِفّي مَرْيَمْ" و تناقلت الألحان من جيل لآخر لكنها لا تدخل فيها الآلات و إنّما إحتفظت بالوزن و نجد قصائد الشيخ إبن يلس، و تلك الّتي نظمها الشيخ الغوث أبي مدين مختلفة تماماً في اللّحن . فكلّ يتميّز بطابع يستقلّ به عن غيره.

هل تختلف ألحان القصائـــد الصّوفيّة عن الألحان العامية المتداولة في الطابع الأندلسي، الحوزي، الشّعبي ، العروبي أم هي تؤدّى بألحان لها صلة بهذه الطّبوع ؟

---

[1] زكي مبارك ، " المدائح النبوية في الأدب العربي " ، ص 23

[2] زكي مبارك ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3] د. صلاح يوسف عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 173

بعد الإستماع المتكرر لبعض النماذج من هذه الألحان " تبيّن لنا أنها لا تختلف كثيرا عن الطّبوع الشعبية المنتشرة في المغرب العربي و ألحانها أقرب من الفنّ الحوزي إلاّ أنّ الإختلاف ناتج عن تقدم إستخدام الآلات الموسيقية فتضاف نغمات لتفادي هذا النّقص.

فيظهر لأول وهلة أنها ألحان بقوانين خاصة بها و الدليل هو تمكّن بعض الملحنين في آدائها مصحوبة بموسيقى شعبية كما أن أداء هذه القصائد يطرء عليه تغيير و تجديد من مسمّع إلى آخر حيث تتدخّل القدرات الصّوتيّة و اللّهجة المحلّية.

و عن قصيدة" طَلَّتْ مِنْ سَرْحَمْ" للشّيخ قدّور بن عاشور هل إحتفظت بلحنها الأصليّ أم فقدته مع مرور الزّمن ؟

و حاولنا أن ندرس فيما يخص الفقرات الصّوتية الموظّفة في لحن الأبيات و طبّقناها على مقطع من قصيدة " لَمَّا رُفِعَ السِّتُورْ " للشّيخ قدّور بن عاشور : تؤدي هذه القصيدة حسب لحن صوتي فقط يختلف نسبيّا على آدائها مرفوقة بالجوق الأندلسي:

1/ لَمَّا رُفِعَ السِّتُورْ — وَ شَاهِدْنَا اللاَّهُوتْ

لَمْ رُفِعَ سْتُو--- رْ — وَ شَهِدْنَ لْلَا هُـ ـُـ تْ

2/ فَاضَتْ عَلَيْنَا بُحُورْ — مِنْ عَيْنِ الْجَبَرُوتْ

فَضَتْ عَلَيْنَا بُحُـ ---رْ — مِـ رْ نْ عَيْنِ لْـ جَـ ـَ بَـ ـَ رُ ـُـ تْ

3/ فَاجْتَمَعَ نُورُ بِنُورْ — تَلَاشَتِ النُّعُوتْ

فَجْتَمَعَ نُورُنْ بِنُـ ـُـ رْ — تَـ ـَ لَشْتِ نْنُعُـ ـُـ تْ

4/ غِبْنَا فِي ذَاتِ الشَّكُورْ — هُوَ حَيُّ لَا يَمُوتْ

غِبْنَ فِـ ذَاتِ شْشَكُـ ـُـ رْ — هُوَ حَيُّنْ لَا يَمُـ ـُـ تْ

5/ هُوَ الَّذِي نَحْنُ — لَا فِرَاقُ بَيْنَنَا

هُوَ لْلَذِ نَحْنُـ ـُـ — لَـ ـَ فِرَاقُنْ بَيْنَنَـ ـَـ

6/ يَـا مَنْ عَشِـقْتَ أُدْنُوْ لَـنَـا تَـرَى الْمَـعْـنَـى (العبارة تكرر)

يَـ مَنْ عَشِقْتَ أُدْنُـ ـــ لَنْ تَرَ لْمَعْنَـ ـــ لَـ ـ نْ تَرَ لْمَعْنَـ ـــ

و بعدها تنشد لازمة :

لَا إِلَاهَ إِلاَّ اللهْ لَا إِلَاهَ إِلاَّ اللهْ لَا إِلَاهَ إِلاَّ اللهْ

لَـ إِلَـ ـ هَ إِلَّا لَلَّـ ـهْ لَـ إِلَـ ـ هَ إِلَّا لَلَّـ ـهْ لَـ إِلَـ ـ هَ إِلَّا لَلَّـ ـهْ

حَبِيـبَ اللهْ مُحَمَّـدْ

حَـ ـبِـ بَ لَلَّـ هْ مُـ ـحَمَّـ ـدْ

حَبِـيـبَ اللهْ نَـبِـيـنَا

حَـ ـبِـ بَ لَلَّـ هْ نَـ ـبِـ ـنَـ ـا

و كذا قصيدة الشيخ الغوث أبومدين شعيب "رَكِبْتُ بَحْرًا مِنَ الدُّمُوعِ":

1/ ركبت بحرا من الدموع

رَ كِبْتُ بَحْرَ نْ مِنَ دْ دُ مُـ ـعْ (يكرر الشطر مرة ثانية)

سَفِينُهُ جِسْمِيَ النَّحِيلْ

سَـ فِـ ي نُـ هُ جِـ سْـ مِـ يَ نْنَحِـ ـلْ

2/ فَمَـزَّقَـتْ رِيحُـهُ قُلُـوعِـي (يكرر هذا الشطر مرة ثانية)

فَـ مَـزَّقَـ تْ رِيحُـ هُ قُـ لُـ ـعِـ ـي

مُـذْ عَصَفَـتْ سَاعَـةُ الـرَّحِيـلْ

مُذْ عَصَفَتْ سَـ ـاعَـ ةُ رَّحِيـ ـلْ

3/ يَا حِيرَةً خَلَّفَتْ عُيُونِي تَجْرِي عَلَى خَدِّكَ الْعُيُونْ

يَـ ـا حِـ يرَتَـ نْ خَلَّفَتْ عُـ يُـ ـنِـ ي

تَجْرِي عَلَـ خَـ دِّ كَ لْـ عُيُـ ـنْ

4/ إِنِّي إِذَا مَا ذَكَرْتُ رَبِّيْ (تكرر عبارة ذكرت ربي) (أثناء العمارة يغير المسمع الإيقاع و كذا اللحن حتى يواكب إيقاع الإهتزاز)

إِ نَّـــي إِذا مَـــ ذَ ـــ كَرْتُ رَبِّي ذَكَرْتُ رَبِّـــ ـــ

يَهْتَزُّ شَوْقِي إِلَى لِقَاهُ (تكرر عبارة إلى لقاه)

يَـــ ـــ هْتَزُّ شَوْقِي إِلَى . لِـــ قَاهُ إِ ـــ لَـــ لِقَ ـــ هُ

5/ طَابَتْ حَيَاتِي وَضَاءَ قَلْبِي (تكرر عبارة و ضاء قلبي)

طَبتْ حَيَـــ ـــتِي •. وَضَـــ ـــءَ قَـــ لْـــبِـــ ـــ •

بِـــذِكْـــرِ رَبِّـــي جَـــلَّ ثَـــنَـــاهُ (تكرار عبارة جلَ ثناه)

بِذِكْـــرِ رَبِّـــي . جَـــ لَّـــ لَـــ ثَنَاهُ. جَلَّ ثَنَاهُ

و لهـــذه الأبيات إيقاع سريع و تقطيع يوحي بالإهتزاز لهذا تنشد من أجل قيام العمارة و أثناءها.

2/ السّماع بالصوت المصحوب بالآلة:

لقد تناولنا السماع المعتمد على الصّوت البشري و حاولنا دراسته و الإلمام بشتّى جوانبه.

أما السّماع بالصّوت و الآلة ، فقد تناوله الغزالي في الإحياء و قد ذكر قصّة الجاريتين اللّتين كانتا تغنّيان في بيت الرّسول (ص) مع السّيدة عائشة مصطحبتين بالمزمار و ما نكّر عليهما صلّى الله عليه و سلّم لأنّهما كانتا تنشدان في أيّام عيد.

و قد أنشد بنات النّجّار فرحـــة بقـــدوم رسول الله صلّى الله عليه و سلّم إلى المدينة بالصّوت و الآلات بالدفّ و الألحان [1]

و يقول الغزالي :" فهذا إظهار السّرور لقدومه صلّى الله عليه و سلّم و هو سرور محمود ، فإظهاره بالشّعر و النّغمات و الرّقص و الحركات أيضا محمود... " [2]

[1] أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 151

[2] أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

نجد بعض الطّرق الصّوفية تصحب سماعها بالآلات الموسيقّية ، مثلا حمداوة بالجزائر يمدحون الرّسول (ص) مستعملين الدّفّ ، بينما عيساوة فيستعملون آلة البندير و آلات أخرى، أمّا قناوة فيتّخذون من الطّنبور و القراقب للنّقـــر (1).

و أجمع أهل العلم أنّ الآلات منقسمة إلى قسمين ، ملاهي ملهيـــة و هـــي الأوتـــار و المزامير وحرّم المزمار العراقي و الأوتار كلّها كالعود و الصّنج و الرّباب و البربط ، روى البخاري من حديث أبي مالك الأشعري: " ليكون في أمتي أقوام يستحلّون الخزّ و الحرير و المعازف " صورته عند البخاري صورة التعليق و لذلك ضعفه إبن حزم ووصله أبو داود و الإسماعيلي، و المعازف الملهية ... و له في حديث أبي أُمامة بإستحلال أقوام للخمور و ضرب الدفوف و كلّهـــا ضعيفـــة، و لأبي الشّيخ من حديث مكحول مرسلا "الإستماع إلى الملاهي معصية."

لم ير الشيخ " إبن ميارة " من صرّح بالخلاف في ذلك من المالكيّة إلاّ من عبّر في كراء المعازف بالكراهة. ومن عبّر في العود و الرّباب بالكراهة كإبن المواّز و إبن عبد الحكم و قد يريدون بالكراهة التّحريم.

ثم يقـــول و الملاهي الملهيّـــة و هي العود و جميع ذوات الأوتار فحرام في الأعراس و غيرها كما في باب الشهادة من ضيع نقلاً عن المازري و نحوه لإبن عرفة و صاحب المدخل و هو المشهور في مذهب الشافعي و أبي حنيفة و أحمد (2)

و قد عالج الغزالي هذا الموضوع بكثير من إعتدال، فيما يخص الآلات الوتريّة عندما قال : " حتى قيل من لم يحرّكه الرّبيع و الأزهار، و العود و أوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج"(3)

و قد عرف الشيخ إبن ميارة الملاهي غير الملهية قائلا:"و هي الآلات الّتي لا أوتار لها "(4)و يصنّف الغزالي الآلات غير الوتريّة ضمن الأصوات الطيّبة الموزونة غير المفهومة . و يرى أنّ القضيب و الطّبل و الدفّ ليست ممنوعة.(5)

---

(1) حسب إعتقاد أهل قناوى مصدر طريقتهم هو سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه و حسب رواية أخرى يرجع أصل هذه الطريقة إلى أحد مريدي سيدي بومدين إسمه بلال الحبشي..

(2) حاشية الإمام الباجوري للشيخ إبن ميارة ، ص 129

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 147

(4) الشيخ إبن ميارة ، المرجع السابق ، ص 130

(5) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 142 بتصرف

3- السماع المعتمد على الآلة :

يقول رئيس الطّريقة المولويّة :" من بين الطرق الموصلة إلى الله، إخترت طريق الموسيقى و الرقص (1)" يستعمل المولويّون آلة النّاي و آلات أخرى متنوّعة من ذات الأوتار و من غيرها و لها أشدّ تأثير من الأشعار المنشدة بالصّوت أو المصاحبة للآلة. و هم لا يستعملون الآلات غير الوترية إلاّ النّاي فله وقع كبير على أنفس المريدين فيثير الوجد فيهم.

يمكن القول بأنّ السّماع الموسيقي يملك مستوى التّأثير في المتلقّي المعتاد أدقّ و أعمق من السّماع المعتمد على الصّوت فقط ، يقول جون ديروين :" « Jean During » في هذا السّياق :" إنّ الآلات لها جوهريّات ضعيفة بالأخصّ آلة السّيطار لكنّها معقّدة و غنيّة جدّا بالنّغمات العليا تكاد لا تسمع و لكنّها محسوسة ، و هذه الجوهريّات لها في حدّ ذاتها قدرة على التّوغّل على الأقلّ في الأذن الباطنيّة قد تفوق الجوهريّات المصفّاة أذن مسلوبة الحيويّة للبيانو أو القيثار ، النّاي .. إلخ " (2).

و السّماع عامة فسحة للتّرويح عن القلب و في ذلك يقول السيوطي: " و ربما يصير المباح عبادة محضة بالنسبة إذا نوى إستجمام النّفس كما قال أبوا الدرداء رضي الله عنه إني لأستجم بشيء من الباطل ليكون ذلك عوناً على الحقّ"(3)

1-5 حكم الشرع في السماع الصوفي :

من خلال ما سنذكره من أدلّة سيتضح حكم الدّين في السّماع , فهذه المسألة قد أثارت جدلاً و خلافاً كبيرين بين الفقهاء (علماء الظّاهر) و الصّوفيّة (علماء الباطن) .

و إستند من قال بإباحته على قول الله عزّ و جلّ : " وَ الَّذِينَ إِجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿17﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿18﴾ " (4)

شرح الإمام القشيري الآية فقال : " الآم في قوله " القول" تقتضي التّعميم و الإستغراق و الدليل عليه أنه مدحهم بإتّباع الأحسن . و قال تعالى : " فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ "(5) و جاء في التّفسير أنّه السّماع " (6) .

(1) Michael RANDOM, op.cit , p 20
(2) // // // , p 174 .

(3) أبو الفضل السيوطي ، " تأييد الحقيقة العلية " ص 91.

(4) سورة الزمر، الآية 17-18

(5) سورة الرّوم، الآية 15

(6) أبو القاسم القشيري المصدر السابق ، ص 326 327

ذكر إبن تيمية في فتاويه " إنّ السّماع الّذي أمر الله به و رسوله ، و إتّفق عليه سلف الأمّة و مشايخ الطّريق : هو" سماع القرآن " فإنّه سماع النّبيّين ، و سماع العارفين و سماع المؤمنين ..." (1) .

و قام السّهروردي بتفسير الآية الكريمة : " وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ " (2) أنّه سماع حقّ لأنّه يستجلب الرّحمة من الله الكريم.(3)

ومن الأحاديث النّبوية الشّريفة الّتي تناولت فضل ترتيل القرآن و الإنصات إليه ، قوله صلّى الله عليه و سلّم : " لَلَّهُ أَشَدُّ أُذُنًا إِلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقِينَةِ لِقِينَتِهِ " (4) .

و قال عليه الصلاة و السلام : " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " (5)

أما سماع الأشعار المنظومة ، فقد ثبت عن الرسول (ص) أنه وضع لشا عره حسّان بن ثابت (ض) منبراً في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله (ص) أو ينافح عنه و يقول عليه أفضل الصّلاة و السّلام : " إن الله يؤيّد حسّان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول لله صلّى الله عليه و سلّم " (6)

و نقل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه أنشد الشّعر بين يديه (7) لكنّ ذلك الّذي يحمل حكماً و مواعظ هادفة ، فالشّعر كلام منظوم و غيره كلام منثور فحسنه حسن و قبيحه قبيح .(8)

و روت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانوا يتناشدون عنده الأشعار و هو يبتسم .(9)

---

(1) إبن تيمية ،" مجموع فتاوى إبن تيمية " ، الجزء 11 ، ص 587 ،

(2) سورة المائدة ، الآية 83

(3) السهر وردي ، المرجع السابق ، ص 173

(4) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 108 (صححه من حديث فضالة بن عبيد)

(5) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 118 (صححه من حديث البراء بن عازب)

(6) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 146 (الحديث عن البخاري تعليقا و أبو داوود الترميدي و الحاكم متصلا من حديث عائشة و قال الترميدي حسن صحيح و قال الحاكم صحيح الإسناد)

(7) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 144 (حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة)

(8) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 144

(9) أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 147 و الحديث رواه الترميدي من حديث جابر بن سمرة و صححه،

نُقِل عن ممشاد الدينوري قال : " رأيت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في المنام ، فقلت يا رسول الله هل تنكر من السّماع شيئا ؟ فقال ما أنكره و لكن قل لهم يفتحون قبله بقراءة القرآن و يختمون بعده بالقرآن ، فقلت يا رسول الله إنهم يؤذوني و ينبسطون ، فقال أحتملهم يا أبا علي هم أصحابك ، فكان ممشاد يفتخر و يقول كناني رسول الله صلّى الله عليه و سلّم " (1)

قام إبن بطّال بشرح حديث الرّسول (ص) : " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً " (2) قائلا : " ما كان في الشّعر و الرّجز ذكرا لله تعالى، و تعظيما له، ووحدانيته،و إيثار طاعته، و الإستسلام له فهو حسن مرغّب فيه.... و ما كان كذبا و فحشا فهو مذموم ... و محصله : أن الحداء بالرّجز و الشّعر لم يزل يفعل في الحضرة النبوية و ربّما إلتمس ذلك و ليس هو إلاّ أشعار توازن بأصوات طيّبة و ألحان موزونة " (3)

قال بعض العلماء:"يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلى بما هيأ الله لهم من الحق".و قال آخر ،"لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سرّه".

ذكر القونوي في شرح التّعرف :" قد حضر السّماع من المتأخرين الشّيخ عزّالدّين بن عبد السّلام و الشّيخ تقيّ الدّين إبن دقيق العيد و غيرهما من العلماء الأعلام أئمّة الإسلام " و ذكر الأسنوي في الطّبقات أنّ الشيخ تاج الدّين إبن الفركاح كان يحبّ السّماع و يحضره و ممّن إستحسنه أيضا القطب القسطلاني " (4)

ذكر أبو القاسم سعد الله عن أحمد الونشريسي أنّ سماع الإنشاد الّذي يحرّك المشاعر السّامية، و الّذي يذكّر الإنسان بأهوال الآخرة و التعلّق بها فلا بأس هو مندوب عند فتور النفس ، و أضاف صاحب الفتوى أنّ السّماع أو الإنشاد لا يحضره من فيه هوى خبث ذلك لأن " السّماع يحرك ما في القلوب من هوى محبوب أو مكروه " (5)

---

(1) السهروردي المرجع السابق ، ص 178

(2) أبو حامد الغزالي، المرجع السابق ص 191 (البخاري من حديث أبي بن كعب ، أنظر الإحياء ج2 – ص 145) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 168

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 46

(4)الحافظ السيوطي المرجع السابق ، ص 91

(5) أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ج1 ص 374.

و بما أن الزّاوية المامشاويّة سائرة على نهج الشّيخ الشّاذلي ، فرأيه رحمه الله مهم ، فهذا أحد الباحثين يؤكّد جواز السّماع خلال القرن الحادي عشر عند الصّوفيّين و إعتبر هذا العلم من العلوم الّتي تجمع بين المعاملة و المكاشفة ، و نقل جوازه عن بعض الزّهّاد و العلماء أمثال أبي مدين و أبي القاسم الجموعي و أبي الحسن الشّاذلي و الشّاطبي .(1)

و في تحريم السّماع، سُئِل إبن الشّبلي البغدادي عنه فقال :" هو على المبتدىء حرام و المنتهي لا يحتاج إليه فقيل له فلمن فقال لقوم متوسّطين أصحاب قلوب" (2)

لقد إستند من قال بتحريمه على قول الله تعالى :" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ"(3)

و فسر الفقهاء لهو الحديث بالغناء. يقول الإمام الغزالي رحمه الله في هذا السياق" أن شراء لهو الحديث بالدّين إستبدالا به ليضلّ به عن سبيل الله فهو حرام مذموم و ليس النّزاع فيه ، و ليس كلّ غناء بدلا عن الدّين مشترى به، و مضلاّ عن سبيل الله ، و هو المراد في الآية، و لو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما... فالإضلال بالشّعر و الغناء أولى بالتّحريم(4).

و إتّخذوا حديث الرّسول (ص) الذي رواه جابر رضي الله عنه حجّة لتحريمه :" كان إبليس أوّل من ناح و أوّل من تغنّى " (5) . و يشرحه صاحب الإحياء قائلا : " فقد جمع (ص) بين النياحة و الغناء، قلنا لا جرم كما إستثنى منه نياحة داود عليه السّلام نياحة المذنبين على خطاياهم ، فكذلك يستثني الغناء الّذي يراد به تحريك السّرور و الحزن و الشوق ، حيث يباح تحريكه" (6).

و إستندوا على جملة من الأحاديث الشريفة لكنّهم عمّموا التّحريم و لم يستثنوا ما في الغناء من مواعظ و حكم.

ذكر محي الدين بن عربي رأي الصّوفي أبو يزيد البسطامي في السّماع أنّه قال بكراهته. و بوافقه الرّأي إبن جريج الّذي تمنّى أن يخرج منه رأساً برأس لا عليه و لا له .(7)

(1) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي - ج1 ص 374.

(2) إبن عربي الفتوحات المكية - ج1 ص 368

(3) سورة لقمان الآية 6

(4) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 164

(5) و (6) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 165

(7) إبن عربي المرجع السابق ، ص 368

و جاء في الرّسالة القشيريّة " قيل أنّ بعضهم رأى النّبي صلّى الله عليه و سلّم في المنام فقال الغلط في هذا أكثر يعني به السّماع"(1)

و يقول إبن تيمية في السّماع الصّوفي :" فأمّا سماع القاصدين لصلاح القلوب في الإجتماع على ذلك : إمّا نشيد مجرّد، نظير الغيار و إمّا بالتصفيق، و نحو ذلك. فهو السّماع المحدث في الإسلام، فإنّه أُحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الّذين أثنى عليهم النبيّ — صلّى الله عليه و سلّم — حيث قال :" خَيْرُ ٱلْقُرُونِ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ ، ثُمَّ الَّذِي يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِي يَلُونَهُمْ " و قد كرهه أعيان الأمّة و لم يحضره أكابر المشايخ " (2)

و نستخلص من قوله أن السماع بدعة مستحدثة مذمومة. و قد تناول باباً كاملاً مبيّناً الأدلّة في كراهيّة السّماع بما فيه من آثار تضرّ النّفس. و يرى أنّه باطل ليس له أصل لا في الكتاب و لا في السّنّة.

و جاء عبد الحكيم مرتاض في رسالته حول الطرق الصوفية في الجزائر عن إبن عبّاد قال :" و ليس في الشاذلية حضرة و لا سماع، و إنّ الشّاذلي همّ يوماً أن يرخص بهما لأحد الفقراء ، فرأى في المنام شيخه إبن مشيش يعاتبه قائلا : " تعدلون عن العلوم الزّكيّة إلى علوم ذوي الأهواء الرّديّة، فمن أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه، و أسير لشهوته و مناه. يستفزون بها قلوب ذوي الغفلة و النّسيان، و أهل الضّلالة و العميان... يتمايلون عند سماعها تمايل الصّبيان... فعليك بكتاب الله الهادي، و بكلام رسول الله الشّافي .. و أهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه "(3)

ثم ذكر أن الشّيخ إبن مشيش سئل عن السّماع، فتلا قوله تعالى: " إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ " (4) فالشّاذلية لا تكتفي بالإعراض عن الحضرة و السّماع، بل تحذّر من ممارستها، و تنفر منهما و تصوّر أصحابها في أبشع الصّور و تصنّفهم مع ذوي الضّلالات .و علّق عبد الحكيم مرتاض على موقف الشاذلي من الحضرة و السّماع قائلا :" يجيز لنا أن نضع علامة إستفهام كبرى على أكثر الطّرق الّتي تصف نفسها

(1) أبو القاسم القشيري ،المرجع السابق ، ص 341

(2) إبن تيمية المرجع السابق ، ص 591

(3) عبد الحكيم مرتاض ، المرجع السابق ، ص 157 (عن المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لإبن عباد ، غ .10)

(4) سورة الصافات، من الآية 69 إلى 70

بالشّاذلية و هي تمارسها مع ذلك" (1)

و حسب رأينا فإن قول إبن عبّاد يستحق المناقشة إذ لا يتصوّر أن يخالف مشايخ الزّاوية الشاذلية نهج مؤسس الطّريقة التي ينتمون إليها بإختراع طقوسات ممارسة في كلّ الزّاوية الشّاذلية !

أمّا قول الشّيخ إبن مشيش إن كان صحيحاً فمرجعه إلى أنّ الشيخ لم تكن له زاوية و مريدون لمّا نعلم بأنّ المريد الوحيد له هو الشّيخ الشّاذلي و إذا لم يكن شيخاً مربّياً بالمعنى المعروف.

و بمجمل قوله أن الطّريقة الشّاذلية لم تتّبع البدع و إنّما مع مرور الزّمن أضيفت إليها بعض المعتقدات و الحكايات ممّا رفع من شأن شيخها و منهجه، غير أنّ إبن مشيش وضّح حقيقة الصّحبة في قوله :" إصحبوني ، و لا أمنعكم أن تصحبوا غيري، فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا " (2)

لكنّنا إذا تفحصنا أشعار الشيخ الشاذلي نجد قصيدة يصف فيها الأولياء الصالحين و يذكر أحوالهم :

وَ مِنَّا مَنْ يَهِيمُ عَلَى سَمَاعٍ بِبَنْدَرِ وَ عُودٍ وَ نَقْرٍ طَرَا (3)

يقول الإمام الغزالي في حكم السّماع :" السّماع قد يكون حراما محضا، و قد يكون مباحاً و قد يكون مكروهاً ، و قد يكون مستحبّاً، أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشّبّان، و من غلبت عليهم شهوة الدنيا، فلا يحرّك السّماع منهم إلاّ ما هو الغالب على قلوبهم من الصّفات المذمومة " (4)

و يوافقه الرّأي الشّيخ المنوفي في ذلك : " فمن سمعه بنفس مشحونة بالهوى فهو حرام ... و الغناء مادعا إلى الهوى و شوق إلى اللّهو فهو سمعه بنية هذه المعاني وذلك القصد فالسّماع عليه حرام قطعاً " (5)

---

(1) و (2) عبد الحكيم مرتاض ، المرجع السابق ، ص 157

(3) قصيدة موجودة في مخطوط بالزاوية الماشاوية

(4) أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 194

(5) محمود المنوفي المرجع السابق ، ص 346

فالسّماع لا يدخل شيئاً في القلوب و إنّما يثير ما هو كائن فيها و هذا ما أكّده الجنيد:" السّماع لا يحدث في القلوب شيئا، و إنما هو مهيج ما فيها فتراهم يهيجون من وجدهم، و ينطقون من حيث قصدهم ، و يتواجدون من حيث كامنات سرائرهم لا من حيث قول الشاعر، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم سبق الى ما يتخيله الذهن"(1) وشاطره الرأي السفاريني صاحب غذاء الألباب و صوفية آخرون.

و أمّا المباح يشرح الغزالي :" فهو لمن لاحظّ له منه إلاّ التّلذّذ بالصّوت الحسن "(2) و يرى المنوفي أنه يكون مباحاً إذا كان من سمعه بقلب مع مشاهدة معان إلاهيّة ترفع الرّوح و تبعث على التسامي و الرفعة و ترشده إلى مسالك الحقّ . و هذا لا يصحّ إلاّ لأهل الله (3).

يقول أبو علي الدقاق في هذا الشأن : " السّماع مباح للزّهّاد لحصول مجاهداتهم " (4) و أمّا المكروه حسب الغزالي :" فهو لمن لا يتزله على صورة المخلوقين، و لكنّه يتّخذه عادة له في أكثر على سبيل اللّهو (5) و يروى أن ممشاد الدّينوري رحمه الله مرّ بقوم فيهم قوّال، فلمّا رأوه أمسكوه، فقال :" أرجعوا إلى ما كنتم فيه، فو الله لو جمعت ملا هي الدّنيا في أذني ما شغل همّي و لا شفى بعض ما بي أمّا المستحب فهو لمن غلب عليه حبّ الله تعالى و لم يحرّك السّماع منه إلاّ الصّفات المحمودة.(6)

يرى الفقيه خليل النّحلاوي الدّمشقي في مسألة السّماع إنّه بمعزل عن هذا الخلاف و مرتفع عن درجة الإباحة إلى المستحبّ كما صرّح به غير واحدٍ من المحقّقين " (7)

و يرجع الشيخ المنوفي حكم السّماع إلى نيّة السّماع و غرضه منه رفعة و إنحطاطاً. و أنّه قد أحيل عن وجهته السّامية لأنه قد دخل فيه غير أهله فعدلوا به عن قصده الشّريف. و يرى أنّه من الكمال أو الأصحّ تركه إلاّ مع قوم صالحين .(8)

---

(1) عبد القادر عيسى،المرجع السابق ، ص 171

(2) أبو حامد الغزالي،المرجع السابق ، ص 194

(3) المنوفي،المرجع السابق ، ص 346

(4) أبو حامد الغزالي،المرجع السابق ، ص 194

(5) عبد القاهر السهر وردي،المرجع السابق ، ص 194 .

(6) أبو حامد الغزالي،المرجع السابق و الصفحة نفسها

(7) عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 168

(8) المنوفي،المرجع السابق ، ص 346

1-6 شروط ممارسة السماع الصوفي :

نتسائل عن كيفية إختيار المسمّع (القوّال أو المدّاح) في الزّاوية الصّوفيّة ؟ و عن المقاييس المعتمد عليها. فهل هي نفسها الّتي يتمّ بها ممارسة السّماع العامي أم هناك مقاييس أخرى؟ من المؤكّد أنّ الرّغبة في هذه الممارسة هي أوّل شرط لأنّ التّكلّف يورث الملل و الفشل، و هذه الرغبة تظهر من خلال الظروف.

و مع الرغبة لا بد للمسّمع أن يملك الصّوت الجميل القويّ الّذي يستطيع من خلاله أن يصل السّماع إلى كلّ مستمع حاضر و يؤثّر فيه و يجب أن يكون له طول النّفس.

يقول الدّكتور صلاح يوسف عبد القادر عندما درس الصّوت في الإنشاد و مدى تأثيره على موضوع القصيدة : " و ثمّة حقيقة ، لا يمكن إخفائها في الإنشاد الشّعري هي تباين طبقة الصّوت من منشد إلى آخر، فمن منشد دقيق قوي ، إلى آخر يتميّز بصوت أجشّ إلى ثالث يتميّز بصوت هادئ ، و غيره يتميّز بصوتٍ جهوريّ ، و يبدوا أنّ ثمّة ما ينبغي أن يأخذ بعين الإعتبار، هو العلاقة بين موضوع النّص الشّعري و طبيعة صوت المنشد فالأغراض الشّعرية الّتي تتّسم بطابع القوّة لا تتناسب و الصّوت الهادىء أو الصّوت الأجشّ كذلك الأغراض الذاتية فإنها لا تنسجم و الصوت الجهوري أو الصوت الدقيق القوي " (1)

إن المقياس الأساسي فهو الإذن في ممارسة فن السماع فالمسمع المأذون يقبل من طرف المريدين و تكون له نورانية من عند الشّيخ تجعله يطور شيئاً فشيئاً قدراته و ملكاته في أداء السّماع.(2) و كذا يشترط في المسمع الإعتقاد في طريق القوم و أن يتذوق أسرار الشعر الذي ينشده (3) و يجب أن يكون صاحب صوت جميل كحادي العيس و صاحب وجدٍ و حال لكي يؤثّر في الحاضرين (4) و أن يكون عارفاً (5) و مخلصاً في الطريق و النّيّة (6).

---

(1) صلاح يوسف عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 178

(2)تصريح الفقير السيد الحاج بحيي

(3) تصريح الفقير السيد حكمت صاري علي

(4) تصريح الفقير السيد نور بن حليمة

(5) تصريح الفقير السيد مقدم الزاوية قدور السبيع

(6) تصريح الفقير السيد غوتي بن قلفاط (مسمّع الزاوية الدماشاوية).

و عن تاريخ المسمّعين في الزّاوية المامشاويّة ، فأوّل مسمّع من الجيل الجديد كان إبتداءاً من سنة **1970**م ، المرحوم السّيّد عبد الله الزقّيري الّذي كان يعمل في سلك التّعليم و كانت تتوفّر فيه جلّ الشّروط المطلوبة. و بفضله تعلّم عدد كبير من المسمّعين في هذه الزّاوية منهم من بقي يمارس السّماع و منهم من إنسحب كلّيّاً و منهم من لا يزال من حين إلى حين يؤدّي بعض القصائد بالخصوص في حال غياب المسمّع الرّسمي و هو السّيّد الغوثي بن قلفاط حفيد الشّيخ بن عودة بن مامشا من إحدى بناته. و الأكيد أنّ هذا المسمّع يحضى بالقبول الكبير لدى الفقراء. و يروى أن الشّيخ بن عودة رأى رؤيا منامية حوله عندما كان لا يزال طفلاً صغيراً ، بأنّه شرب الحليب من ثدي جده رحمه الله فلعلّ الرؤيا تدلّ على أنه أخذ سرّ السماع من جدّه الشّيخ بن عودة بن مامشا.فتحقّقت الرّؤيا و هو لا يزال في سنّ مبكّر.

أمّا المسمّع الثّاني، و قد وضع في الرّتبة الثّانية لأنّه يقطن بندرومة و لا يأتي للزّاوية سوى لإحياء اللّيالي الرّسميّة مثل ليلة القدر المباركة و ليلة المولد النّبوي الشّريف، و هو السّيّد عبد الكريم غفّور أخ الشيخ الحاج محمد غفور المطرب و الأستاذ المشهور في " الملحون" و هذا المسمّع يحضى بصوت قويّ و رخيم و بعض قصائد الشّيخ قدّور بن عاشور يؤدّيها بكيفية لا مثيل لها و كأنّها وُضعت خصّيصا تأليفاً و لحناً لصوته مثل قصيدة " فَاضَتْ عَلَيْنَا بُحُوْرٌ" من المسمّعين الّذين يتدخّلون ظرفيّا و يؤدّون السّماع الشّيخ سيد أحمد المامشاوي و السّيّد " عبد الغني بن ددّوش" و السيد " مصطفى بن خرّاز" و غيرهم . و برز في السنوات الأخيرة السّيّد " قورصو" الّذي مارس طويلاً فنّ الموسيقى الأندلسية و المنظم لإحدى الجمعيّات المخصّصة له في تلمسان إلاّ أنّ أداءه متأثّر بتقنيّات و إيقاعات الطّرب الأندلسي فيدخل أثناء السّماع توشيحات زائدة تعدّ جميلة بالنّسبة للفنّ المذكور و غير مقبولة بالنّسبة لفن السّماع الصّوفي.

و يتذكّر الفقراء القدامى مسمّعين آخرين أغلبيتهم إنتقلوا إلى رحمة الله كانوا يأتون من مدينة ندرومة و لهم الباع الطّويل في السّماع نذكر منهم السّيّد " شَرَّاكْ" صاحب

الصّوت القويّ الّذي لا يضاهيه صوت والشيخ " أحمد بن عاشور" إبن عمّ الشّيخ قدّور بن عاشور صاحب الصّوت الرّحيم، و لا ننسى أن نتذكر في هذا المقام السيد " أحمد البوعناني" إبن فقير في الـــزّاوية المامشـــاوّية و هو الحاج " الموفق البوعناني" أحد المحبّين للشّيخ بن عودة بن مامشا البارزين.

و لا شكّ أنّ الزّوايا التّابعة للزّاوية الأمّ في كلّ من الجزائر العاصمة و ندرومة لها مسمعوها أصحاب الأصوات الحسنة و الجميلة نذكر من بينهم إبن الحاج غفّور عميد الملحون.و الأكيد الّذي شاهدناه هو أنّ أصحاب هذه الأصوات يمتلكون ما يسمّى عند الفقراء بـ" السِّرّ " و السِّرُّ في إعتقادهم يجعل القبول و في مسمع الحاضرين و يترك في نفوسهم الأثر العميق الّذي يجعل البعض منهم يتحرّكون أو يتواجدون أو يصل بهم إلى الصّرخة " الصّعقة "

7-1 أنواع السّامعين :(Les auditeurs)

ذكر الإمام القشيري عن بندار بن الحسين في أنواع السّماع حسب أحوال السّامعين :" السّماع على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطّبع و منهم من يسمع بالحال ، و منهم من يسمع بالحقّ." (1)

و يشرح كلّ نوع قائلا :" فالّذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاصّ و العامّ فإنّ جبلّة البشريّة إستلذاذ الصّوت الطّيّب و الّذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تأسّف على فائت أو تعطش إلى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد أو ذكر قلق أو إشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو حذر إنفصال أو ما جرى مجراه.

و أمّا من يسمع بحقّ فيسمع بالله تعالى و لله و لا يتّصف بهذه الأحوال الّتي هي ممزوجة بالحظوظ البشريّة فإنّها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التّوحيد بحقّ لا بحظّ " (2)

---

(1) أبو القاسم القشيري،المرجع السابق ، ص 335 .

(2) أبو القاسم القشيري،المرجع السابق ، ص 341

وضّح الأستاذ أبو علي الدّقّاق مصطلحات خاصّة بالسّماع قائلا:

" يقول النّاس في السّماع ثلاثة : متسمع و مستمع و سامع فالمتسمع يسمع بوقت و المستمع يسمع بحال و السامع يسمع بالحق " (1)

جاء في العوارف ، أنّ أبا نصر السّرّاج قال :" أهل السّماع على ثلاث طبقات، فقوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق لهم فيما يسمعون، و قوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم و مقامهم و أوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم و مطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك ، و قوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق و لم تتلوث قلوبهم بمحبّة الدنيا و الجمع و المنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم و يليق بهم السّماع فهم أقرب النّاس إلى السّلامة و أسلمهم من الفتنة . و كل قلب ملوّث يحب الدّنيا فسماعه سماع طبع و تكلف " (2)

و يوافقهم الرأي الشّيخ عزّ الدّين بن عبد السّلام كما ذكره السّيوطي في تأييد الحقيقة العليّة" و إتّفق جلّ الصّوفيّة على أنّ السّامع درجات لأنه يختلف فهم السّماع حسب إختلاف أحواله. قدّم الغزالي في " الإحياء" في باب السماع و الوجد أن المستمع أربعة أحوال:

الحال الأول :

أنه يكون سماع بمجرّد الطّبع، أي لاحظّ له في السّماع إلاّ إستلذاذ الألحان و النّغمات و حكمه الإباحة .و هو أخسّ رتب السّماع،إذ إلاّ الإبل شريكة له فيه و كذا سائر البهائم ، بل لا يستدعي هذا الذّوق إلاّ الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيّبة.

الحال الثاني:

أن يسمع السّامع بفهم و لكن يقوم بإنزال المعاني على صورة مخلوق إمّا معينا أو غير معين. و هذا يتّصف به الشّاب و أرباب الشّهوات ، فيتزلون المسموع على حسب ما تشتهيه أنفسهم و تقتضيه أحوالهم.و هذه الحالة أخسّ من أن نتكلم فيها إلاّ ببيان خسّتها و النّهي عنها.

---

(1) و (2) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 184

الحال الثالث :

أن يترل ما يستمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى، و تقلب أحواله في التّمكّن مرّة و التّعذّر أخرى، و هذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين.

يقول أبو عثمان الحيري أنّ " السّماع بالنّسبة للمريدين و المبتدئين لإستدعاء الشريعة و أنهم يخشى عليهم في ذلك الفتنة و المراآة "(1)

و يكون للمريد مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، و ليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه، بل لكل كلام وجوه، و لكل ذي فهم في إقتباس المعنى منه خطوط ، و الأضرب لهذا التنزيلات و الفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم و الخدّ و الصّدغ إنمّا يفهم منها ظواهرها (2)

فنستنتج أنّ السّامع أصناف ثلاثة، فالصّنف الأول يمثّل الفقير الصّوفي المتعوّد على الإستماع للقصائد الصّوفيّة و تكوّنت له مع التكرار و المداولة نوع من الفهم يجعله يدرك المعاني الرّمزية و لا تؤثر فيه التّشبيهات الغزليّة و إنّما يفهمها بفهم صحيح.

و الصّنف الثاني يمثّل الإنسان العامّي أي غير الصّوفي الّذي يسمع لأوّل وهلة أو من حين إلى آخر هذه الأناشيد الصّوفية و حتّى و إن كان لا يفهم معانيها لا يصدر حكماً تعسّفيّا عليها من خلال ظاهرها، و يسلّم الأمر إلى أهله و يعترف بعجزه و جهله لبعض الأمور، فالمرء يدرك أشياءاً و تغيب عنه أشياء يقول الله تعالى :" وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً " (3)

و الثّالث يمثّل الصّنف المنكّر على محتوى هذه القصائد الصّوفيّة خصوصاً منها شعر الغزل الصّوفي و التعبير بضمير "أنا" و مواضيع أخرى كوحدة الوجود و الإتّحاد و الحلول ، كفراً و شركاً بالله و زندقة و نرجسيّة .

و من المنكّرين من ينكر على الصّوفية بقلبه و لا يبين رأيه عياناً و منهم من يصرّح بإنكاره باللّسان فينقدهم نقداً لاذعاً و يعبّر عن إستنكاره و ربّما آذاهم بأقواله.

---

(1) أبو القاسم القشيري، المرجع السابق، ص 334

(2) أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 169 – 170 ، بتصرف

(3)سورة الإسراء الآية 85.

1-8 آدابه:

للسّمـــاع الصّـــوفي آداب يجب مراعاتـــها ، يـــرى الإمام الغزالي أنّ السّماع يقتضي خمسة آداب.

فـــالأدب الأول: مراعاة الزّمان و المكان و الإخوان .

و الأدب الثـــاني: مراعاة راحة السّماع.

و الأدب الثالث: حسن الإصغاء.

و الأدب الرابع : رفع الصّوت و البكاء.

و الأدب الخامس: الوجد الصّادق.

يقول إمام الطّائفتين الجنيد رضي الله عنه في الأدب الأول :" السّماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء و إلّا فلا تسمع، الزّمان ، و المكان، و الإخوان "(1)؛ فلا يجب الإشتغال بأشياء أخرى كالأكل أو الخصام أو الصّلاة. أي أن يفرغ السّامع قلبه للسّماع و حسب. و يجب أن يكون المكان الّذي تقام فيه مجالس السّماع الصّوفي طاهرة و ليـــس فيها ممّا يشغل القلب و يلهيه.

و أمّا الإخوان فيشرط أن تتوفّر فيهم شروط الزّهد و التّواضع و الإستقامة و غير ذلك من الأخلاق الحسنة. فإن لم يراع شروط الزّمان و المكان و الإخوان ، يجب ترك السّماع.أمّا الأدب الثاني ، يجب تأكّد الشّيخ من حقيقة مريديه و خصوصاً ذلك الّذي يستضرّ بالسّماع أو يفهم ظاهر الأمور – لا يفهم تأويل شطحات الصّوفيّة – فيؤدّي به الكفر لتحسيد أمور لم يدركها.

و عن الأدب الثّالث، يجب على المريد أن يسمع بقلبه و لا يأبه بما يحدث لإخوانه و ألاّ يشغلهم بدوره عن السّماع و ألاّ يتصنّع و يتجنّب المراآة، فإن غلبه الوجد و الغبطة تحرّك بغير إختيار فهو غير ملوم و إذا إنتهى وجده فليسكن و يهدأ و لا يبالي بمن تواصل وجده من إخوانه أو بما يقال عنه.

(1) أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 193

يروى أنّ شاباً كان يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئاً من الذّكر يزعق، فقال له الجنيد يوما:" إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني ، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء و لا يزعق". (1)

يقول الغزالي عمّن لا يتحرّك عند السّماع "ربّ ساكن أتمّ وجداً من المضطرب، إذا يعرف هذا بقوة الحال و الواردات لا تغيره و إن كانت قويّة " (2)

و الأدب الرابع ، إذا تمكّن المريد من ضبط نفسه فلا يحقّ له القيام و رفع الصّوت بالبكاء لكن يباح له الرّقص و التّباكي متجنّبا المراآة.فيحزن بتباكيه على عدم إدراك أمور أخرويّة و يسرّ برقصه و ينشط .

و الأدب الخامس يتمثّل في موافقته القوم في القيام بالرّقص إذا كان من أعلن العمارة ذو وجد صادق. و لا يخالف إخوانه في شيء فإذا خلعوا عمائمهم خلع أو مزّقوا ثيابهم مزّق " فالمخالفة موحشة و لكلّ قوم رسم " (3) و إذا كان ثقيل الحركة في رقصه و أزعج إخوانه فلا يقوم معهم. أمّا الإمام الغزالي فيوافق رأي الإمام القشيري الّذي ذكر أيضا آداب السّماع، و يرى أن المريد إذا غلبه الوجد بقوّة فيعذر و إذا زال عنه توقّف ...

و يسنّ الهجويري قوانين خاصّة بالسّماع فيقول :" على أنه لا يجب التّكلّف له و لا يجوز ممارسته بصفة عادية بل يجب أن تكون هذه الممارسة نادرة حتّى لا يفقد السّماع مراعاته بالإحترام "

و يرى أن حضور الشيخ أثناء السّماع ضروري و يشترط خلق المكان من عوامّ النّاس و أن يكون المسمّع شخصاً محترماً و قلبه فارغ من كلّ ما يشغله و ألاّ يميل السّامعون إلى اللّهو و التّرف و أن يجتنبوا كل تكليف و تصنّع.

إذا وصل السّماع إلى ذروته و كماله فلا يجوز إيقافه بل مسايرته كما يستحقّ ذلك. فإذا وجبت الحركة فالحركة و إذا وجب السّكوت و الهدوء فيجب فعل ذلك.

و يقول الإمام السهرودي :" يجبُ التّمييز بين الدّافع الطّبيعي القويّ و حرارة الوجد. و عليه فلا يجوز السّماع للمبتدئين بالحضور للسّماع (4).

---

(1)و (2) أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 191

(3)أبو حامد الغزالي المرجع السابق ، ص 191

(4)السهر وردي المرجع السابق ، ص 172.

و قد أحصى السهروردي في العوارف الشروط التي يجب على السامع إحترامها قائلا : " على السامع إخلاص النية لله تعالى و ألا يعتمد الحضور في مجمع السماع و يتوقع به مزيدا في إراداته و طلبه لله تعالى و أن يحذر من سماعه بنفسه و أن يستخير ربه للحضور فيه و يسأله البركة. و في حضوره عليه أن يلزم الصدق و الوقار بسكينة و يتجنب الحركة بحضرة الشيخ. فعلى هذا المتكلف أن يتق الله و لا يتحرك إلا إذا صارت حركته حركة المرتعش الذي لا يتمكن من الإمساك أو كالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة ، و تكون حركته بمثابة النفس الذي يدعوه إليه داعية الطبع قهرا.(1)

1-9 وظيفـــة السمـــــاع :

أ – الوجـــد و التواجد و الوجود :

مفهومه إصطلاحا :

" وَجَدَ بِهِ وَجْدًا : فِي ٱلْحُبِّ فَقطْ ، وَ كَذَا فِي ٱلْحُزْنِ، لَكِنْ بِكَسْرِ مَاضِيهِ " (2)

" يقول الإمام الغزالي في الوجود : " و كلّ ما يوجد عقيب السّماع بسبب السّماع في النّفس فهو وجد، فالطّمأنينة و الإقشعرار و الخشية و لين القلب ، كلّ ذلك وجد " (3)

أصله من الكتاب الحكيم :

يقول تعالى :" و ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندعو من دونه إلاها لقد قلنا إذا شططا " (4)

جاء في صفوة التّفاسير أن الله تعالى يعني بقوله هذا قوّينا عزمهم و ألهمناهم الصّبر حتّى أصبحت قلوبهم ثابتة راسخة، مطمئنّة إلى الحقّ معتزة بالإيمان، فقاموا بين يدي الملك الكافر الجبار دقيانوس و لم يبالوا به معلنين إيمانهم بالله وحده لا شريك له و أنّهم إن زلّوا عن الصّواب فقد ظلموا أنفسهم .(5)

---

(1) السهر وردي المرجع السابق ، ص 172

(2) الفيروزبادي المرجع السابق ، ص 476

(3) أبو حامد الغزالي،"إحياء علوم الدين ج2 "، (أنظر باب السماع و الوجد) ، ص 185.

(4) سورة الكهف، الآية 14

(5) محمد علي الصابوني ، " صفوة التفاسير ج2 " ، ص 290.

و قال تعالى :" وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ " (1)

ووجه حسبانهم أنّها جامدة أنّ الأجسام الكبار إذا تحرّكت حركة سريعة على نهج واحد ظنّ النّاظر إليها أنّها واقفة مع أنّها تمرّ مرّاً سريعاً و ذالك من صنع الله البديع الّذي أحكم كلّ شيء خلقه . و أودع فيه من الحكمة ما أودع " (2)

و قال جلّ و علا :" لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "(3)

يقول في شرحها :" أي لو خلقنا في الجبل عقلاً و تمييزاً كما خلقنا الإنسان، و أنزلنا عليه هذا القرآن، بوعده ووعيده، خشع و خضع و تشقق، خوفا من الله تعالى، و مهابة له و هذا تصوير لعظمة قدرة القرآن ، و قوة تأثيره ، و أنه بحيث لو خوطب به جبل- على شدته و صلابته لرأيه ذليلا متصدعا من خشية الله "

ثم يقول مبينا الهدف الذي أنزلت من أجله هذه الآية :" و المراد فيه توبيخ الإنسان بأنه لا يتخشع عند تلاوة القرآن ، بل يعرض عما فيه من عجائب و عظائم.

و الغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، و عدم تأثره بهذا الذي لو أنزل على جبل لتخشّع و تصدّع، و إذا كان الجبل على عظمته و تصلبه يعرض له الخشوع و التّصدّع، فإبن آدم كان أولى بذلك ، لكنه على حقارته و ضعفه لا يتأثر " (4)

يقول تبارك و تعالى :" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ" (5)

و يقصد بقوله تعالى ، أصغى إلى الموعظة و هو حاضر القلب ليتذكر و يعتبر، قيل من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ " (6)

و جاء في الذكر الله الحكيم :" وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ "(7)

(1) سورة النمل ، الآية 88

(2) محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، ص 266

(3) سورة الحشر ، الآية 21

(4) محمد علي الصابوني المرجع السابق ، ص 558

(5) سورة ق، الآية 37

(6) محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، ص 384

(7) سورة المائدة ، الآية 83

فبتأثرهم بكلام الله الجليل تخشع قلوبهم للرّحمان و ترقّ، فتنهمر الدّموع من العين.
يقول سبحانه و تعالى :" تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (1)

أصلـــــه مـــن السنـــــة :

روى الصّحابة الكرام عن الرّسول (ص) بأنّه كان يصلّي و لصدره أزيز كأزيز المرجل (2)

و ذكر الإمام الغزالي في الإحياء عن وجد الرّسول (ص) في القرآن. "و كان عليه الصّلاة و السّلام إذا مرّ بآية رحمة دعا و إستبشر. و الإستبشار وجد" (3)

و في رواية أنّه عليه السّلام قرأ أو قُرِىء عنده الآية القرآنية :" إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَ جَحِيمًا وَ طَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَاباً أَلِيمًا " (4) فصعق.

و هناك فضيلة سألها النبي صلى الله عليه و سلم فقال :"اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ " (5) يقول السهروردي أن البكاء في الله، فيكون لله و يكون بالله هو الأتمّ لعوده إليه بوجود مستأنف موهوب له من الكريم المنّان في مقام البقاء.

و جاء في وجد الرّسول (ص) لغير القرآن الكريم. ما رواه السّهروردي في عوارفه:" وقد روي عن كعب بن زهير أنّه دخل على الرسول صلى الله عليه و سلم المسجد و أنشده أبياته الّتي أوّلها: بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ .....

حتّى إنتهى إلى قوله فيها:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فقال له رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : " من أنت؟ فقال : أشهد أن لا إلاه إلا الله و أشهد أن محمّدا رسول الله. أنا كعب بن زهير (6) فرمى رسول الله صلى الله عليه و سلم بردة كانت عليه، فلمّا كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير :

---

(1) سورة الزمر الآية 23.

(2) حديث رواه أبو داوود والنسائي و الترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير (عن إحياء علوم الدين ج-2 لأبي حامد الغزالي ، ص 186) ،

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 186

(4) سورةالمزمل ، الآية 12-13

(5) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق الصفحة نفسها

(6) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 198

بعنا بردة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بعشرة آلاف، فوجّه إليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أحدا. فلمّا مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً و أخذ البردة و هي البردة الباقية عند الإمام النّاصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيّامه الزاهرة" (1)

و هذا لدليل على إهتزاز النّبي (ص) عند سماع الشّعر، و ذكر حادثة أخرى في تاريخ الإسلام قال :" عن أنس قال : كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه و سلّم إذ نزل عليه جبريل عليه السلّام فقال : يا رسول الله إنّ فقراء أمّتك يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم و هو خمسمائة عام، ففرح رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فقال : هل فيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله فقال هات فأنشد الأعرابي:

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَبِدِي فَلاَ طَبِيـــــبَ لَـــهَا وَ لاَ رَاقِي

إِلاَّ الْحَبِيبُ الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ فَعِنْـــدَهُ رُقْيَتِـــــي وَ تِـــرْيَاقِي

فتواجد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و تواجد الأصحاب معه حتّى سقط رداءه عن منكبه ، فلمّا فرغوا أوى كلّ واحد منهم إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان ما أحسن لعبكم يا رسول الله(ص) فقال مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب " ثم قسّم رداءه رسول الله صلى الله عليه و سلم على من حاضرهم بأربعمائة قطعة " (2)

و قد أخذ الصوفية هذه الحادثة كأحسن حجّة في سماعهم و تمزيقهم الخرق و قسمتها. و هو حديث صحيح، و صرّح السهروردي أنه لم يجد أحاديث أخرى نقلت عن النبي (ص) يخصّ الوجد و السّماع و الإجتماع إلاّ هذا.

و جاء في الإحياء أنّه حكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق و كان من أهل العلم أنّه قال :" كنت معتكفا في جامع جدة على البحر ، فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا و يستمعون ، فأنكرت ذلك بقلبي ، و قلت في بيت من بيوت الله، يقولون الشّعر : قال فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلم تلك الليلة و هو جالس في تلك الناحية، و إلى جنبه أبو

---

(1) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 198

(2) السهر وردي ، المرجع السابق ، ص 204 - 205

بكر الصديق رضي الله عنه ، و إذا أبو بكر يقول شيئاً من القول و النبي صلى الله عليه و سلم يستمع إليه و يضع يده على صدره كالواجد بذلك. فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون و هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع و أبو بكر يقول، فإلتفت إلى الرسول (ص) و قال :" هذا حقّ بحقّ أو قال حقّ من حقّ أنا أشك فيه " (1)

و نقل من وجد الصّحابة عند القرآن الكثير و كذا التّابعين، و منهم من مات في غشيته " (2)

و يذكر أمثلة عن ذلك فيقول :" و من ذلك أن عمر بن الخطّاب (ض) سمع رجلاً يقرأ " إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ " (3)

فصاح صيحة و خرّ مغشيّاً عليه ، فحمل إلى بيته فلم يزل مريضاً في بيته شهرا" (4)

و روي أن زرارة بن أبي أوفى ، و كان من التابعين، كان يؤم النّاس بالرّقّة ، فقراء " فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ " (5) فصعق و مات في محرابه رحمه الله (6).

فذكر الإمام القشيري في رسالته :" سمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول :" كان شابّ يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذّكر يزعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان إذا سمع شيئا يتغيّر و يضبط نفسه حتّى كان يقطر كلّ شعرة من بدنه فيوما من الأيام صاح تلفت نفسه ".(7)

قال خير النساج :" قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة فزعق واحدة منهم فإنتهره موسى فأوحى الله تعالى إليه يا موسى بطيبي فاحوا و بحبّي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكّر على عبادي" (8)

(1) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 139.

(2) السهروردي ، المرجع السابق ، ص ص 204-205

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 139

(4) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

(5) سورة الطور ، الآية 7

(6) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

(7) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، " " .

(8) أبو القاسم القشيري ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

قام السهروردي رحمه الله بشرح كيفيّة وقوع الوجد بطريقة علميّة بحتة قال :" تارة يعظم وقعه و يتصوب أثره إلى فوق نحوالدماغ كالمخبر للعقل فيعظم وقع المتجدّد الحادث فتتدفق منه العين بالدّمع، و تارة يتسرب أثره إلى الرّوح فتموج منه الرّوح موجاً يكاد تضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصّياح و الإضطراب و هذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال، و قد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال" (1)

و راح القوم يحاولون إعطاء مفهوم للوجد كلّ حسب مقامه و حاله:

يقول الجنيد إمام الطائفتين (ض) :" الوجد إنقطاع الأوصاف عند سمة الذّات بالسرور" (2)

و يقول الطّوسي رحمه الله :" و الوجد مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا " (3)

و جاء في العوارف أن " الوجد نار و القلب لوجد ربه نور، و النّور ألطف من النار والكثيف غير مسيطر على اللّطيف..." (4)

و قال صاحبه :" فالوجد صراخ الروح المبتلي بالنّفس تارة في حقّ المبطل و بالقلب تارة في حقّ المحقّ . و يكون الوجد تارة من فهم المعاني يظهر، وتارة من مجرّد النّغمات و الألحان ، فما كان من قبيل المعاني تشارك النّفس الرّوح في السّماع في حقّ المبطل و يشارك القلب في حقّ المحقّ و ما كان من قبيل مجردّ النّغمات تتجرّد الرّوح للسّماع، و لكن في حقّ المبطل تسترق النّفس السّمع، و في حقّ المحقّ يسترق القلب السّمع" (5)

فالوجد الحق يمس القلب، فالقلب هو الّذي يسمع و يجد إما المبطل، فالنفس تغلب في السماع. فالأول واجد محق و الثاني واحد مبطل. أمّا الرّوح فإن شاركها القلب في السّماع فيكون حقّا و أمّا إذا شاركت النّفس الرّوح فيه فهو باطل.

يقول أهل الحقيقة في مفهوم الوجد أنه :" عجز الروح عن إحتمال غلبة الشّوق عند وجود حالة الذكر" (6)

---

(1) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 173

(2) أنور فواد أبي خزام ، المرجع السابق ، ص 183

(3) أنور فواد أبي خزام ، المرجع السابق ، ص 182.

(4) و (5) السهر وردي ، المرجع السابق ، ص 194.

(6) أنور فواد أبي خزام ، المرجع السابق ، ص 183

إذن الوجد حالة لا يمكن منعها بالنسبة لمن يصادفه فهو كالعاطس الّذي لا يستطيع أن يوقف العطسة ؛ و هذا الهجويري رحمه الله تعالى يتعرض للوجد في كتابه أنه :" يخصّ العارفين و بما أنّ هؤلاء وصلوا إلى درجة أعلى من المبتدئين فيستنتج أن الوجد أعلى و أكمل من الوجود... و يبقى الوجد بين المريد و المراد يمكن فقط للكاشف أن يفسّره "(1)

و قال النوري في مفهوم الوجد و ماذا ينتج عنه :" الوجد لهيب ينشأ في الأسرار و يسنح عن الشّوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد" (2)

و في نفس السياق ذكر السّهروردي أنه لا يجب الخلط بين الوجد و التّواجد و يقول أن الوجد عمليّة تفوق التّصوّر و هي فوق طبيعيّة على قلب الإنسان. و هي عمليّة تحدث تغييراً في حالة الإنسان و تجعله يشعر بصفة مؤقّتة بالفرح و الحزن بحيث تصبح نظراته متّجهة نحو الله "(3)

و أخذ الوجد من شعر الصّوفيّة قسطًا وافرًا، فمثلا الشّيخ إبن عربي نظم فيه أبياتا هذا مقطع منها:

ذُبْتُ إشْتِياقاً وَوَجْدًا فِي مَحبَّتِكُمْ ... فَآهِ مِنْ طُولِ شَوْقِي ، آهِ مِنْ كَمَدِي

يَدِي وَضَعْتُهَا عَلَى قَلْبِي مَخَافَةَ أَنْ ... يَنْشَقَّ صَدْرِي لَمَّا حَانَنِي جلَدِي

مَا زَالَ يَرْفَعُهَا طَوْرًا وَ يُخْفِضُهَا ... حَتَّى وَضَعْتُ يَدِيَ الْأُخْرَى تَشُدُّ يَدِي (4)

يقول الشيخ بومدين الغوث (ض) في الوجد : (5)

سُهَادِي وَوَجْدِي وَ آكْتِئَابِي وَ لَوْعَتِي ... وَ شَوْقِي وَ سُقْمِي وَ آصْفِرَارِي وَ أَدْمُعِي

وَ مِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمُ ... وَ أَسْأَلُ شَوْقاً عَنْهُمْ وَ هُمْ مَعِي

وَ تَبْكِيهِمْ عَيْنِي وَ هُمْ فِي سَوَادِهَا ... وَ تَشْكُو النَّوَى قَلْبِي وَ هُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

و يردّ على من نكّر على الصّوفيّة أحوالهم :

وَ سَلِّمْ لَنَا فِيمَا آدَّعَيْنَا لِأَنَّنَا ... إِذَا غَلَبَتْ أَشْوَاقُنَا رُبَّمَا صِحْنَا

وَ نَهْتَزُّ عِنْدَ الْإِسْتِمَاعِ قُلُوبُنَا ... إِذَا لَمْ نَجِدْ كَتْمَ الْمَوَاجِيدِ صَرَّحْنَا

(1) HUDJWIRI , SOMME SPIRITUELLE, P 473

(2)) أنور فؤاد أبي خزام ، المرجع السابق، ص 182

(3) عبد الرحمان الجامي ، المرجع السابق ، ص 37.

(4) عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 204

(5) " ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص68

و له أبيات أخرى عديدة في ديوانه إخترنا بعضها فقط :

يقول الشيخ العلاوي (ض):

فَالْوَجْدُ فِيهِمْ دَاعِي يَدْعِيهِمْ ... يَطْرَا عَلَيْهِمْ فِي ذِكْرِ اللهِ

وَ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَتَوَاجَدْ ... قَصْدًا يَتَعَرَّضْ لِفَضْلِ اللهِ

هَكَذَا قَالُوا وَ لِذَا مَالُوا ... وَ لَقَدْ غَالُوا فِي ذِكْرِ اللهِ

حَتَّى قَدْ ظَنَّ مَنْ لَيْسَ مِنَّا ... أَنَّا جُنَّا بِذِكْرِ اللهِ

هَنِيئًا لَنَا ثُمَّ بُشْرَانَا ... إِنْ كَانَ لَنَا حَقٌّ فِي اللهِ (1)

و صرّح لنا شيخ من الطريقة القادرية أن مجلس الذّكر و السّماع الصّوفي تحضره الأرواح من الملائكة والجنّ والإنس و تحضره كذلك أرواح المشايخ و أحيانا يحضره النّبي (ص)، و الصّحابة الكرام و الأنبياء فتنزل كتلة من النور فوق المجلس و تدور حوله متى وجدت مريداً صادقاً نزلت تلك الكتلة النورانية عليه فينفعل المريد و يصعق صعقة لا إرادية تجعل إبراز الشحنة الكامنة في باطنه من ثمرة الأذكار (2).

– التواجد :

يرى الصّوفية أن الوجد ينقسم إلى أقسام، جعلها الغزالي قسمين فقال :"و إعلم أيضا أنّ الوجد ينقسم إلىٰ هاجم، و إلىٰ متكلّف و يسمّى التّواجد، و هذا التّواجد المتكلّف ، فمنه مذموم، و هو الّذي يقصد به الرّياء، و إظهار الأحوال الشّريفة مع الإفلاس منها، و منه ما هو محمود ، و هو التّواصل إلى إستدعاء الأحوال الشريفة و إكتسابها و إجتلابها بالحيلة، فإن الكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة و لذلك أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من لم يحضره البكاء في القرآن أن يتباكى و يتحازن فإن هذه الأحوال قد تتكلّف مباديها ثم تتحقق أواخرها (3) و يشاطره الرأي الشّيخ عبد القادر الجيلاني مع بعض الإختلاف في تعريف مضمون القسمين فيقول إنّ الوجد قسمان:

---

(1) دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين ، ص 93

(2) تصريح الشيخ محمد مسعودي " في الخمسينيات من عمره " .

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، – ج2 ،ص 183.

" الأوّل جسمانيّ نفسانيّ، و الثّاني روحانيّ رحمانيّ و هو يرفض الأول بحجّة أنّ للنفس حظ فيه إذا نتج عن تكلّف وإصطناع و إختيار، و الثّاني لا يعرض عليه لأن الجدبة فيه نتيجة هجمة على الرّوح ليس للفرد فيها إرادة أو إختيار " (1)

فالوجد الصّحيح إذاً صحّته قبول الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد. و يطلق عليه أيضا " الوجد الصادق ". و أغلبية الصوفية يتّفقون مع الشيخين (ض).

أمّا الوجد المتكلف فيه، فهناك من يسمّيه التّواجد، و يعرفه الهجويري قائلا :" أمّا التواجد فيعني التكلّف بإنشاء الوجد و ذلك بإستحضار نعم الله و دلائل وجوده و صفاته سبحانه عزوجل و التفكير إلى الوحدة و البحث عن سلوك الأولياء الصالحين. و البعض يمارسون التواجد بطريقة شكلية و تقليدهم بالحركات الخارجية و الرقص و جمال الحركات و التّواجد مثل هذا مرفوض " (2)

و يكون التّواجد بما يتكلّفه العبد من حركات ظاهرة (3) و من لم يجد فليتواجد و لذلك أمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى و يتحازن (4)

فبالتواجد ينال الصوفي فضلا من الله حسبما يقول الشّيخ مصطفى بن عليوة رحمه الله :

وَ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَتَوَاجَدْ قَصْدًا يَتَعَرَّضْ لِفَضْلِ اللهِ

هَكَذَا قَالُوا وَ لِذَا مَالُوا وَ لَقَدْ غَالُوا فِي ذِكْرِ اللهِ (5)

و سُئل بعضهم عن التّكلّف في السّماع فقيل لهم أنّه على ضربين :

1/ تكلّف في المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية و ذلك تلبيس و خيانة.

2/ تكلّف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتّواجد و هو بمنزلة التّباكي المندوب إليه (6)

فمن ضعف وجده تواجد، و التّواجد ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، و من قوي تمكّن فيسكن (7)

---

(1) قيداري قويدر ، المرجع السابق، ص 118

(2) HUDJWIRI , « SOMME SPIRITUELLE », P 473

(3) و (4) أحمد حسين كعكو ، " هكذا تكلم أولياء الله و الصالحون "، ص 152

(5) " دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين " ، ص 93

(6) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 184

(7) أنور فواد أبي خزام ، المعجم السابق ،ص 182.

و يعرّف السّهرودي التّواجد على النّحو التّالي :"التّواجد إستجلاب الوجد بالذّكر و التّفكّر"(1)

و هذا ما يبيّن التّكلّف في التّواجد من إستجلاب للأحوال و إستعمال المخيّلة عند الإنسان لإدراك عظمة الله سبحانه كالتدّبّر في آياته و مخلوقاته فيزيد خشوعه ووجله.

و أما من لا يتفاعل عند السّماع فيكون صاحب قلب قاس لقوله تعالى:" ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " (2)

و يصفه الغزالي قائلا :" فإذا تأثير السّماع في القلب محسوس ، و من لم يحركه السّماع فهو ناقص مائل عن الإعتدال بعيد عن الرّوحانية. زائد في غلظ الطبع، و كثافته على الجمال و الطيور بل على جميع البهائم فإنّ جميعها تتأثر بالنّغمات الموزونة، و لذلك كانت الطّيور تقف على رأس داود عليه السّلام لإستماع صوته.." (3)

و مجمل ما أنشد بعض الشيوخ حول هذه النقطة بالذات ملخصا كل ما جيء به:

وَ مَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ السَّمَـــاعُ بِطِيبِهِ ... فَذَلِكَ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى التَّصَوُّرِ

وَ أَهْلُ الْحِجَا أَهْلُ الْحِجَازِ وَ كُلُّهُمْ ... رَأَوْهُ مُبَـاحًا عِنْـدَهُمْ غَيْرَ مُنْكَرِ

وَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَـــالَ زَيِّنُوا ... بِأَصْوَاتِكُـمْ آيَ الْكِتَـابِ الْمُطَهَّرِ

زَفَانَ أَكَّ مَغْرًى بِالسَّمَاعِ وَ طِيبِهِ ... فَحَسْبِي اقْتِدَاهُ بِالْكَرِيمِ إِبْنِ جَعْفَرِ

زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ فِي الْخَلْقِ زِينَةٌ ... يَرُوقُ بِهَا لَحْنُ الْقَرِيضِ الْمُحَبَّرِ

فَكُلُّ إِمْرِىءٍ عَابَ السَّمَاعَ فَـإِنَّهُ ... مِنَ الْجَهْـلِ فِي عَشْوَائِهِ غَيْرُ مُبْصِرِ

وَ هَامَ بِهِ أَهْلُ التَّصَـــوُّفِ رَغْبَةً ... لِتَهِيـجَ شَـوْقُ نَـارِهِ لَمْ تُسْعَـرِ

وَ زَانَتْ لِـدَاوُدَ النَّبِيِّ زَبُـورَهُ ... مَزَامِيـرُهُ بِالنَّـوحِ فِي كُـلِّ مَحْضَرِ

وَ اللهُ فِي الْأَرْوَاحِ عِنْدَ إِرْتِيَـاحِهَا ... إِلَى اللَّحْنِ سِرٌّ فِي الْوَرَى غَيْرُ مُظْهَرِ (4)

---

(1) السهروردي ، المرجع السابق ، ص 526 ،

(2) سورة البقرة ، الآية 74

(3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص148

(4) " حاشية الإمام البيجوري " ، الشيخ إبن ميارة ص 131.

إنّ المقامات و الطّبوع الّتي يتّبعها المسمّع تعبّر عن حالات مختلفة و أساساً تترجم حالاً باطنيّاً ، حال السّرور الخفيف أو حال الحزن ، و هي تعدّ بحقّ دعوة أو تأشيرة إلى سفر باطني، فجودة أداء المسمّع مرتبطة بجودة السّامع و إستماعه و لما يقع توافق بينهما تضطرب أعضاء السّامع فيقوم ليرقص.

– الوجود :

ما قول الصّوفية في الوجود ؟ هل يحمل نفس معنى الوجدو التّواجد أم يقصد به شيئا آخر؟ يستعمل الصوفية هذا المصطلح للإشارة إلى حال ينتج عن السماع و هو مرتبط بالحصول على المبتغى. و يعني " وجود الشيء " الوصول إلى الشّيء المرغوب و الوجود يعني الحزن الآخر في طريق المحبّة (1)

فالوجود عند القوم هو الظّفر بحقيقة الشّيء أي هو الظّفر بحقيقة المطلوب، و لا يكون إلاّ بعد خمود البشريّة و إنسلاخ أماكن النّفس إنسلاخاً كلّياً.

و قال أبو خزام في الوجود:" و أمّا الوجود فهو بعد الإرتقاء ، عن الوجد، و لا يكون وجود الحقّ إلاّ بعد خمود البشريّة ، لأنه يكون لها بقاءاً عند ظهور سلطان الحقيقة " (2)

و الوجود إسباغ فرحة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان و لا خبر مع العيان فالوجد يعرضه الزّوال و الوجود ثابت ثبوت الجبال .(3)

و أنشد أحدهم:

وُجُودِي أَنَّ أَغِيبَ عَنِ ٱلْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ (4)

و الوجود في رأي الإمام الغزالي تمام وجد الواجدين و هو أتمّ الوجد عندهم. و سُئل البعض عن الوجود فقال :" الوجود ما تجده من الله الكريم ، و الوجود مع التمكين (5)

و الوجود يحمل معنى ٱلوجد أي الظّفر بحقيقة الشّيء و له ثلاث معان. أمّا الأوّل، هو وجود علم لدنيّ يقطع شواهد الأسماء كشهادة الحيّ على الحي و شواهد التّوحيد لإمتياز

---

(1) HUDJWIRI , SOMME SPIRITUELLE, P 400

(2)نور فواد أبي خزام المعجم السابق ،ص 183

(3) عبد الرحمان البلخي، المرجع السابق ، ص 47

(4) و (5) انور فواد أبي خزام ، المعجم السابق ، ص 184

كلّ شيء بأحدية عمّا سواه بصحّة مكاشفة الحقّ. و الثّاني يتمثّل في رؤية وجود الحقّ منقطعاً عن مقتضيات الإشارة و بلوغ العبارة.و المعنى الثّالث هو وجود مقام إضمحلال رسم الوجود الإمكاني للإستغراق في الأزليّة. (1)

و الوجود الظّاهر في قوله تعالى :" وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ " (2) و يقصد به حقيقة إدراك الشيء و هو أصفى مراتب الشّهود عن وجود مقام يضمحل فيه كل ممكن بالكلّية بشهود الموجد في عين الأولويةو بتعبير آخر وجود الحقّ بذاته حيث لا رسم و لا إسم.(3)

ب/ السّماع و العلاج النّفسي :

لقد تبيّن من خلال البحث الميداني و بإستعمال أسلوب الملاحظة بالمشاركة مع الفقيرات أو بمقابلتنا لفقراء و مقادم حلقات الحضـــرة أو 'العمـــارة ' دور هـــذه الحلقات في توفير الرّاحة النّفسيّة و الإطمئنان للفرد. أثناءها يحاول التملّص للحظات من العالم الكثيف و المادّي و من كلّ الشّواغل الدّنيويّة بالإحتشاد النّفسي و العصبيّ ، عن طريق التعلّق بالله و برسوله (ص) و محاولة الذّوبان في معانيها و صفاتها، فهي بهذا تعمل على جلاء القلوب و تصفية النّفـــوس مـــن الأكدار، و تؤكّد الدكتورة منال عبد المنعم هذا من خلال قولها : " فمنهج الذّكر في الحضرة وسيلة هامّة لتزكية النّفس و تطهير القلب بالتخلّص من كافّة الهموم و الشّواغـــل الدّنيويـــة و جميـــع الأغيار و نقائص النّفس و به أيضاً يمتلئ القلب بالأنوار و الإشراقات الإلاهية " (4)

إنّ الإنشاد الشّعري الصّوفي يبعث في الرّوح نشاطاً ، و قد عبّر بعض الصّوفية عن أهميّة الإنشاد في حلقات الحضرة فقالوا :" إذا إعتبرنا الذّكر روح التصوّف، فالإنشاد روح الذّكر" (5)

هَذَا السَّمَاعُ الَّذِي تُشْفَى الصُّدُورُ بِهِ ... هَذَا الْحَبِيبُ الَّذِي حَيَّرَ الْفِكَرَا

صُوفِيَّةٌ عِنْدَمَا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ ... أَزَالَ عَنْهُمْ جَمِيعَ الشَّكِّ وَ الْكَدَرَا (6)

و قال بعضهم : " إذا إعتبرنا الذكر روح التّصوّف ، فالإنشاد روح الذّكر." (7)

كلمة ذكر هنا لها معنيان : الأوّل الذّكر يعني تكرار إسما من أسماء الله الحسنى باللّسان أو صيغة كالشّهادة " أن لا إلاه إلا الله " مثلا ، بينما المعنى الثاني يعني في نظرنا العمارة أو الحضرة.

(1) المنوفي ، المرجع السابق ، ص 403

(2)سورة النور ، الآية 39

(3) المنوفي ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

(4) و (5) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 238

(6) اليافعي ،" روض الرياحين في حكايات الصالحين " ، ص 11

(7) منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 238.

III - الفصل الثالث : السَماع الصَوفَي و الحضرة في الزاوية المامشاوية :

2- المبحث الثاني : الحضـــرة

2- 1: مفهوم الحضرة و نشأتها

2-2 : رأي الدين و رأي أهل التصوف فيها

2-3 : شروط ممارسة الحضرة و آدابها

2-4 : مراحل الحضرة

2-5 : آثار الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين

2-6 : أنواع الحضرة

3-1 مفهوم الحضرة الصوفية (الرقص الصوفي) و نشأتهـــا :

من الباحثين من يرى بأنّ الحضرة هي تلك الإجتماعات الّتي يعقدها شيخ الزّاوية مع مريديه الّتي يتمّ فيها دراسة كل القضايا المتعلّقة بالزّاوية.

يصفها لوي رين بالملتقى الّذي يجتمع فيه المقدّمين مرّة أو مرّتين في السّنة مع شيخ الطّريقة أو مع خليفته. فيسنح لهم مناقشة جميع القضايا الّتي تمسّ الجماعة. فيجمع الشّيخ الأموال و يعدّدها و يستفسر عن كيفيّة تسيير المقدّمين لزواياهم ، و يوجّه التّعليمات و الرّسائل للفقراء (1).

يولي الصّوفية أهمّية بالغة للحضرة ، فحسب إبن عربي تعدّ ممارسة صوفية وثيقة الإرتباط بالخالق عزّوجل و هي بذلك " حضرة إلاهية "، أو متعلقة بمحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم و تأخذ إسمه الشريف " الحضرة المحمدية " أو بالنّبيّين عيسى و موسى عليهما السّلام فتكون حضرة عيسويّة أو موسويّة. في حالة الحضرة الإلاهيّة تتصل بأسماء الله الحسنى و هي أعلىدرجات الحضرة و هي:" إسم لذات و صفات و أفعال و إن شئت قلت صفة فعل وصفة تتريه ... فإذا قال قائل يا الله فآنظر في حالة القائل الّتي بعثته على هذا النّداء " (2).

تعرف د.منال عبد المنعم الحضرة على أنّها مرادفة لكلمة " ذكر " الّذي يعتبر أساس الطّريق الصّوفي . فبدون دوام الذّكر لا يصل أحد إلى معرفة مولاه و هو ضروري في كلّ المراحل الّتي يمرّ بها المريد لتزكية نفسه و تطهير قلبه. و ترى أنّه هنالك إختلاف طفيف في التّسمية بين المجتمع المصري و المجتمع المغربي. فالحضرة في مصر تعرف ب " العمارة أو الخمرة " في المجتمع المغربي .(3)

ذكر د.زكي مبارك في شأن حلقات الحضرة قائلا : " إنّ الصّوفيّة درجوا منذ القديم على أن يبدأوا مجالس الذكر ب (لا إلاه إلا الله) و تعرف عندهم بالأرضية و تبدو مقدرة الرئيس في نقل الذاكرين من نغمة إلى نغمة كما تبدو مقدرة المنشدين في متابعتهم للأنغام و الإنشـــاد.. ثـــم ينفرد بعد ذلك بالمقطوعات و القصائد و الرقائق و ما إليها من كلام الصوفية" (4)

(1) Louis Rinn, « Marabouts et Khouans » , étude sur l'Islam en Algerie , Librairie de l'académie , Alger , 1884 , page 84.

(2) إبن عربي ، الفتوحات المكية ، ج4 ، ص 196.

(3)د. منال عبد المنعم المرجع السابق ، ص 235 – بتصرف –

(4) زكي مبارك ، المرجع السابق ، ص 20

و الملاحظ أن هناك تداخلا في المصطلحات حيث نرى بعض الباحثين يستعمل كلمة "**الحَضْرَةُ**" بمعنى " **اَلذِّكْرُ وَ اَلسَّمَاعُ وَ اَلْعِمَارَةُ** " . بينما في الزّاوية المامشاويّة كلّ ظاهرة من النّشاطات أو الطّقوس لها مصطلحها الخاصّ بها .

و من مشاهير الصّوفية الّذين ذكروا الحضرة في أقوالهم أبو مدين شعيب في قصيدة " دَارَتْ عَلَيْنَا كُؤُوسُ " (1)

بيت (2) دَارَتْ عَلَيْنَا كُؤُوسٌ فِي حَضْرَةِ اَلْمَحْبُوبْ
بيت (8) وَ مَنْ حَضَرْ حَضْرَتِي يَظْهَرْ لَهُ اَلْبُرْهَانْ
بيت (14) غَرَسْتُ فِي حَضْرَتِي شَجَرَة مِنَ التَّوْحِيدْ
بيت (18) نُوصِيكْ يَا مَنْ حَضَرْ لاَ تَقْرَبِ الشَّجَرْ

فالحضرة هنا حضرة الرسول صلّى الله عليه و سلّم حضرة الشّيخ المربّ أما في البيت (18) فيميز الشاعر الفرق بين الحضرة و الحضور..

فالحضرة حضرة الله سبحانه و تعالى من خلال نظمه (2)

بيت (10) أَطْلِعْنِي عَلَى اَلْحَضْرَة كَانْ لِي نَدِيمْ

و يقول الشيخ بن عليوة في قصيدة " أبا أيها العشاق " (3)

بيت (20) وَ يَدْخُلُ حَضْرَةَ اللهْ مِنْ بَعْدِ فَضْلِهِ وَ يَرَى ظُهُورَ اَلْحَقّ أَيْنَمَا تَوَلَّى
بيت (21) تَمّ الرِّضَا وَ التَّكْرِيمُ وَ الرَّحْمَةُ تَشْمَلُ أَهْلَ حَضْرَةِ اَللهِ كُهُولاً وَ أَطْفَالاَ

و يقول في نفس القصيدة (4) :

بيت (43) مَنْ دَخَلْ فِي دِيوَانِي وَ مَنْ حَضَرْ فِي جَمْعِيَّا
بيت (50) وَ اَلْإِتّصَالُ الرُّوحَانِي بِاَلْحَضْرَةِ اَلْبُوزِيْدِيَّا

و يستنتج من هذه النصوص ان مصطلح الحضرة له ثلاثة معاني :

(حضرة الشيخ – حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم – حضرة الله تعالى)

أما داخل الزاوية فكلمة الحضرة تدل على هذه المعاني بالإضافة إلى مدلول " اَلْعِمَارَة أو الرَّقْصَة الصُّوفِيَّة " و الحلقة الّتي يشكّلها المريدون تسمّى " اَلْحَضْرَة ".

---

(1) قيداري قويدر ، المرجع السابق ، ص70

(2) " ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 70 – 71

(3) قصيدة " أنا يا مدير الراح " ، أنظر " ديوان الشيخ أبو مدين شعيب " ، جمعه العربي بن مصطفى الشوار ، ص 83

(4) " دواوين أبيات المحبين في مقامات العارفين " ، ص 5 .

أما العمارة فإنها تعني الرقص الذي يقام في الحضرة .

الحضرة إذا هي أولا المكان الذي تقام فيه العمارة و كما هو الشأن بالنسبة للماء و الكأس يستعمل الإناء الحاوي كما المحتوى و يقال " شَرِبْتُ كَأْساً "

و في الغالب أصبح مصطلح " حَضْرَةُ " مرادفا لمصطلح " عِمَارَةُ " ، و الّتي بدورها تسمّى ب " الزّهِيدْ " بالعامية الذي إنتقل منه معنى الزّهد إلى الرّقص و الّذي هو دليل على الزّهد في الدّنيا و يقال" اَلْفُقَرَاء يَزَّهْدُوا " أو " يْعَمَّرُوا " بمعنى يقومون بعمارة أو " يَحَضَّرُوا " كما يقول أهل البادية أي يحضر الفقراء قلوبهم لتلقّي الأسرار الرّبّانيّة النّورانيّة و بذلك تحضر الأرواح الطّيّبة في الحضرة.

و يطلق على العمارة أو الحضرة مصطلح مرادف آخر هو " الجْدَبْ " فيقال أن الفقراء " يَجَّدْبُوا " كأنه يشحن باطنه بالسّرّ الإلاهي " و الزّهِيدْ لأنه يزهد في رأي النّاس و في الدنيا أي ينساها مؤقتا حين يدخل الحضرة . " الجَدِيبْ " لأنّ المريد عندما يدخل في الحضرة يسعى إلى " اَلْجَدْبَةُ الإلاَهِيَّةُ "

و كثيرا ما يطلق المشارقة إسم الرّقص على الحضرة " وَ لا يَكُونُ الرَّقْصُ إلاّ لِلأَعِبِ وَلِلإِبِلِ وَ لِمَا سِوَاهُ : اَلْقَفْزُ وَ النَّقْزُ ... وَ تَرَقَّصَ : إرْتَفَعَ وَ إنْخَفَضَ " (1)

يعطي د.علي شلق مفهوما فنيا للرقص : " فن التّعبير بالجسد الحركي و تحرك أعضائه في تناسق و إندماج كما تندمج الحروف في الجملة و الأنغام في المعزوفة.." (2)

وردت في التصريحات التي حصلنا عليها من بعض الفقراء ، أن الحضرة معناها أن يحضر الفقير قلبه مع الرب الواحد القهار (3) و هناك من يجدها مرادفة للحظة العمارة الّتي يرى أنّها حال روحي يعبّر عنه بإهتزاز و لا يقال فيه إلا الله و كما يقول المشايخ " الحال لا يقاس بشرع " كالبكاء و الفرح ...(4)

إنّ الحضرة أو العمارة أو الرّقصة الصّوفيّة حال و وجدان لا يقاسان بشرع و أصلها وارد في السّنّة . إن جعفر بن أبي طالب كان في الحبشة و جاء مشتاقاً إلى الرّسول (ص) قال له الرّسول (ص) ، مابك يا جعفر ؟ " قال له يا سيّدي في الحبشة : رأيت العبد عندما يلتقي

---

(1) الفيروزبادي ، المرجع السابق ، - ج 2 - ، ص 468

(2) علي شلق ، " الفن و الجمال " ، ص 131

(3) تصريح الفقير السيد نصر الدين بوعياد اغا.

(4) تصريح الفقير السيد كمال بختي

بسيده يرقص له فأجابه الرسول (ص) : " من فرح بنا فرحنا به ، يا جعفر تشبهت بخلقي و خلقي " و في واقعة أخرى رقص علي بن أبي طالب لرسول الله (ص) فرحا به و شوقا للقائه و فرح به الرسول (ص) .و العمارة هي تشبّه بالملائكة لأنه يوجد ملائكة يجعلون الدّائرة و يرقصون فرحا بالله و يقولون :" نِعْمَ الْمَلِكُ مَلِكُنَا " .و قد نظم مشايخ الصّوفيّة هذه الرّقصة في ثلاث أوقات كي لا تكون فوضى بين المريدين (1) و ترتيبها يكون بتعيين المسمّع و القطب الّذي يسيّرها (2).

روى أبو نعيم عن علي بن أبي طالب (ض) أنّه وصف أصحاب الرّسول (ص) رضي الله عنهم قال : " كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الأشجار في اليوم الشديد الريح " أي يتمايلون و يتواجدون (3).

و إتّفقت الآراء على أنّ الحضرة تعبير جسديّ للوجد النّاتج عن الذّكر و السّماع و هي المسمّاة بالإهتزاز (4).

و الحضرة حسب البعض تواجد الحال و تركيز و تشخيص المنضّر الجلل عند ذكر السماع. (5)

الحضرة هي في رأينا ظاهرة جامعة لعدة ظواهر تتصل بعضها البعض و تتغذّى كلّ واحدة من الأخرى :

1/ الذّكْرُ : أثناء العمارة يردّد المريدون إسم الذّات " الله " و حسب المستوى يلفظ ب " هُوَ" أو "هَ" أو " أَهْ " أو "إِيْ" و كلها أسماء سريانيّة لإسم الله.

2/ السَّمَاعُ : مسمّعان أو ثلاثة مسمّعين يؤدّون السّماع أثناء العمارة فالسّماع يحدّد الإيقاع و ينتقل أداء العمارة من مستوى إلى مستوىً آخر.

3/ العمارة : هي مجموعة المريدين القائمين على شكل دائريّ ثابت تقوم بحركة عموديّة برفع أقدام الأرجل فقط وإهباطها في حركة موحّدة و منسّقة حسب إيقاع واحد.

4/ القطب المسير للعمارة : ينفث القوة في المريد المتراخي و يصحّح جودة الحركة للمريد المنفعل أكثر من اللّزوم فيضبط الميزان و الإيقاع للعمارة حسب إيقاع السّماع و يعلن الفاصل فينحني المريدون نحو الأمام لإفراغ الهواء و ملئ هواء جديد و هي حركة رمزيّة

---

(1) تصريح الفقير السيد قدور السبيع

(2) تصريح الفقير السيد نور الإيمان بن حليمة ، (حفيد الشيخ قدور بن عاشور)

(3) تصريح الفقير السيد محمد بن شوك المدعو ب : النور

(4) تصريح الفقير السيد حكمت صاري علي

(5) تصريح المسمع السيد غوتي بن قلفاط

يتخلّص أثناءها المريد من الكدرات و الشّوائب و يشحن باطنه بنورانيّة فهي عمليّة تطهير للذّات.

- هل للحضرة على إختلاف طرق أدائها أصل أو جذور أم إختلقها مشايخ الصّوفيّة ؟
- الجواب على هذا السؤال في غاية الصعوبة لأنه لو كانت هناك أدلّة و براهين تثبت أصل الحضرة في الكتاب و السّنّة و السّيرة النّبويّة لإقتنع كلّ المسلمون و دخلوا كلّهم في نهج التّصوف الإسلامي و لمّا كانت هذه الإختلافات و هذا الجدال القائم بين أهل الشّريعة و أهل التّصوّف منذ القرن الثّالث الهجريّ.
- و لكن ما يمكن تقديمه هو أنّ التّصوفّ ليس موجّها لكلّ أفراد الأمّة الإسلاميّة و إنّما هو موجّه لطائفة أو نخبة منها لها إستعداد فطري يؤهّلها لتقبل هذا النّوع من السّلوكات و الممارسات لأنّه بدلاً من اللّجوء إلى العقل يفضّل اللّجوء إلى القلب و الوجدان و لهذا يقول أهل التّصوّف : " لاَ يَنَالُ عِلْمُنَا هَذَا إِلاَّ مَنْ صَدَّقَ بِالْمُحَالِ ! " و المحال يتضمّن كلّ ما هو غير منطقي و من أجل هذا يطلب من المريد التّسليم و عدم الجدال و كثرة السؤال و إلاّ فيضطرّ لمفارقته كما وقع لسيّدنا موسى مع الخضر عليهما السلام.

يقول الرّسول صلّى الله عليه و سلم : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" (1).

إنّ محاولتنا في تفسير الإختلاف في السّماع و الحضرة في الطّرق الصّوفيّة الأساسيّة نمثلها في هذا الرّسم الّذي سمّيناه ب " مُثَلَّثُ الْحَضَرَاتِ "يبيّن مشرب كلّ طريقة:

---

(1) رواه مسلم (أنظر رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين " لأبي زكريا النووي ص 41.

مثلّث الحضرات الصّوفيّة :

هذا الرّسم مبنيّ على أساس إقتراحات من بعض مريدي الزّاوية و يحتوي على ثلاثة مثلّثات يرمز كل واحد منهم إلى أصل إحدى الحضرات الرّئيسيّة و هي (1):

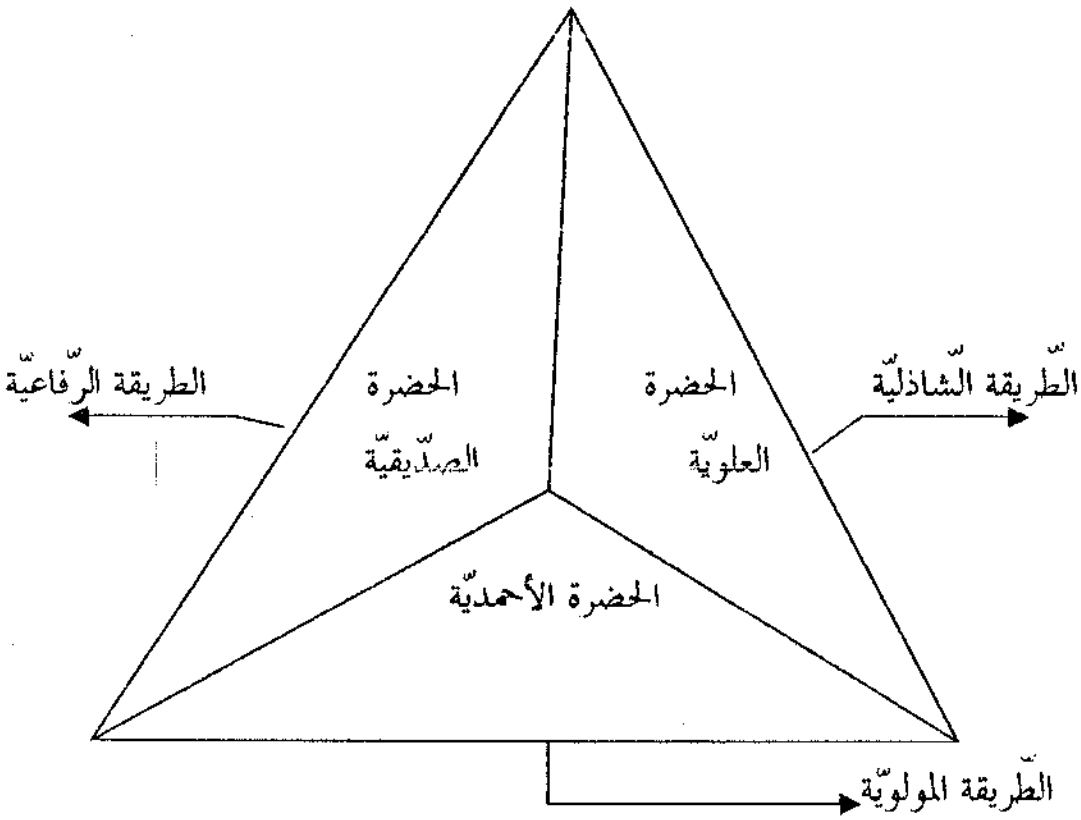

1- الحضرة الأحمدية : الحاصلة عن سيد الوجود صلّى الله عليه و سلّم إذ تعتبر أصل كل الحضرات و ترمز إلى مكانة الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض و الطّريقة الّتي تبنّتها هي المولويّة التّابعة لمؤسّسها الشّيخ جلال الدّين الرّومي ، و من خصوصيّات الحضرة المولويّة أنّ المريد أو الدّرويش الدّوّار يؤدّي دوراناً حول نفسه عدّة مرّات اليد اليمنى مرفوعة نحو السّماء كأنّه يستقبل سرًّا و اليد اليسرى منخفضة نحو الأرض كأنّه يسلّم هذا السّرّ إليها.

2- الحضرة الصدّيقيّة : كما يشير إسمها أساسها الصّدق و النّيّة البالغة و عدم الإلتفات إلى ما سوى الحضرة و هي حاصلة عن خليفة الرّسول (ص) سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه و الّتي تبنّتها الطّريقة الرّفاعية و يتحلّى صدق المريد الرّفاعي في ملوكه أثناء الحضرة حيث

(1) تصريح خطي للفقيد السيد بومدين مطير (أستاذ فرنسية متقاعد عايش الشيخ بن عودة بن ماضا)

لا يعبأ لمن حوله لأن هذه الحضرة لها خصوصيّة تتمثّل في إختلاط الرّجال بالنّساء أثناء أداء العمارة فيحكى أنّ بعض خصوم هذه الطّريقة إنتقد هذا الإختلاط للشّيخ أحمد الرّفاعي بذاته فطلب الشّيخ منه أن يحضره قسطاً من الذّهب و الحليّ و يرميهم وسط الحضرة و ينظر ما سوف يجرى ، ففعل الرّجل و إذا به يلاحظ أن لا أحد من المريدين و المريدات أدلى إهتماماً للحليّ أو حتّى أحسّ بوجودها و هي بين الأرجل فلمّا إنتهت العمارة أخذ الرّجل تلك الحليّ و طلب السّماح من الشّيخ الرّفاعي و إنضمّ إلى مريديه (1) لمّا علم درجة صدق مريدي هذه الطّريقة.

3- الحضرة العلويّة : الحاصلة عن سيّدنا عليّ كرم الله وجهه و تبنّتها الطّرق القادريّة و الشّاذلية و ما تفرّع عنهما ، و تقام العمارة على شكل دائرة أو حلقة يتوسطها القطب المسيّر لها.و هي ترمز إلى حرف الهاء ، و لهذا الحرف شأن عظيم لدى أهل التّصوّف إذ هو الحرف الآخر من إسم الذّات " الله " و إذا حذفت الألف و الأم من هذا الحرف بقى قائماً بنفسه و مشير على إسم سرياني و ما يمكن ملاحظته هو أنّ العمارة تنطق بإسم الذّات أو إسم الجلالة " الله " و تنتقل من مرحلة إلى أخرى حيث تمرّ بنطق " اَللّٰهُ " ثم " هُوَ " ثم " هُ" (2) و هي آخر مرحلة في هذا الميدان.

2-2- رأي الدّين و رأي أهل التّصوّف فيها :

إنّ الحضرة أو الرّقص الصّوفي مسألة أثارت الجدل الكبير بين الفقهاء و الصّوفيّة و كلّ طائفة ذهبت لتستند على أدلّة و حجج من القرآن الكريم و السّنّة الشّريفة.

أ- أصل الحضرة من الكتاب :

يقول الله تعالى مخاطباً سيّدنا موسى عليه السلام : " أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ " (3)

---

(1) قصة متداولة بين مريدي الزاوية.

(2)حرف الهاء حرف هوائيّ ترابيّ فيه بعض يبوسة " الصّفرة (طبع النار يابس) – الدّم طبع الهواء حار رطب " – البلغم طبع الماء بارد رطب – السّوداء طبع التّراب بارد يابس(أنظر قول البوني في المرجع المذكور سابقا ص 314)

(3) سورة ص ، الآية 42.

و فسّر الصّوفيّة أنّ الرّكض بالرّجل هو الرّقص الصّوفي أو الحضرة ، و عارضهم الفقهاء في هذا و إستبعدوا كون الرّكض بالرّجل رقصا .

ب/ أصل الحضرة من السنة :

إتّخذ الصّوفيّة قصّة زفن الحبشة في المسجد أمام رسول الله صلّى الله عليه و سلّم مع أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها و السّماح لهم بالرّقص ، حجّة على حضرتهم أو رقصهم.

عن أنس رضي الله عنه قال : " كانت الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، و يقولون بِكلام لهم : محمّد عبد صالح ، فقال صلّى الله عليه و سلّم : " ماذا يقولون ؟ " فيقول: إنهم يقولون : محمد عبد صالح ، فلمّا رآهم في تلك الشّريعة تؤخذ من قوله صلّى الله عليه و سلّم و فعله و تقريره ، فلمّا أقرّهم على فعلهم و لم ينكّر عليهم تبيّن أنّ هذا جائز " (1)

نستشفّ من الحديث أنّ الإهتزاز في الذّكر و الحركة بمدح الرّسول عليه أفضل الصّلاة و السّلام مباح و جائز كونه يساهم في تنشيط الجسم لذكر الله و تقوية حضور القلب مع الخالق عزّوجل بوجود النّيّة الصّالحة في ذلك و إحتجّوا بحجل الصّحابة رضوان الله عليهم أمام الرّسول (ص) للتّعبير عن سرورهم و فرحهم بما أقرّ عليه أفضل الصّلاة و السّلام لهم (2) و جعل ذلك أصلاً لرقص الصّوفية عند ما يجدون من لذّة المواجيد في مجالس الذّكر و السّماع.

ج/ رأي العلماء في الحضرة :

رفض الهجويري تسمية الحضرة و أحوال القوم بالرّقص قائلا: و لكن لمّا يرتعش القلب من الجذب و يقوى الحبّ و تظهر علامات الغيبة (3) في الله و تضمحلّ الأشكال التّقليديّة. هذا الإضطراب ما هو لا رقص و لا لذّة للذّات و إنّما هي ذوبان النّفس، و من يسمّيه رقص

---

(1)حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده و الحافظ المقدسي برجال الصحيح (أنظر حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص 157)

(2) أنظر الحديث الذي رواه أبو داوود من حديث علي بإسناد حسن عن إحياء علوم الدين ج 2 باب السماع و الوجد ص 197.

(3) الحال يعرفه الجامي :" الحال عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع و لا إحتلاب و لا إكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ، تزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أولا و إذا دام و صار ملكا يسمى مقاما ، و الأحوال مواهب و المقامات مكاسب و الأحوال تأتي من عين الجود و المقامات تحصل ببذل المجهود " أنظر نفحات الأنس من حضرات القدس " ل الجامي ، ص 38 .

فهو خاطيء فهو حال (1) لا يمكن تفسيره بالكلمات ... و بدون تجربة ليس هناك معرفة" (2)

و نميل بدورنا و نوافق هذا الرّأي حيث أنّ الحركة تختلف في النّيّة و الشكل بين الرقص العامي و الحضرة الصوفية ، إن رقص القوم طقسي و بعيد عن الرقص المعتمد على الحركات المخنثة و المخلة بالحياء.

و في حكمه الديني ذكر الإمام الغزالي أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده باللغو في أيمانهم أي القسم بالله على شيء بدون عقد و لا تصميم، فكيف يؤاخذ بالشعر و الرقص حتى وإن كان يخلو من الفائدة أي باطلا فليس حرام.

و فسر كيفية حدوث الرقص عند القوم :" إعلم أنّ السّماع هو أوّل الأمر ، و يثمر السّماع حالة في القلب تسمّى الوجد، و يثمر الوجد تحريك الأطراف إمّا بحركة غير موزونة فتسمى الإضطراب ، و إمّا موزونة فتسمّى التّصفيق و الرّقص " (3)

و سئل الإما م أبو حنيفة النعمان رحمه الله عمّا يفعله الصّوفيّة في حضرة و ما يتظاهرون به هل هم صادقون في ذلك أم هم كاذبون فأجاب أن لله رجالاً يدخلون الجنّة بدفوفهم ومزاميرهم (4).

و يعارض أبو السعود الكيالي ما جاء و أقرّ بأنّ الحنفيّة لا تقول بالرّقص بل و تمنع من الصّلاة على الحصير الّذي يرقص فيه الصّوفيّة حتّى يطهر، و يمنع أيضا آدائها على الأرض الّتي رقصوا عليها حتّى يحفر ترابها (5).

لقد قام بعضهم ب " جعل تلامذة سمّاهم الفقراء ، على طريق أهل البدع ، و إتخذوا الحضرة ، و هي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس و لا يستخفون من الله ... وحبّب إليهم أفعالهم " (6)

HUDJWIRI , SOMME SPIRITUELLE, P 374(1)

(2) و (3) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص 137

(4) العلاوي المستغانمي ، "رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف" ، ص 38

(5) أبو السعود الكيالي ،" الفيوضات الإحسانية " شرح الأوراد البهائية ، ص 90

(6) عبد الكريم الفكون ،" منشورات الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية " ، ص 119-120.

قال الشّيخ عبد القادر عيسى في الصوفية :" و هناك علماء منصفون قد ميّزوا بين الصّوفية الصّادقين السّائرين على قدم الرّسول صلّى الله عليه و سلّم ، و بين الدّخلاء المارقين و أوضحوا حكم الله في الذّكر ، و على رأسهم العلاّمة إبن عابدين في رسالته " شفاء العليل " ، فقد ندّد بالدّخلاء على الصّوفيّة، و إستعرض بدعهم و منكراتهم في الذّكر .
و حذّر منهم ، و من الإجتماع بهم، ثم قال :" و لا كلام لنا مع الصّدق من سادات الصّوفيّة المبرّئين من كلّ خصلة رديئة " ثم إحتجّ بما قاله الجنيد إمام العارفين لمّا سئل عن أقوام يتواجدون و يتمايلون ؟ فردّ عليهم : دعوهم مع الله تعالى يفرحون، فإنهم قوم قطّعت الطّريق أكبادهم، و مزّق النصيب فؤادهم، و ضاقوا ذرعا فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم، و لو ذقت مذاقهم عذرتهم " (1)

و قال الجنيد رضي الله عنه :

مَا فِي التَّوَاجُدِ إِنْ حَقَّقْتَ مِنْ حَرَجٍ وَ لَا التَّمَايُلِ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ بَأْسِ
فَقُمْتَ تَسْعَى عَلَى رِجْلٍ وَ حُقَّ لِمَنْ دَعَاهُ مَوْلاَهُ أَنْ يَسْعَى عَلَى الرَّأْسِ (2) .

و وصف أبو الوفا بن عقيل الصّوفي في رقصه بسلبية قائلا :" و هل شيء يزري بالعقل و الوقار و يخرج عن سمت الحلم و الأدب أقبح من ذي لحية يرقص فكيف إذا كانت شيبة ترقص و تصفّق على وقاع الألحان و القضبان خصوصاً إذا كانت أصوات نسوان و مردان هل يحسن بمن بين يديه الموت و السّؤال و الحشر و الصّراط ثمّ هو إلى إحدى الدّارين صائر أن يشمس بالرّقص شمس البهائم و يصفّق تصفيق النّسوة " (3)

و سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن قوم يأكلون كثيراً و يرقصون كثيراً فضحك و قال أمجانين هم ؟ و سؤاله يعني أمجانين هم من حيث عرّضوا أنفسهم للهلاك في الحسّ و المعنى. و قال أنّه لا يكفّر أحد من أهل القبلة بذنب . و كان رضي الله عنه يحذر من إذايتهم و الإعتراض عليهم (4)

---

(1) و (2) عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص 159

(3) أبو السعود الكيالي، " الفيوضات الإحسانية شرحة الأوراد البهائية "، ص 90

(4) أبو السعود الكيالي، المرجع نفسه ، ص 90 بتصرف

قال الشّيخ البنّاني بأن الإمام مالك (ض) لم يحبّ تضييع العمر فيما لا يعني و لكن حاشـــاه من أن ينكّر على ذكر الفقراء و إنشادهم كـــلام الصالحين و رقصهـــم و صياحهم بحبّ الله و لا ينكره إلّا فاسق غبيّ أو جاهل غليظ الطّبع " (1)

و نكّر الشّيخ إبن تيميّة أشدّ تنكير في فتاويه على الرّقص الصّوفي بأنّه لا أصل له في الكتاب و السّنّة ووصف من يقول به و يفعله بالواهم المعين على نشر بدع و أحوال فاسدة. و كذب تواجد الرّسول (ص) عند سماع شعر كعب بن زهير و الأعرابي و نفى سقوط البردة من عليه صلّى الله عليه و سلّم (2)

أكّد الحافظ بن حجر أنّه قد صحّ التّمايل و الرّقص عن جماعة من كبارالأمّة منهم الشّيخ عـــزّ الدّين بن عبد السّلام. و لمّا سئل عمّن يذكرون الله قياماً و قعوداً و بالأنغام الموسيقيّة بالتّمطيـــط و إظهـــار ما بين همزة (3) ولام ألم إله و مدّ الهاء من إله و يقولون هُوَ و هَا و هِيّ و يذكرون بالحلق و هُوَ الحاء بأن يقولون حيّ و يرقصون في بعض الأحيان بالتواجد و الوثبات و يغيبون عـــن إدراكهم و يقعـــون على الأرض و ينشـــدون الأشعـــار و أصناف الكلام المطرب المهيّج المحرّك للنّشاط و غير ذلك ممّا يتعلق بأحوال المريدين من أهل الطّريق عموماً و خصوصاً ، هل هو حرام أو لا ؟ و هل لذلك أصل في الكتاب و السّنّـــة؟ و هل يجوز سبّ مشايخ الطّريق أم لا ؟ أجاب إبن الحجر رحمه الله تعالى بقوله: " يجوز الذّكر بجميع الأنواع ب " إيلٌ " و " لَاهَا" لورود الشّرع بذلك لأنّ " إيل " إسم الرّحمـــان و " لَا هَا " إسم المحبوب و لا يلزم ذكر لاإله إلا الله إلا في الشّهادتين و الأذان و التّشهّـــد و يجوز الذّكر بـــ " هُوَ " و "هَا " و " هِيَ " و بالحلق و القلب و يجوز الذكر بحرف واحد كما ورد في أوائل السّور ك "كافٌ" و "هاءٌ" و "عَين" و"صَادٌ". و يجوز الذّكر بأسماء الله طرا

---

(1) ابو بكر البناني ،" تحفة أهل الفتوحات و الأذواق "، ص 60.

(2) إبن تيمية ، " مجموع فتاوى إبن تيمية "، ص ص 599-601 – بتصرف –

(3) حرف الألف و هو أول الحروف و هو حرف نوراني و أول العدد ، و هو أول مرتبة في تقسيم الحروف على العناصر. و أجمع كل العلماء أن حرف الألف ناري " إعلم أن الألف سر الله تعالى في الموجودات و هو أصل الأشكال و أول الحروف و أول الأعداد فعلى الجملة إنه حرف صادر من الله تعالى الواحد الأحد و له قوة في باطن العلويات و عدده على التفصيل أ ل ف و العدد من ذلك 111... و لأجل ذلك كانت الألف من أمهات الحروف و منها كانت " أنظر المرجع نفسه للبوني ص 350."

و يجوز الرّقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و لم ينكّر عليهم (وأصل هذه الطرائق) في الكتاب و السنة و لا يجوز الإنكار عليها بالإتفاق سب المشايخ إهانة في الدين و الإهانة في الدين كفر شرعا و عقلا بلا خلاف " (1)

و ليس هناك جد يزيد عن جد الرسول (ص) و قد سمح للصحابة بالحجل أو الرقص أمامه و إذن للحبشة بفعل ذلك في المسجد و هو مكان الصلاة، و تواجد لسماع الشعر لدرجة سقوط البردة عنه.

2-3 شروط ممارسة الحضرة و آدابها :

إقامة الحضرة أو الرّقص الصّوفي ليس كأيّ رقص عادي ، بل و حتّى رقص العوامّ له نظام في الحركات طبقاً للرّقصات القديمة الفلكلوريّة أو الأوروبيّة الكلاسيكيّة أو حتّى الرّقصات العصريّة .

فللحضرة في الزّاوية المامشاويّة ، كسائر الزّوايا الصّوفية آداب خاصة بها ، يطبّقها ممارسوها ، منها ما أخبرنا بها شيخ الزّاوية و منها ما إستنتجناه بالملاحظة و المشاركة .

فأوّل الشّروط ضرورة الطّهارة الكبرى و الصّغرى للبدن ، و كذا طهارة اللّباس و يستحبّ لبس البياض منه (العباءة أو القشّابة جلاّبة خاصّة بالرجال) و طهارة المكان فرغم كون الزّاوية الحاليّة مترلاً على الطراز المعماري التقليدي -دَارٌ عَرَبِيَّةٌ – بها صحن يتوسّطها و حوله غرف و بها ثلاث طبقات مكشوفة الغطاء ، لكنّها تحلّ محلّ المسجد، لأنّ الفقراء يؤدّون طقوسهم بها.

و ثاني الشّروط : يتمثّل في الصّحّة البدنيّة ، فالعمارة تحتاج إلى جهد و صحّة ، لذا نجد الكثير من المتقدّمين في السّنّ يبتعدون رغماً عنهم ، فقلبهم ينفطر لعدم مشاركتهم لكنّهم يخافون من إشتداد المرض عند العياء.

و ثالث الشّروط : ضرورة مراعاة الأوقات الشّريفة و النّفحات الربّانيّة ، لقول الرّسول صلّى الله عليه و سلّم :"إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ لَنَفَحَاتٍ أَلاَ فَتَعَرَّضُوا لَهَا " (2) .

---

(1) أبو بكر البناني ، المرجع السابق ، ص 63.

(2) حديث شريف (متفق عليه من حديث أبي هريرة و أبي سعيد (أنظر إحياء علوم الدين – ج3 " لأبي حامد الغزالي ، ص 15).

أمّا الشّرط الرّابع يتمثّل في مراعاة الآداب من طرف المريدين و المدعوّين أثناء حصّة العمارة بإجتناب الثّرثرة و الكلام بالصّوت المرتفع و الضّحك و السّخرية من الممارسين و كلّ ما يثير السّخط و الغضب لأنّها حضرة الله و المشاركة فيها و الحضور فيها يتطلّب السّكينة و الوقار.

يجب على المشاركين في الحضرة إمتلاك الأحوال النّاتجة عن الذّكر و عدم الإدّعاء أو المراءاة و الأهمّ هو الإمتثال للجماعة في الحركة و السّكون و الإيقاع سواء ثقل أم خفّ...، و النّيّة الصّادقة و الصّالحة .

و من الطّرق الصّوفية من تشترط الطّهارتين الكبرى و الصغرى و حضور النّيّة الصّادقة فقط – أمّا ما عدا ذلك فلا يوجد شروط لدخول الحضرة ، بل يمكن لأيّ غريب دخولها دون أيّ قيود ، فالحضرة حضرة الله و لا يملك أحد فيها شيئاً (1)

و هذا بالنّسبة لزاوية شاذلية بمصر ، أمّا في المجتمع المغاربي ، فينبغي أن يكون المشاركون في الحضرة جميعاً على قلب رجلٍ واحدٍ و هذا يفسّر حرص الشّيخ على ضبط إيقاع الذّكر ، و كأنّ الذّاكرين شخص واحد ، فالذّكر الجماعي قوّة و ترابط و وحدة (2) هذا، و يلاحظ أنه ليس هناك شروط لدخول الحضرة سواء كانت في الزّاوية أو الدّار ، و إذا كانت في الدّار يظلّ الباب مفتوحاً تماماً كباب الزّاوية لا يغلق أبداً أثناء الحضرة و قبلها (3)

و الظّاهر أنّ ترك الباب مفتوحاً لأيّ شخص يريد الدّخول مهما كانت نواياه يرجع إلى الأمل في توبته إلى الله بفضل الذّكر و الحضرة ، فيجذبه المغناطيس و يصبح من الفقراء و لا ننسى أن مجالس الذّكر كرياض الجنة لإفشاء السّلام بين الفقراء و صفاء الحال و النّيّة و الإقدام على طاعة الله و رسوله (ص) و إستجابة الله لدعائهم (4).

---

(1) و (2) الدمنال عبد المنعم المرجع السابق ، ص 235

(3) د. منا عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 244

(4) د. منا عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 235

2-4 مراحل القيام بالحضرة أو العمارة في الزاوية المامشاوية :

إنّ الحضرة في الزّاوية المامشاويّة ، حضرة درقاويّة بحتة تمرّ بمراحل .تبدأ حصّة الحضرة بمدائح نبويّة متبوعة بترتيل القرآن الفردي أو الجماعي أي السّماع ، و أحيانا تقع تدخّلات للشّيخ أو المقدّم يقوم بموعظة حول مجاهدة النّفس أو يقوم بمذاكرة و يحثّ على ترك الإنشغال المفرط بهموم الدّنيا .

و أثناء هذه الحصّة يحضر كلّ المريدين و يشرع في التّحضير النّفسي بهذه المدائح . أو ما يسمّى بالسّماع الصّوفي . أحيانا تقوم بإشارة من الشّيخ فيقوم المريدون للقيام بالحضرة و العمارة و أحياناً يغلب الوجد أحد الفقراء و عند تأكّد الشّيخ من صحّته يعلن بداية العمارة بالتّصفيق .

و تتم العمارة بتكوين حلقة على شكل دائرة و يشرع المريدون في الرّقص الصّوفي على إيقاع السّماع من جهة و على إيقاع ذكر إسم" الله" أو" هو" . و تكون العمارة بتشابك الأيدي و الإرتفاع و الإنخفاض بالرّجلين في المكان . و ترافق العمارة قصيدة سريعة الإيقاع ذات أبيات قصيرة تساعد على الحركة.

و تمرّ العمارة بمراحل ثلاث ، الأولى بطيئة و يكون أثنائها السّماع منشد على إيقاع بطيء ملائم لها . و يفصل القطب بين المرحلة و الأخرى بتكرار كلمة الله " إسم الذّات "بصوت مرتفع ، فينتقل الفقراء إلى مرحلة ثانية متوسّطة السّرعة و يرفقها دائما السّماع بعد إنحناءهم ثلاث إنحناءات كأنهم يُتَحَوَّن بعضهم البعض ، فلا يأتي تغيير الإيقاع بصفة مباشرة عنيفة و إنحنائهم يجعلهم يستريحون قليلا من " اَلزَّهِيدْ " و يخرجون الهواء الملوّث الّذي بداخل الرئة.

و في الأخير تصل العمارة إلى ذروتها أي إلى حركات أسرع و أقوى ، و يمرّ المشاركون من ذكر إسم " الله " إلى النّطق بصوت " هُوَ " ثم الهاء "هُ" و تكرارها عدّة مرّات . و بعض الفقراء يتواجدون أكثر فيدخلون في حالة إرتعاد. أو إغماء من فعل التّأثّر و منهم من يسقط على الأرض فيأتي المقدم و يقرأ له " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " عدّة مرات و يهدّئه فيخفّ عنه الحال (1).

---

(1) ملاحظات الباحثة أثناء قيام العمارة

و من إشارة من الشّيخ أو المقدّم تنتهي الحضرة. و في المناسبات الدّينية لا تقام عمارة واحدة بل تشتمل الحضرة على أربع أو خمس عمارات حسب الحال.

2-5 أثر الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين:

إنّ الإيمان بالبركة و الشفاء من مختلف الأمراض الّتي يستعصى على الأطباء سواء أطبّاء الجسد أو النّفس أن يعالجوها ، أمر وارد و منتشر بل و طبيعي في المجتمع التّلمساني عموما.

فمن العائلات من تأخذ مريضاً لزيارة الأضرحة للتّبرّك بالأولياء الصّالحين فيخرجون صدقة لكي تتمّ الرّابطة أو الوصلة بينهم و بين الوليّ المزار و أحيانا يتمّ تقديم ذبائح من أنواع مختلفة كالغنم أو الماعز أو الدجاج إذا تحقّق الشّفاء . و منهم من يأخذ المريض إلى الزّوايا فيختارون الأيّام الّتي تقام بها الإحتفالات الدّينية و قيام الحضرة فيدخلونه داخل هذه الحلقة و ذكر الله قائما و بسرّ الذّكر و النّيّة الصّالحة يرجى أن يقوم المريض معافى.

و في ذلك تقول د. منال عبد المنعم : " إنّ للحضرة أثرا فعّالا في الشّفاء من الأمراض البدنيّة المختلفة و إن كان هذا يتوقف على صدق المريد و إعتقاده... بالإضافة إلى كثير من الحالات الّتي تحدث عنها المريدين كالشّفاء من الصّداع و ضيق النّفس (الرّبو) و كثير من آلام البطن و غيرها من الآلام الّتي تصيب الإنسان و قد إنتهت تماما بإنتهاء الحضرة " [1]

و للحضرة أثر كبير على النّفس قد يفوق أثرها على البدن و ذلك أنّ الحضرة قد تشكل في الكثير من الأحوال الصّحّية ، غذاءاً للرّوح . إذا أنه قد تكون " بمثابة شحن للبطاريّة " لذلك لها أثر فعّال في تهدئة النّفس و الطّمئنينة و تجديد الحال لدى المريد لتقويته من حين لآخر عن طريق الغذاء الرّوحي الّذي لا غنى عنه فالحضرة للمريد من أهم وسائل الوقاية من كافّة الأمراض البدنيّة و النّفسيّة كما أنّها بمثابة الدّواء الشّافي من كلّ داء..." [2]

---

[1] و [2] د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 244

و الجدير بالملاحظة أنّ هذا الأمر متداول في أقوال المريدين و أنّ بعضهم يرون أحوالا عديدة في التّخلّص من مشكل عويص أو مرض عضال يتعسّر على الطّبّ العادي معالجته . و الغريب في هذا الأمر ليس موقف من يثق في هذا النّوع من العلاج الرّوحاني و إنّما الغريب حقّا في من ينكره و يجد دوماً تفسيراتٍ تلائمه و تلائم ميوله الأديني كأن يقول مثلا :" لقد شفي المريض لأنه إعتقد نفسيّا في علاجه بهذه الوسيلة " و لو قال :" لقد شفي المريض لأن نيته في العلاج صادفت كفاءة روحيّة في العلاج " لكان أقوم !

إذاً الحضـــرة هي بمثابة الغـــذاء الرّوحي للفقراء ، إذ تعمل على تهدئة النّفس و الأعصاب، و تجعل الفرد يحسّ بالسّكينة و الطّمأنينة — هذا ما أكّده غالبيّة من تناول البحث — خاصّة أثناء فترة الذّكر في الظّلام أي تغميض العينين، ففيها يتمّ نوع من التّطهير النّفسيّ عن طريق محاولة إخراج كلّ الإنفعالات و الإضطرابات.

إنّ التّصوّف وسيلة تواصل مع العالم ما وراء الطبيعة الّذي يحقق ترك الحالة البشرية المتضمّنة في السّحر و في المشاركة الدّينيّة إلى عالم الألوهيّة. و لهذا فإنّ الزّهد و البحث عن الغبطة قد يوجد في كلا الحالتين.

هناك قبائل بدائية يصنفها روث بنيديكت (Ruth Benedict) ضمن القبائل الدّيونيزيّة (Dionysienne) تلجأ إلى وسائل شتى لوضع الفرد في حالة عقلانية خاصّة تسهّل المشاهدات و يمكن إستعمال الموادّ السّامّة ، المخدرات و الرّقصات الجامحة — و " الإمتلاء " هو في أغلب الأحيان ناتج عن هذه الممارسات (1).

و أخيراً هناك رقصات تستهدف بالخصوص إنشاء الغبطة (Extase) يعني جعل الأفراد في وضعية نفسيّة خاصة ، تمكنهم الوصول إلى الهلوسة و المشاهدة و الإندماج في عالم صوفيّ أي باطنيّ .(2)

في هذه الأبيات من ميميّة إبن الفارض و الّتي يبيّن فيها الدّور الرّوحي و العلاج للحضرة الإلاهية و يقصد بها ' الحضور' و هي الحالة الّتي يصل إليها الصّوفي عن طريق الذّكر القلبيّ المركّز أثناء حلقات السّماع الصّوفيّ (مجال الحضرة) :

---

(1) Jean Cazeneure P 68 L'ethnologie
(2) Jean Cazeneure P 361 L'ethnologie

فَمَا سَكَنْتُ وَ اَلْهَمُّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ ... كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّغَمِ الْغَمُّ

وَ لَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ ... لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَ إِنْتَعَشَ الْجِسْمُ

وَ لَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا ... عَلِيلاً وَ قَدْ "أُشْفِى لَفَارَقَهُ السَّقَمُ

وَ لَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَائِهَا مَقْعَدًا مَشَى ... وَ تَنْظُفَ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقَتَهَا الْبُكْمُ

وَ لَوْ عَبَقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيبِهَا ... وَ فِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَلَهُ الشَّمُّ

وَ لَوْ جُلِيَتْ سِرًّا عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا ... بَصِيراً مِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

و كم من مريض أدخل أثناء العمارة في الزّاوية المامشاويّة، وسط الحلقة و شفي بإذن الله نتيجة تلك النّفحات الرّبانيّة.

و عرف عيساوة و حمداوة أيضاً بهذه الميزة فنتيجة الآلات الموسيقيّة التّي يضرب عليها و السّماع المتداول لديهم بإشفاء مرضاهم بإذن الله و خصوصاً عند قيام الحضرة.

6-2 أنواع الحضرة :

لقد قمنا بوصف العمارة من البداية إلى النهاية في الزاوية المامشاوية فهل أداء العمارة هو نفسه في جميع الزّوايا الشّاذلية أم هناك إختلاف أو تطوّر ؟

من خلال حصّة حضرناها أثناء الإحتفال بالمولد النبوي في الزّاوية الهاشميّة الشّاغورية (1) ، الكائنة بحيّ " بودغن " لاحظنا نقاط الإختلاف بين أداء العمارة في الزّاوية المامشاويّة و أدائها في الزّاوية الهاشمية . فإنطلاق العمارة في الثّانية لا يأتي بسرعة و إنّما يمهّد لها الذّكر بالجلوس " لا إلاه إلا الله – الله——هو " إذن تبدأ العمارة بالجلوس في المرحلة الأولى ثم تؤدّى بالقيام . و يختار القطب الّذي يسيّر الحضرة بعد مرحلة أحد المريدين و يسلّم له تسيير العمارة و هذا الأخير يفعل ذلك ثم يسلّم لمريد آخر ، و تسمّى هذه المرحلة " بِالْأَرْضِيَّةِ ".

هل هذا الإختلاف أضافه الشّيخ إبن يلّس لمّا إنتقل إلى دمشق في سوريا أم أضيف من طرف من خلفه ؟ أم أنّ الحضرة تأثّرت بإحدى الطّرق السّابقة في دمشق؟

و نتساءل عن سرّ الإختلاف بين أداء العمارة بين الطّرق الصّوفيّة و على سبيل المثال بين الطّريقة المولويّة و الطّريقة الرّفاعية و الطّريقة الشاذليّة؟

---

(1) شيخها السيد الشريف بوعافية .

الحضرة الشاذلية العلوية الحاصلة عن سيدنا علي كرم الله وجهه

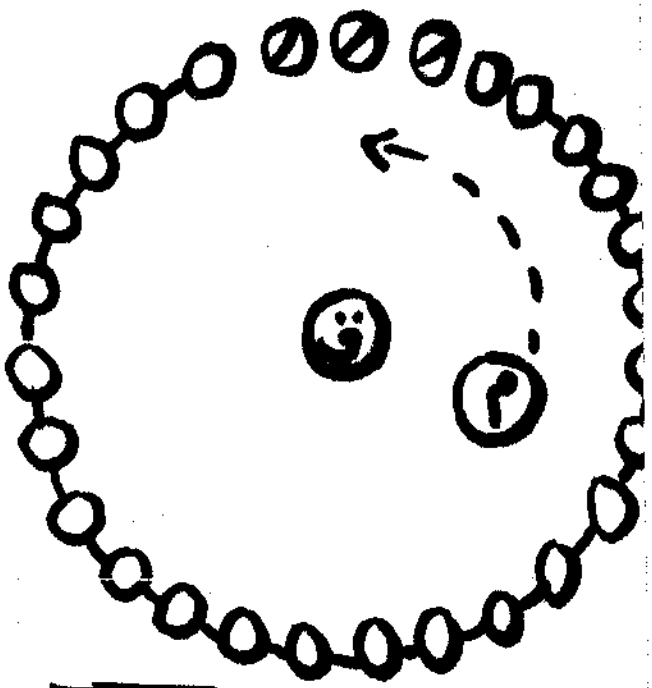

حلقة العمارة أحادية الدائرة

ق القطب
م مساعد الفقير
ف المستمع

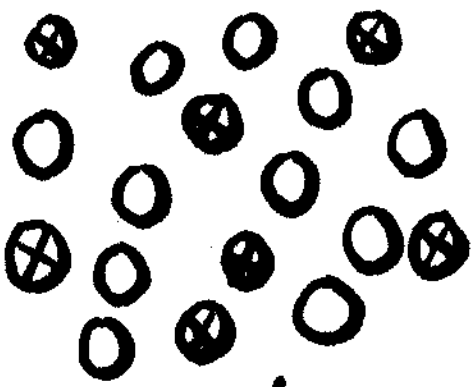

مريد رجل
مريدة وامرأة

الحضرة الرفاعية (العدية) الحاصلة عن سيدنا أبي بكر الصديق (ض)

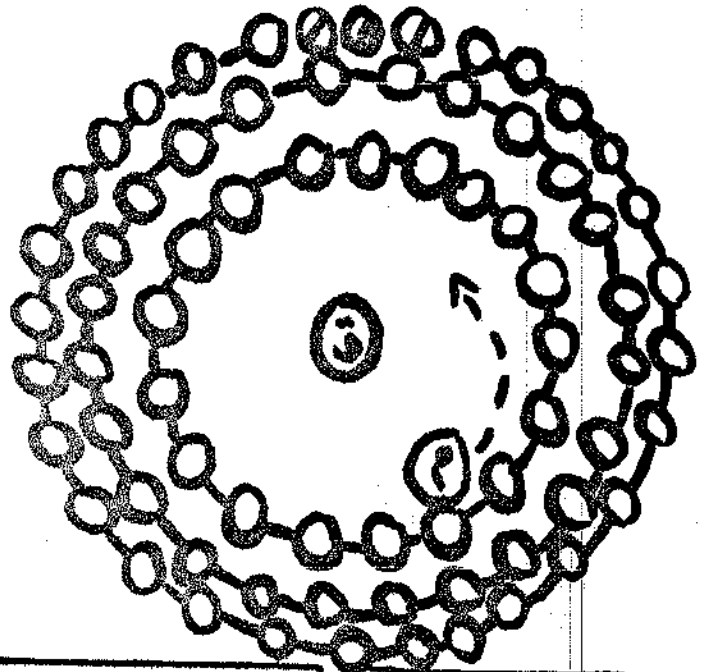

حلقة العمارة ثلاثية الدوائر

مريد تشابك الأيدي

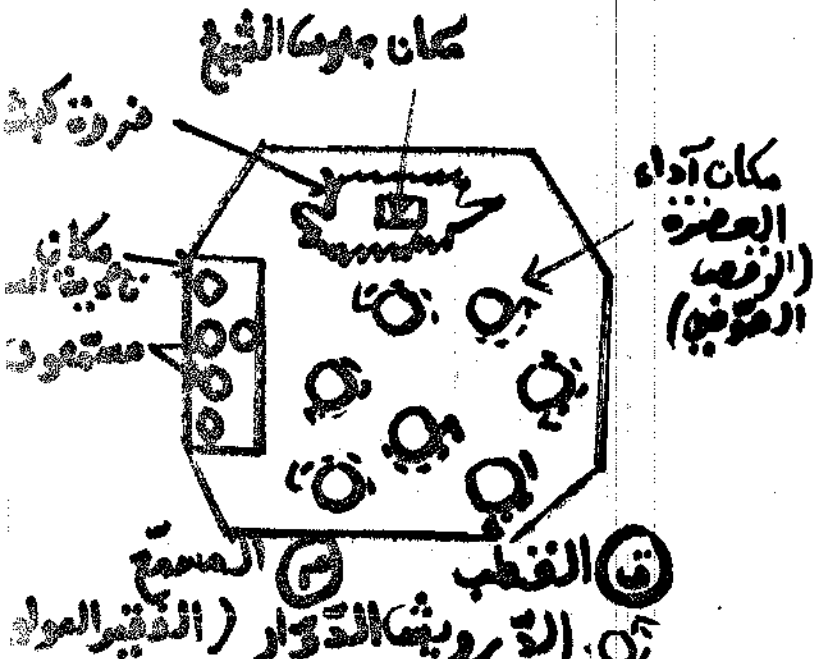

الحضرة المولوية الأحمدية الحاصلة عن الرسول (ص)

أ / الحضرة العيساوية :

ظهرت الطّريقة العيساويّة بمكناس و لها تفرّعات ليس فقط بشمال إفريقيا و إنّما في مصر و سوريا و الحجاز أيضا (1)

أسّسها الشّيخ الهادي بن عيسى و أصلها شاذلي و جزولي في نفس الوقت و هي من الطّرق الصّوفيّة السّنّيّة.

و تكتسي الحضرة أو العمارة في هذه الطّريقة أهمّية أكبر من حيث الأفكار أو الزّهد و الهدف منها هو الوصول إلى الفناء بفقدان الوعي و هذا بواسطة حركات إيقاعيّة عنيفة و مستمرّة و مع هذا فإن الحضرة يسبقها الذّكر .

و الجمع يكون كلّ جمعة زيادة عن الإحتفالات عند الخواص و "وعدة الشيخ الهادي بن عيسى" أي الإحتفال السّنوي بالشّيخ و هو الموسم .

فالبعض منهم له قدرة علاجيّة و بالخصوص علاج الشّلل (LA PARALYSIE) بواسطة وضع اليد على المكان أو الدفل عليه أو بالدلك بذكر الله و الصلاة على رسول الله و ذكر الأولياء الصالحين.

كذلك يروّضون الأفاعي مدّعين العلاج بها و منح الوقاية من لسعتها .(2)

و يقومون أيضا بإخراج العارض من السّحر و المسّ الذّي يصيب الإنسان و في الآخر لهم عادة تكمن في منح لكل مريد جديد إسم حيوان و يطلبون منه أن يقلّد سلوك هذا الحيوان أثناء الحفل .

و قد تمكّن بعض الفقراء من الزّاوية المامشاويّة من حضور الحفل السّنوي لقرية ولهاصة وشاهدوا في المسجد طقوس إستقبال الحضرة النّبويّة و تتمّ هذه العمليّة بنشر بساط أخضر يجلس حوله المريدون و يمضون وقتاً طويلاً في الذّكر و السّماع وتقوم الحضرة و هي مخالفة للطّريقة الّتي تقوم بها الحضرة المامشاويّة فيخرج المريدون إلى السّاحة الشّاسعة الّتي تتوسّط القرية و كلّ فرقة تقوم بحضرة خاصّة (3)

" فهذا مريد صدره عار يقوم بحضرة فرديّة و عيناه مغلوقتان هو من العاصمة يسعى إلى إخراج العسل من أصابعه و يبقى الصّدر عاريًا لكي لا يتّهم بإخراجه من كمّ قميصه.

---

(1) Revue Africaine,tome 68,p 312

(2) و (3) شريط فيديو حول السماع و الحضرة في الطريقة العيساوية

و في جهة أخرى جماعة متكوّنة من ثلاث مريدين أرجلهم حافية يُحضِرّونَ ساعة حول نار مشتعلة و بعد وقت معيّن يدوسون الجمرات بدون أن تحترق أرجلهم و كأنّ الإحساس يخدّر عندهم. و في مكان آخر تقوم جماعة أخرى بحضرة خاصّة بتحريك السّيف و بعد وقت وجيز يضرب أحدهم ساقه بالسّيف فتجرح بشرته بجروح واسعة و يمرر لسانه على كفّ يده اليمنى ثم يمرّرها على الجرح فيختفي كأنّه لم يكن .

و هناك جماعة أخرى تضرب البندير أحدهم يعزف على المزمار يروّضون إثر أنغامها أنواعاً من الأفاعي ثمّ يأخذ واحد منهم أفعى و يجعل رأسها و فمها مفتوحاً أمام لسانه فلا تفعل له شيئا .(1)

و بدأ المريد الآتي من العاصمة يتقاطر من يده العسل و شرع في قطف الحلويّات من نوع (DRAGEE) من جدار ليس به أيّ شيء فتمضي اللّيلة هكذا حتّى الصّباح (2)

فنلاحظ بأنّ الطّقوسات تختلف تماماً من الحضرة العيساويّة إلى الحضرة المامشاويّة مع العلم أنّها تنحدر من نفس الطّريقة الشّاذلية.إلاّ أنّ طريقة الشّيخ الهادي بن عيسى أخذت أيضا عن الشّيخ الجازولي فإختلطت ربّما الطّقوسات.

ب/ السّماع في الطّريقة المولويةأو الجلاليّة:

لقد أسّس الطّريقة المولويّة الصّوفية، الصّوفي الشّهير جلال الدّين الرومي (3) 1203-1273 م.

و المولوية تعتمد أساسا على السّماع " sema" ، يقول جلال الدين الرومي :" من بين الطرق الّتي توصل إلى الله ، إخترت تلك الّتي تقوم على الرّقص و الموسيقى " (4)

(1) شريط فيديو مسجل " الحضرة عند عيساوة "

(2) شهادة بعض من زار هذه الزاوية

(3) مولانا جلال الدين محمد البلخي الرومي - توفي سنة 672 – المعروف بالمولوي صاحب المثنوي – ديوان الشعر يتألف من 47.000 بيت مجموع في ستة كتب ، و هو مجموع كبير يشبه الكوميديا الإلاهية يحتوي على أفكار دينية، أبيات، قصص و يعد من اهم الكتب في العالم الإسلامي بعد القرآن الكريم ، و سمي كثيراً بنوراة إيران ، مصدره هو القرآن ، و فيه بصمات لتيارات مختلفة لمدارس صوفية أخرى كالفلسفة الأفلاطونية الجديدية . يقول جلال الدين الرومي فيه : لم أغن المثنوي ، لكي تحفظه أو تكرره ، بل حتى تضع هذا الكتاب تحت الأقدام و تطير معه و هو سلم الترقي إلى الحقيقة. و هو بحر من الكلمة و المعرفة و النقاط الدقيقة من المعرفة الروحية ذو اجتماعية و العرفانية ، و هو من شعراء من الطراز الأول من العرفانيين ، أصله من بلخ ، خرج مع والده لزيارة بيت الله و لقي الشيخ العطار في نيسابور ، ثم الشيخ شمس الدين التبريزي و ذكره في المثنوي ، و حزناً على وفاته أسّس جلال الدين الرومي السّماع - P 156 – Le Soufisme et la Dance –Michel RANDOM

(4) - P 156 – Le Soufisme et la Dance –Michel RANDOM

و يبدو أنّ " أعظم و أفضل الملحنين الموسيقيين الأتراك كانوا من المولوية، و من ثم تعدّ بدائع الموسيقى المولوية هي أثمن ما في الخزينة الموسيقية التركية " (1).

و إذا كانت الطرق الصوفية عموما هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن ظهور و إستمرار الموسيقى الدّينيّة الصّوفيّة، فتعتبر الطريقة المولوية هي الأكثر بروزا في هذا المضمار الفني. كما أن أشعار و قصائد رجال الصّوفية المشاهير مثل : الرّومي و سلطان ولد، و يونس إمره و سليمان شلبي هي المادّة الدّسمة و حجر الأساس في تشكيل الموسيقى الصّوفية التّركية.

و في مدينة قونيا (2) في الماضي البعيد، ظهرت الموسيقى الصّوفية في بساطتها الأولى على أيدي دراويش الطّريقة المولويّة، حيث كانوا ينشدون قصائدهم من المديح و الثّناء في حقّ الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و في صحابته الكرام و آل بيته الطّاهرين، و كذلك مدحا في رجال الصّوفيّة الكبار ، و كان ذلك في زوايا الطّريقة الّتي إنتشرت في مدن جنوب ووسط الأناضول مثل : قونيا و قيصري و سواس و آقسراي.

و لم تعرف الموسيقى الصوفية في بدايتها غير مقامات و آلات موسيقية بسيطة مثل الناي و الدف الساز (3) . و تعرف الموسيقى الصوفية عند الأتراك عموما بإسمين اولهما " سماع" أوالسماعي (4) و هي الموسيقى التّي تعزف في الحُجرة المسمّاة بـ " سماع خانه **sema - hane** ". و التي تقع في داخل زاوية الطّريقة المولوية (5) أو تلك الأشعار الغنائية الّتي تغنى في الـ " مشك خانه " **mesk – han** " (6) أمّا النّوع الثّاني للموسيقي الصّوفيّة فيحمل إسم إلهي " **ilahi** " و هو من الشّعر الصّوفي التّركي (7) و الإلاهي أيضا ، و هو المنظومات و القصائد الّتي تتحدّث عن أوصاف الله تعالى و رسوله الكريم و تحتوي على أدعية (8)

(1) قالها رووف يكتابك في أحد مراسم السماع الصوفية التي أقيمت في إستنبول عام 1934

(2) عاصمة الدولة السلجوقية ، 1299/1237 م الواقعة في جنوب تركيا

(3) آلة وترية تشبه العود و لكنها أصغر حجما منه

(4) هو نوع من الأشعار أو الكلمات المستخدمة في الموسيقى التركية ، و هو أيضا الذكر الديني القائم على الدوران وقوفا و المصحوب بالموسيقى التي تستخدم فيها آلات موسيقية مثل الناي و القانون

(5) المرجع السابق ، ص 1050

(6) المكان المخصص للعزف الموسيقي

(7)المصدر السابق ، ص 573

(8) - يكي رسملي كوركحه قاموسي، ص 77 ، يكي شرق كتبخانه سي، حاجي قاسم زاده. م حسين : إسطنبول (معلومات مأخوذة من شبكة الأنترنيت و موقع – غوغل- .

فعلا ، فإنّ الموسيقى لا تذكّر بالوحدة الأصلية و هي النور الفطري الموجود في اللّيل فحسب ، بل و أيضا ذكرى الإتحاد لذا تتطلب الموسيقى أن تسمع بأذن يقظة أي الإستماع إلى ما هو في حالة لذّة خاصّة و ليس أن ننوّم الحالات الرّوحية المكتسبة كالفناء و المعرفة . تستطيع الموسيقى هكذا أن تجمع كلّية الصّفات و ليس هناك آلة أحسن من النّاي للتّعبير الموسيقي كما كان يحبها جلال الدّين الرّومي ، لأنّ النّاي هي الآلة الوحيدة الّتي في قدرتها أن تعبّر عن الرّغبة العجيبة في الإتّحاد الموجودة في الإنسان لله ، و من جهة أخرى يشتكي النّاي من فراقه للقصبة كما يشتكي الإنسان من فراق أصله ، و النّاي قصبة ننظّفها من الدّاخل بحديد من نار لكي يصفّى باطنها فتعطي الأنغام الشّجية في إيقاع حزين – موسيقى روحيّة تسبّب حالة غبطة و خصوصاً عند إضافة أنغام الأرغول ، كذلك على الإنسان أن ينظّف نفسه من أنانيته و يطهّر باطنه ليتّصل بمولاه . فالنّاي يخضع لنفس العازف و الإنسان يخضع لوحي إلاهي (1).

و قال نفس الشّيء عن الرّباب و السّطار و الصّنطور الّتي تملك مجموعة من الأوصاف الموحّدة .

يطلق المولويّون على الفقير كلمة دَرويشْ ، و اليوم أصبحت كلمة مريد تطلق على الشّخص المرتبط بإحدى الطّرق الصّوفية ، بينما يطلق على المنشد أو الدرويش الذي يغني الأغاني الدينية إسم سماع زن " **SEMAZEN** " (2) أو مولدخان .

" إنّ السّماع (3) في هذه الطريقة يقام في قاعة رقص خاصّة به و هي قاعة مقسومة في مركزها عادة بدربزين أو حاجز مفرغ ثماني الأضلاع (و عدد ثمانية كما هو معروف يشير إلى اللاّنهاية) و يبقى الجمهور خارج هذا الدّربزين. أمام المحراب توضع فروة كبش سوف يجلس عليها المعلّم أو الشّيخ فوق باب القاعة و يوجد عادة رواق مرتفع يأخذ مكانهم بواسطة أفراد الجوق و العازفون على الطّبل.

---

[1] Le Soufisme et la Dance –Michel RANDOM P 156

(2)لبنت ناجي ، قاموس عثماني ، ص 481، دار الدعوة ، إسطنبول 1987

(3) و السماع Sema لدى المولويين يقصد به سماع الألحان المعزوفة و كذلك الحضرة (الرقص الصوفي)

و الدّراويش المؤهّلون يقفون على يمين الباب الصّغير بينما يقف الدّراويش المبتدئون على يساره . يشـــرع في السّمـــاع بتلاوة القرآن الكريم ثم تليه الصّلاة على الرّسول (ص) و على آله و صحبه و الترحّم على مؤسّسي الطّريقة.

و بعدها يبدأ العزف على النّاي ثم الدّق على الطّبول. و يقوم الدّراويش و يتقدّمون في صفّ و يدورون ثلاث مرّات داخل القاعة في الإتجاه المعاكس لدوران عقارب السّاعة أي من اليمين إلى اليسار، و يبقى الشّيـــخ جالســـا. ومع الإنتهاء من دوران الدراويش يقوم و يقف على يسار فروة الكبش بعد أن ينحني إلى اليمين. يأتي " السّماع زن " و يقف على يسار الفروة و ينحنيان كلاهما و كل واحد يؤدي التحية للآخر و يتابعان الدّوران حول أنفسهما ثلاث مرات و بعدها يعود الشيخ إلى مكـــان جلوسه بعد تقـــديم التّحيّة من جديد و عندها ترتفع أصوات المسمعين مرافقة بعزف الناي و ضرب الطبـــول. و سمـــاع يتبع سماع و كلّ سماع ينتهي بتحية؛ ثم بعدها يقف الدّراويش و يترعوا ردائهم كاشفين عن لباسهم الأبيض و يستأنف للسير يقوده " السماع زن " الذي يصل أمام الشيخ يقبّل يداه و كل الدّراويش يفعلون مثله، و مباشرة بعد تقبيل يد الشّيخ يرفع الدّراويش اليد اليمنى نحو السّماء و يمدون اليد اليسرى نحو الأرض و الرّأس منحني نحو اليمين و يشرعون في الدّوران و يقصدون بحركتهم هذه من الله نأخذ و للإنسان نعطي ، إنّنا لا نحتفظ بشيء لنا ; و هي صفة الاّ متناهي [1].

و في مركز القاعة يأتي أحد الدراويش أكبر سنا يدور حول الدراويش الآخرين ، فهو إنطلاق رشيق و عجيب لعباءات بيضاء دائرة بإنتظام كامل تحت مراقبة "السماع زن"

ثم يشرع في الفقرة الثّانية بتغيير الموسيقى على إيقاع أسرع. في النوّطات يعود الدراويش و يرتدون رداءهم من جديد. و تؤدّى الصّلوات على الرّسول (ص) و أهل البيت نحو الخروج متبوعة بالدّراويش و الجوق.

و ترافق هذه الرّقصة العديد من الأمور الدّقيقة يكتمل بها المعنى. فالدّورات الثلاث ترمز إلى المراحل الأربع المكّونة للترّقي الروّحي. أوّلا الشّريعة،و ثانيا الطّريقة،و ثالثا المعرفة ، فرابعا الحقيقة.

---

[1] معلومات مأخوذة من حصة – ألف طريق و طريق – المقدمة في حزتين في القناة الفضائية – العربية – بتاريخ 2003/09/27

أمّا التّحيات الثلاث تشير إلى الدّرجات الثّلاث الخاصّة بالإيمان و حتّى اليوم الدّائرة الّتي يقوم عليها الدّراويش رقصهم مقسومة إلى إثنين و القطري الذي يفرق بينهما يرمز إلى الطّريق المباشر المؤدي إلى الإتصال بالحضرة الإلاهية. و هذا القطري يبدأ من بساط الشّيخ حتى باب القاعة و منع وضع الأرجل عليه. و الدّائرة المقسومة هكذا يمثل في إحدى قسمته إلى ترقيّــة الرّوح و في النّصف الآخر إذماجها في الوحدة النّهائيّة و يدخل الشّيخ الرّقص و يقف أحيانا في مركز الدّائرة و في هذه الحالة يقع الوقت الحاسم حيث تتحقّق وحدة الكلّ فيه.

لذا يقال "إنّ السّماع يكشف الأسرار الكبرى يمثل الموت لنفسه فيندمج الإنسان في الواحد و يدخل هكذا في الفناء. يصبح الرّاقص كائنا للحبّ يتفتح إلى الحبّ و أيضا الكائن الّذي يتجلى فيه هو الحبّ. فهو يشبه العاشق الّذي يحبّ أن يعرف و يكشف معشوقته في قلبه و مشاهدة الوحدة الّتي هي غذاءه.

و يقول جلال الدّين الرّومي : " فَالْيَوْمُ هُوَ السَّمَــاعُ ، اَلسَّمَــاعُ ، اَلسَّمَــاعُ
هُوَ نُــورٌ شُعَــاعٌ ، شُعَــاعٌ ، شُعَــاعٌ
نَخْضَــعُ لِلْحُــبِّ نَخْضَــعُ نَخْضَــعُ
نُــوَدِّعُ الْعَقْــلَ الْــوَدَاعُ الْــوَدَاعُ
مِئَاتٌ مِنَ الْأَمْوَاجِ تَنْكَسِرُ عَلَى قَلْبٍ بِخَيْرِ السَّمَاعْ " (1)

و يبقى هدف السّماع هو تحقيق الوحدة الباطنية. و لمّا يجتاز الرّاقص كلّ المراحل وكلّ درجات الرقص يمكن أن يجلس و يمكن أن يظهر ساكناً لأن كل شيء الآن يرقص فيه. هذا ما فعله الجنيد (ض) في آخر حياته لمّا انتهى من الرقص و جلس أثناء السماع. فمثل ذات يوم : " يا شيخنا لم انتهاؤك من الرقص مع مريدك؟ "

فأجاب بقوله تعالى :"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ" يعني أنه بوقوفه خارج الرقص و الوجود في الظّاهر بينمــا في الحقيقــة اصبح في الباطن هو الرقص و الوجد فــ " ليس كلّ قلب قادر على تجربة السّماع . كلّ قلب إنذمج في بحر القلوب يعرف الغليان نتأثر بهذا الرّيح فيعطي السّماع".

(1) Michel RANDOM –op.cit – P 156

فالسّماع هو مرآة راقصة بل أوسع هي رقصة الكون الظّاهرة أو الباطن و هو سفر يمكن للكون و للدّرويش أن يستفيظ أن ينفتح إلى مشاهدة التّرقيات الآمتناهية. (1)

و يقول أيضا :" إطلع يا نهار، إنّ الذّات ترقص" و الرّقص أو السّماع هو قبل كلّ شيء سرور الذّات و الرّوح المتحرّكة لتعبّر عن وحدة الذّات الباطنيّة و الذّات الكونيّة.

والأرواح (1) الهائمة في الفناء ترقص

و من أجل هذه الذّات يرقص سقف السّماء"

و هذا من إنشاد مولانا، و هذه الرّقصة الآمتناهية للذّات ترمز لمستقبل الحياة الآمتناهي و هي في نفس الوقت إنسجام الذّات مع الكون.

فالرّاقص إذاً يدور حول نفسه فهو يمثّل نقطة و دائرة في نفس الوقت فهو محور العالم. بواسطته تتّصل الأرض بالسّماء و يدخل الجميع في الحركة .

و أيضا الشّيخ الّذي يقف ساكناً في مكانه يرمز إلى هذه النّقطة في حين أنّ الدّراويش يدورون حوله. فهو المركز الّذي يعبر مستقبل العوالم عن نفسه حوله. و على يساره يوجد العالم الباطني و على يمينه يوجد العالم الظّاهري أو الخارجي.

و النّقطة الّتي يمثّلها الرّاقص ما هي سوى إمتداد للدّائرة. لأنّ الإنسان في الحقيقة لا يترك النقطة المركزيّة و مثلها الذّات لا تنتقل إلاّ من الله إلى الله فهو لا يسير إلاّ من النّقطة و من النّقطة إلى النّقطة و من المركز إلى المركز. و كلّ ما هو خارج عن المركز ما هو سوى صيغة الظّهور و الظّهور هو أصل صورة الحياة و مسيرها لا يتحدّد إلاّ بالنّسبة لهذه النّقطة الّتي هي إمّا مركز الدّائرة و إمّا أصل لولب.

و كلّ نقطة من الدّائرة تمثّل حالاً و لكن مع الحركة تعبّر عن سكون المركز:

ما هو ثابت و ما كان و يكون في كلّ زمان، النّقطة المركزيّة الّتي تنصهر فيها الذّات و عدم الذّات ، يقول الشيخ إلى المريد :" دُر حول مركز ذاتك و تحرّك حسب ميولك " ما يعني " إذا وجدت مركز ذاتك إفعل ما تشاء ".

---

(1) Michel RANDOM - op.cit -P 174

و إبعاد المركز هو الشعور بالكلية أي الوصول إلى حال خارج عن السّببيّة لا يعني خارج قانون الحدث. و في هذا المعنى تعني رقصة الدّرويش أصل المسار أو التّعلم للمبتدئ و معرفة لا حدّ لها.

و يقول الشيخ جلال الدّين الرّومي" إنّ الموسيقى الّتي تعزف من طرف الصّوفيّة و يكون لها تأثير على النّفس يكون صوتها كصوت إنشقاق السّماء و إنفتاحها ."

و يقول بعضهم بأنّ العازف لمّا يغلبه الوجد يملك سهولة عجيبة على العزف و جهوريته تتغيّر و الجملة الموسيقية تبوح له بسرّها. فينفجر الإبداع و أصل الموسيقى يبرز متحرّرا من التّداخلات المألوفة للإنسان البشريّ.

العمـــــــارة	عنـــد الشـــاذليين	العمـــارة عنـــد الـــمولويين
اليلّسيين بتلمسان	اليلّسيين بدمشق (1)	عدم اللّجوء
عدم اللجوء إلى الأرضية	اللجوء إلى الأرضية	إلى الأرضيّة
الإنطلاق من الوجد	الإنطلاق من التواجد	الإنطلاق من الوجد
القطب يستمرّ في تسيير العمارة من البداية إلى النهاية	القطب يترك مكانه لقطب آخر تختاره حسب مقايس باطنيّة	القطب يبقى جانبا تاركا الساحة للدراويش و هو واقف يلاحظ حركاتهم و قبل بداية كل درويش في الرقص يضع يده اليمنى على كتفه اليسرى و يده اليسرى على كتفه اليمنى و يتحّي القطب.
العمارة على شكل دائرة	العمارة على شكل دائرة	العمارة في مكان مخصص لها و اللباس الخاص الذي يلبسه الدراويش يكوّن دائرة أثناء الرقص و الدوران حول أنفسهم

(1)قرص مضغوط (CD) به نموذج عن العمارة اليلسية بدمشق.

III -الفصل الثالث: السّماع الصّوفَي و الحضرة في الزّاوية المامشاويّة :

3- المبحث الثالث : مكانة الطقوس ضمن برامج الزاوية المامشاوية

1.3: الطّقوس

2.3: السّماع ضمن البرنامج اليومي بين عهد الشيخ بن مامشا و خليفته

3.3 : أ / أهمّية الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بتلمســـان

ب/ الإحتفال بالمولد النّبوي الشّريف بالزّوايا التّلمسانيّة

4.3: السّماع و الحضرة في البرامج الإحتفالية (المناسبات) :

أ / برنامج الإحتفال في ليلة المولد النبوي الشريف سنة 2002م/ 1423 ه

ب / الإطعام في الزّاوية المامشاويّة

ج / أهمية إنشاد قصائد الإمام البوصيري في المولد النبّوي الشّريف

د / تعليق على ظاهرتي السّماع و الحضرة في الزّاوية المامشاويّة

الخـــــاتمة

3-1الطقـــوس :

إنّ الطّقوس مجموعة من السّلوكات أو القوانين المنتظمة تحدّد مجرى ممارسات دينيّة بصفة عامّة أما في الأنثروبولوجيا ، فإنّ الطقس يعني عملا أو إحتفالا يهدف إلى توجيه قوّة خفيّة نحو فعل معيّن . (1)

و إنطلاقا من وصف " إميل دوركهايم " (EMILE Durkheim) لحفل بدائي في إحدى القبائل الأسترالية يقول ريمون آرون(R.Aron) : " فلنتخيل جمهورا في حفل هو في آن واحد إحتفال و عبادة ، أفراد تجمعهم ممارســات جماعيّــة و أفــعــال موحّــدة ، يرقصون و يصرخون – فالإحتفال و هو نشاط جماعيّ تخرج الفرد من ذاته و يجعله يشارك في قوّة الجماعة و تعطيه الشّعور بشيء ليس له مثيل في الحياة العادية و الّتي يجرها بملل و هذا الشّيء الخارق و السّامي في نفس الوقت هو القوّة الجماعيّة و هو أيضا شيء مقدّس.(2)

و هذه الممارسات، تصطحب بطقوس سلبيّــة – إيجابيّة أو ما يسميّهــا دوركهــايم " Piaculaires " أو خاصّة بالتّضحية .

أما الطّقوس السّلبية تخصّ الممنوعات و الطّقوس الإيجابيّة تخصّ التّجمع و الإخصاب والإستهلاك.

من خلال هذا المفهوم يمكن لنا القول بأن الممارسات الصّوفيّة و ما يصحبها من طقوس تدخل في إيطار النّوع الإيجابي لأن لها وظيفة إجتماعية كبرى و هي إبقاء مجموعة المريدين متماسكة بتجديد و تقوية الشّعور بالإنتماء إلى الزّاوية و الطّريقة الأصلية ووظيفة روحية تتمثل في إستمرارية العقيدة و الإيمان و تقوية الرّوابط مع ما يسمّونه " أهل الله " و الّذي يضم الأولياء الصّالحين و العارفين بالله و الصّحابة الكرام و أهل البيت.

---

(1) نور الدين طوالبي ، " الدين و الطقوس و التغيرات ، ص 37 – بتصرف.

(2) Raymond Aron , « Les étapes de la pensée sociologique » , P347-357

رضي الله عنهم أجمعين و شخص الرّسول صلّى الله عليه و سلّم .

و مثلما " لا يمكن للدين البقاء إلا بالممارسات رموز المعتقدات أسلوب تجديدها " (1) فالسّلوكات الصوفية هي دعائم المعتقد لدى الفرد المنتمي.

و إذا كانت الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في أنه يشرح و يفسر كل مل هو غامض في الحياة الإنسان إلى جانب دوره في إعادة شعور الطمأنينة و الراحة من خلال بعض طرقه و أساليبه في التغلب على المشاكل عموما و المعاملة مع الأمور المجهولة في الحياة كما تقترح ذلك الد.منال عبد المنعم فالوظيفة الأساسية الطقوس و الممارسات الصوفية لها دور الكبير في تحقيق الطمانينة و التخلص من التوتر و الإنفعال و مقاومة اليأس و القنوط بيد ان وظيفة الذكر الرئيسية هي الطمأنينة القلوب كما جاء في القرآن الكريم: " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " و كما ورد في الحديث النبوي الشريف : " أَلاَ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ فَإِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَ هِيَ الْقَلْبُ ".

تختلف الطقوس الصوفية عن طقوس الأسلاف الّتي تستمر بعض القبائل البدائية في الإحتفال بها من أجل إرضاء السّوّاح الذين بالمقابل يقدمون هدايا ثمينة لأن الجماعات الصوفية إذ هي غيرت البعض من لباسها على ما كانت عليه ألا إنها لا تحتاج إلى السواح و هداياهم و تحافظ على الطقوس لأن هدفهم واحد و هو الله حيث يعتقد أهل التصوف أنهم على إتصال به .(2)

إنّ السّماع يمثّل ضمن الطّقوس الصّوفية المجال الروّحاني الّذي يتبع للمتلقي ليتخلى و لو جزئيا عن عالم المشاكل و الضغوطات اليومية لتسبح روحه في عالم طاهر كلّه صفاء ووفاء ، لا متناهي ينسج الألحان الّتي تتدفّق من صوت المسمّع المؤثّر بألحانه و إيقاعاته ، بصوره و رموزه ليخلق فضاءاً تطمح الأرواح أن تطغى على النّفوس و تتحرّر من قيودها.

---

(1) Jean Caseneuve ,Op. Cit , P347-357
(2) Jean Caseneuve , Op. Cit , P25

و هذه الطّقوس لها وظيفة إجتماعية كبرى و هي إبقاء المجموعة متماسكة – تجديد و تقوية الشعور بالإنتماء الى المجموعة و إستمراريّة العقيدة و الإيمان.

حدّد لينهارد معنى الطقس قائلا : " إنه وسيلة في التّعبير من أجل الإنخراط في عالم خارج الإيطار التجريبي. (1)

يوضّح هذا الأمر على حد كبير مهمّة الطّقس و مجمل الطّقوس الكامنة بشكل عام في إنشاء علاقة حميمية معقولة " عالم الحيـــاة العادية و عالم الأجداد و عالم الألوهيات الأسطوري " (2)

يعارض "كلود ليفي ستروس " Claude-Lévi – Strauss " ربط الإثنولوجيّين بين الطّقس و الأسطورة و يقول أن هذا الإرتباط لا يشمل كل الطقوس بل منها ما تستقلّ نسبيا عن الظواهر الدينية او الأسطورية الثابتة .(3)

و عن وظائف الطّقس الدّينية فكلّ دين توحيديّاً كان أم إحيائيّاً يفرز طقوساً خاصّة به و يستخدمها في نمط ثابت ، لأهداف تذكارية .

و الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في أنه يشرح و يفسر كل ما هو غامض في حياة الإنسان إلى جانب دوره في إعادة شعور الطمئنينة و الراحة من خلال بعض طرقه و أساليبه فيتغلب على المشاكل عموما و المعاملة مع الأمور المجهولة في الحياة، و من تم يتضح أنه من شبه المتفق عليه أن من وظائف الدين الهامة دوره في تحقيق الأمان و الطمأنينة و التخلص من التوتر و الإنفعال و مقاومة اليأس و القنوط.(4)

و الظاهر أن وجـــود الطقوس يرجع الى الحدث الأول الذي جعله آنيا و مبجلا و بقدر ما يشيع هذا الحدث حتما مدلولا دينيا مقدسا و مطمئنا لفكر الإنسان المرتبك، يبحث الإحتفال الطّقسي عن مناسبة لتقرب من القدرة الفوطبيعية التي تقلق و تهيمن في نفس الوقت. (5)

[1] Raymond ARON , Les étapes de pensée sociologique , pp347-357

(2) و (3) نور الدين طوالبي، المرجع السابق ، ص 38

(4) د. منال عبد المنعم ، المرجع نفسه، ص 102

(5) نور الدين طوالبي، المرجع نفسه، ص 38 .

و يطلق عليها روح أو نفس كما سمّاها تايلور (Taylor) أو قوّة أو طاقة كما سمّاها علماء الطّبيعة و أسماء أخرى و هذه الأرواح وجـــدت في أشكـــال كثيرة مختلفة كأرواح الإنسان و الحيوان و السّحرة و العرّافين و الملائكة و الآلهة .

فالرّوح أساس و جوهر الأنيميزم أما " ألمانا " (1) ، فلم تعتقد في وجود الأرواح و إنّما هي قوة خارقة ليست شخصية ذاتيّة تشمل معنى واسع و تدلّ على نوع من الفاعليّة غير الشّخصية الّتي تنفذ للعالم . و قد تتركّز في كثير من الأشخاص و الأشياء و تشبه تماماً الكهرباء أو نوعًا من القوّة المحركة الموجودة في الكثير من الأشياء ممثلّة قوّة روحيّة غير ماديّة مميّز عن القوّة الفيزيقيّة أو الطّبيعيّة (2)

ذكر هاموند " HAMMOND " نوعًا ثالثًا من القوى فوق الطّبيعة و هي الإنسانيّات " Humans" أو القوى الإنسانية الخاصّة بالإنسان الّتي تمكنّنا من تفسير و تعليل حالات كثيرة كشعور الأفراد بإجتياز الأشياء و تحقيقها و تفوق العادة ليس عن طريق الإقتراب من أصل أو مصدر خارجي و إنّما من خلال قواهم فوق الطّبيعة .(3)

و الدّين نوعان ، دين سكونيّ و دين حركيّ . و قد أطلق " هنري برجسون " (Henri Bergson) على السّحر و المانا و الأنيميزم و الطوطمية و الأرواح بالدّيـــن السّكـــوني " STATIQUE " و هذا النّوع يحمل الفرد على التّشبّث بالحياة رغم إدراكـــه العقلـــي بحقيقة الموت و هو لا يحدث نموّا في الشّخصية و في دوافع الذّات البشريّة و يربط الإنسان بالمجتمع فهو دين وجد لإتّقاء الأخطار الّتي يتعرّض لها العقل .

أمّا الدّين الحركي أو الدّيناميكي غير ممتد للدّين السّكوني و لا يمكن كما يضن البعض الإنتقال من السّكوني على الحركيّ في حلقات تدريجيّة و خطوات متتالية كذلك الأخلاق الحركيّة و السّكونيّة .

فالأخلاق الحركيّة ليست نهاية عدديّة كمية للأخلاق السّكونيّة بل كل من الأخلاق الحركية و الدين الحركي لم يخلقهما المجتمع بل أبدعهما الأفراد الّذين يسيرون

---

(1) احد الأنثربولوجيون براي R.R Mareh (1866-1953) م هي أول من إستخدمت هذه الكلمة و إستعارها من اللغة الماليزية و البولانيزية Polynésie /Mélanésie (انظر كتاب التصوف في مصر و المغرب للدكتورة منال عبد المنعم ، ص 103)

(2) و (3) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 102

بالإنسانية إلى الأمام و هؤلاء هم الصوفية حملة الوثبة الحيوية و مكملوها . [1]

2-3 السماع ضمن البرنامج اليومي بين عهد الشيخ بن مامشا و عهد خليفته:

إنّ إحتراف السّماع يشمل الرّحال بالدّرجة الأولى و المنشدين بدرجة كبيرة لأنّ المسمّع الرّجل ينشد في مناسبات تجمع الرّجال و النّساء ، بينما نجد المسمّعات أو المنشدات لا تنشدن سوى أمام تجمّع نسوي ، تطبيقاً لتعاليم الدّين و التقاليد الإجتماعية.

و تجتمع النّسوة عادة في إحدى بيوت الفقيرات ، و يتمّ السّماع في النّهار ، و عادة في يوم الأربعاء لأنّهن إعتدن على التّجمّع بضريح الوليّ الصّالح : سيدي داودي بن نصر [2] في اليوم المذكور ما بين الظّهر و العصر ، أو حتّى ما بعد صلاة العصر، و نوع السّماع المتداول عند النّساء يناسب أنشودة " مَانْ صَابِنِي حْمَامَهْ وَ نْدِيرَ الرّيشْ "[3] و هناك جماعة نسوية صوفية تابعة للزاوية المامشاوية تجتمع كل يوم جمعة بين صلاة الجمعة و صلاة العصر — تقدم فيها دروس و يمارس الذكر الجماعي و تقام الحضرة و العمارة النسوية بالجلوس فقط .

و يراعي المسمع في أدائه المناسبات و الظروف يتم إختيار القصائد حسب السامعين . إذا حضر الشيخ و المقدمون و المريدون جمع السّماع يلق المنشد حسب تدرّج منطقي يبتدأ بالأدبيات و مزايا الطّريق و ينتقل إلى قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و في المرحلة الثالثة لما يرى تجاوب نفسية الحاضرين و يعرف بأنها مهيئة ينتقل إلى قصائد المحبة و الفناء في حب الله و رسوله، فغالبا ما يتواجد الفقراء و يقومون بعمارة ، و إذا خمدت أنوار الوجد ينشد المسمّع قصائد ذات إيقاع بطيئ ليرتاح الفقراء.

---

[1] نور الدين طوالبي ، المرجع السابق ، ص 39

[2] هو الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر ، أصله من مدينة المسيلة و سكن طرابلس ألفى فيها دراسته ، قصد أقادير فأقام بها حتى مات ، و بها ألف كتابه و هو شرح صحيح البخاري ، سماه النصيحة و هو اول شرح لهذا الكتاب القيم و له تاليف اخرى منها كتاب النامي شرح به الموطأ و كتاب الواعي في الفقه و الإيضاح في الرد على القدرية ، فالإعتزال ، قد دخل إلى المغرب مثل الخارجية و الشيعة ، و قد وصل صداه إلى أغادير قد قصد عالمنا الجليل الطلاب و نالوا من علمه الغزير منهم إبن أبي يزيد و النحوي ، توفي رحمه الله سنة 402 هـ /1011م، ضريحه موجود بمقبرة أقادير - أنظر كتاب تلمسان عبر العصور لمحمد بن عمرو الطمار ، ص 38 -

[3] من التراث المجهول المتداول بين النسوة غناها مؤخرا المطرب التلمساني " بوبلترة أنور " بطريقة حفيفة.

كان السّماع في عهد الشيخ بن عودة بن مامشا قد أخذ حصّة الأسد فكان يستعمله بكثرة أمّا القراءة الجماعيّة فكانت مخصّصة في بعض الأحيان . و أمّا الجزء الباقي فهو للدروس و المذاكرة و المواعظ أي السّماع التّعليمي.

روى أحد الفقراء القدامى الّذين عاصروا الشّيخ بن مامشا بأنّه قال ذات يوم لمّا سئل عن القرآن الكريم " سوف يأتي زمن من بعدي يصبح كل فقير حامل للقرآن " و بوادر هذا الخبر بدأت تظهر في الزّاوية منذ تولّى الشّيخ سيد أحمد المامشاوي تسيير الزّاوية.

لقد بدأ الفقراء يقرؤون كلّ يوم ربع حزب من كتاب الله العزيز ثم رفعوا النّسبة إلى نصف حزب بعد فترة قصيرة ثم وصلوا الآن إلى حزب ثم إلى حزبين. و إذا علمنا أنّ الوقت المخصّص للمجلس اليوميّ في الزّاوية هو من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء و إذا أضفنا الدّعوات و الأذكار و قراءة الدروس رأينا أنّ الوقت المخصّص للسّماع تقلّص جدّاً بحيث أنه كان في وقت الشّيخ بن عودة بن مامشا تنشد عدة قصائد مطوّلة قد تصل إلى الخمسة أو عشرة قصائد بالإضافة إلى شرحها و تصحيح شكلها. بينما في الوقت الرّاهن فالعدد لا يتعدّى القصيدة أو القصيدتين القصيرتين و أصبح السّماع مخصّصا في اللّيالي الطّويلة و الإحتفالات الدّينيّة السّنويّة كليلة القدر المباركة ليلة المولد النبوي الشريف أو المناسبات الّتي يحتفل بها في المنزل كالقدوم من الحج أو الذهاب إليه، و ختان و زفاف أو شراء بيت أو إزدياد طفل أو جنازة...الخ.

و في مثل هذه اللّيالي يرتّل القرآن جماعة أو فرادى و ينشد السّماع مَرّةً بمَرّةٍ.

أ/ أهميّة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بتلمسان :

يولي سكّان مدينة تلمسان أهمية كبيرة لليلة المولد النّبوي الشّريف منذ عهد بني زيان.

يصف يحي بن خلدون كيفيّة القيام بهذا الإحتفال قائلا:" و كان السّلطان الزّياني، يدعو كافّة النّاس ، بحضور هذا الإحتفال و كان يتصدّر المجلس، جالساً على سريره ، في أبّهة و إجلال ، ثم تليه أعيان المدينة من مختلف الشّرائح الإجتماعية، من أمراء و وزراء،

ووجهاء و علماء و شعراء و موظفين و نقباء الحرف المتباينة، و من عامة الناس ، أجلسهم على مقاعد حسب مراتبهم الإجتماعية ، و خصّص لهـــم ولدانا، تطوف عليهم ، يرتدون لباسا من الحرير الملون، و يحملون بأيديهم مباخر و مرشات، يخرج منها دخان العنبر ، و ماء الورد المحبوب من نصيبين"(1)

و بعد إطعام جميع الحاضرين يشرع في إنشاد القصائد ، "و لما يعم الجو الهدوء تنشد مدائح الرّسول صلى الله عليه و سلم تتقدمها قصيدة نظمها السلطان أبو حمّو موسى الثّاني . و يستمر إنشاد القصائد حتّى يلوح الصّباح. و أثناء سماع المجلس لها تقدم أشهى الأطعمة و الحلويات. و لا يفترق الجمع حتى أداء صلاة الصبح".(2)

يحتفل أهل تلمسان بالمولد بفرح و إبتهاج فتوقد الشّموع في منازلهم و تعطّر بـــرائحة البخور. أما في المساجد و الزّوايا فيكرم طلاّب القرآن و حفظته الجدد بمنع وهبات و الّتي تشمل حتى طلاّب المدارس و أساتذتهم .

و نظرا للمنافع الكثيرة الناتجة عن إحياء ذكرى المولد النّبوي الشّريف و هي إنماء محبّة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم في قلوب النّاس و تبيان عظمته، يتذكر المسلم و يتأمل في اشرف المرسلين و يراجع نفسه و يعتبر فيرسخ الإيمان بالله و رسوله في قلبه. و بالتالي يربي النشأ و الجيل الصاعد على محبته (ص) و يسير على نهجه.

يصف الحاج محمد رمضان شاوش مظاهر الإحتفال بذكر المولد في المجتمع التلمساني قائلا :" فبمجرد بزوغ هلال شهر ربيع الأنور فإنّ نساء تلمسان يطلعن فوق السّطوح و يزغردن عند مشاهدته ثم يخرج البنات الآتي هنّ دون سنّ البلوغ أفواجاً في الأيام الموالية في كلّ حيّ من أحياء المدينة و هن ينشدن بأصواتهن الرحيمة الأنشودة التالية

أَمُـــولُـــودْ أَمُـــولُـــودْ هـــذَا مُولُـــودَ النَّـــبِي
وَ المَلاَئِكَة فِي السَّمَـــاء يَفَّرْحُوا بِـــأَوْلاَدِ النَّـــبِي
أَعَايْشَة وَّ لاَ تَرْقُـــدِي وَ اللِّيلَة يُـــزَادَ النَّـــبِي " (3)

(1) يحيى بن خلدون ، " بغية الرواد ج2 ص 40.

(2) يحيى بن خلدون ، المرجع السابق،ص 41 بتصرف

(3)الحاج محمد رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص 374

و القصيدة الّتي ذكرها بها 16 بيتا في وصف ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة شعبية بسيطة لكن جميلة في نفس الوقت. ثم يصف الأجواء البهيجة في المساجد " أمّا الرّجال فإنّهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو المغرب بالمساجد الجامعة حول جماعة من الطلبة الّذين ينشدون بأصوات رخيمة منظومة الشّيخ العروسي في مدح النبي صلّى الله عليه و سلّم و قد يدوم ذلك أربعة و عشرون يوما مبدأها من أول الشهر لأن المنظومة مقسّمة على أربع و عشرين جلسة و تدوم القراءة المصحوبة بالتصلية على النبي صلى الله عليه و سلّم ساعة كلمة أو ما يقرب من ساعة " (1)

و لا زال إلى يومنا هذا الفتيات يحتفن بطريقتهم بالمولد النّبوي الشّريف :" في اليوم الحادي عشر الذي هو يوم النفقة الأولى فإن البنات الغيـــر المراهقات يلبســـن أحسن ما عندهن من الثياب و يتحلين بأنواع الحلي المختلفة و يتحوّلن في الأزقّة و الطّرقات ليثرن إعجاب من يودّ خطبتهن فيما بعد و قد تكرّر تلك الزّينة يوم السّابع الّذي هو يوم النّفقة الثّانية و يوم الثامّن الّذي يسمى يوم التّشويشة أمّا في ليلـــة الثّاني عشـــر الّتي هي ليلـــة المولد النبوي و تسمى ليلة الزيادة فإن الإحتفال بها يقع في الدور بإشعال الشموع المثبتة في ثريات من اللوح مزوق بالفنيد " (2)؛

أمّا النساء يزغردن على الشّموع ساعة من الزمن ثم يتناولن أطعمة لذيذة و في صباح يوم الثاني عشر من ربيع الأول ، فتحضرن باكرا طعاما خاصا بالمناسبة يدعى تقنتة (3) و هو الطعام المعد للنفساء حين الولادة.

فالكثير من العادات إضمحلت مع مرور الوقت و لم يبق منها إلا القليل و نجد " الحضر " متمسكين بها خوفا من ذهابها كلية.

---

(1) الحاج محمد رمضان شاوش ، المرجع نفسه ، ص374

(2) الحاج محمد رمضان شاوش ، المرجع نفسه ص 375. تنبيه :الإحتفال بهذه الطريقة تُرِكَ أثناء حرب التحرير و شرعت جمعية الزّوايا في عادتها بطريقة محتشمة منذ سنة 2002.

(3) حلوى تصنع من الدقيق و السمن و العسل و المكسرات و هي طعام تقليدي يسميه العاصميون و القسنطينيون بالطّمينة.

ب – الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بالزوايا التلمسانية :

تُعطي الزّوايا الصّوفية بتلمسان أهمّية عظمى لليلة المولد النّبوي الشّريف . فبالإضافة إلى ما تقوم به المساجد إحتفالا بهذه الذّكرى من أداء الصلاة و تلاوة القرآن الكريم و تكريم حملة القرآن و إنشاد المدائح النبوية ، تقوم الزوايا بإنشاد قصائد صوفية نظمها المشايخ ، و أحيانا تشترك في آداء نفس القصائد و أحيانا أخرى تتميز كل زاوية عن غيرها بالأشعار المنشودة.

و كذا تختلف الزوايا عن المساجد، في إطعامها الحاضرين من مشايخ و فقراء و محبّين و زوّار، و إستغراق الإحتفال لليلة كاملة حتّى صلاة الصبح " ينشد فيها المنشدون قصائد مختلفة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم. و لا سيما قصيدتي البردة و الهمزية للشيخ البوصيري (1) رحمه الله و قد تخلّل تلـك الأناشيد تلاوة القرآن الكريم أو دروس في الوعظ و الإرشاد او في السيرة النبوية و في بعض الزوايا كان يقع الإحتفال بإنشاء قصائد من الشعر الملحون كقصائد الشيخ الأخضر بن خلوف أو الشيخ محمد ابن مسايب ينشدها أصحاب الفن الموسيقي مصحوبين بآلاتهم المعهـودة و يبقى الإحتفـال مستمـرا الى طلوع الفجر و يتناول الحاضرون أطعمة و اشربة مثل الشاي و القهوة " (2)

و لا يكتفي أصحاب الزوايا بهذه الليلة فحسب بل يحتفلون بسابع يوم و ثامن يوم بعدها بالأطعمة و الحلويات الشهية و الطقوس الدينية الخاصة بأهل التصوف يعـد فيـه النساء طعاما خاصا يسمى الثريد و هو معروف و يتكرّر الإحتفال في الدور مثل ما تقدم ذكره و في بعض الزوايا التي لم تحتفل ليلة المولد .

أما اليوم الثامن الذي هو يوم التشويشة فإن رجال الطرق يخرجون فيه من زواياهم حاملين السناجيق و يتوجهون الى قرية العباد لزيارة ضريح أبي مدين شعيب وهم يذكرون الله بأصوات عالية ذهابا و إيابا و كان لهم من الطبول و المزامير و لما كلنوا يقومون به أثناء الطريق من الألعاب البهلوانية التي يعجب بها البسطاء من الناس و في وسط الطريق توجد عين تدعى " عين وانزوتة " كان يترل بها باعة الحلويات و يدور حولهم الصبيان

(1) توفي سنة 694 ه الموافق ل 1295 م

(2) الحاج محمد رمضان شاوش المرجع لاسابق ، ص 375

لشراء ما يهدّى لهم منها " (1)

مجمل بعض الطرق في إحيائها للإحتفـــالات الدينية لا تكتفي بقراءة الأذكار و المدائح ، بل تقوم في هـــذه المناسبة و غيـــرها بأعمال يعتـــبرها بعـــض النـــاس سحـــرا و شعوذة، و يعتبرها بعضهم الآخر كرامات دالّة على بركة شيوخ الطّرق و أتباعهم.

و سمو درجتهم عند الله و أشهـــر الطّرق الممارسة لهذه الأعمال الغريبة هي الرّفاعية و السّعدية و الحيدريّة(و هي طريقة مندثرة) و العيساوية ، و أغرب ما يظهرونه من قدرات مناعتهم ضد الحرق و إنعدام تأثرهم بالأدوات الحادة الجارحة، و مناعتهم ضد السّموم كلدغات الأفاعي، و عدم تضررهم من دوس الخيول (2)

و هذه الطّقوس هي الّتي جعلت الفقهاء أو أهل الظّاهر ينكّرون على الصّوفية. لأنّه حسب رأيهم أنها بدع لا أصل لها في القرآن و السنة.

الإحتفال السنوي بمناسبة المولد النبوي الشريف في الزاوية المامشاوية :

ككل سنة بمناسبة احتفال العالم الإسلامي بمولد سيّد البشر الذي بعث رحمة للعالمين حضرنا هذا الإحتفال بجوار أهالي الزاوية المامشاوية و أهالي المريديـــن و المحبين من نساء و فتيات و تتبّعنا الحفل منذ إفتتاحه إلى نهايته و هذا من الموقع المخصّص للنّساء في الطّابق الأوّل من الزّاوية من خلال الشّرفات المطلة على الصّحن الّذي يتوسّط هذا المترل ذو التّصميم المعماري التقليدي الأصيل.

و قبل حلوله بشهر كامل يشرع المريدين في قراءة قصيدتين للشيخ البوصيري فالأولى هي قصيدة " البردة " و الثانية هي " اَلْهَمْزِيَّةُ " فكلّ يوم يقرأ منهما قسطاً يتضمّن أبياتاً و يترك الفصل الآخر إلى غاية ليلة المولد النبوي.

و كذلك يشرع في قراءة كتاب للشيخ عبد الغني النابلسي المسمي " بالأنوار المحمدية " من طرف الدّارس ، و ما تبقّى من الوقت المخصّص لنشاطات أخرى معتادة (3).

---

(1) الحاج محمد رمضان شاوش المرجع السابق ، ص 375 (الإحتفال بهاذه الطريقة ترك أثناء حرب التحرير و شرعت جمعية الزوايا في إعادته بطريقة مختشمة منذ سنة 2002

(2) عبد الحكيم مرتاض المرجع السابق ، ص 173.

(3) ملاحظات الباحثة .

3-4 السماع و الحضرة في البرامج الإحتفالية (المناسبات) :

أ – برنامج الإحتفال في ليلة المولد النبوي الشريف سنة 2002م/1423ه

1- صلاة المغرب جماعة متبوعة بالدعاء.و يعطي أهل الزاوية أهمية كبيرة للدعاء لأنه مخ العبادة.(1)

2- الإطعام : إكرام الضيوف من فقراء و محبين و زوار رجالا و نساءا و أطفالا.

3- إفتتاح الحفل بالقرآن الكريم : السور (الفتح ، الواقعة ، الرحمان ، الملك) : قراءة جماعية حسب ترتيل مشهور بالمغرب الأقصى.

4- السماع رقم 1:

جماعة من المسمعين جالسون في ركن بارز من أركان الزاوية هم : السّادة (الحاج محمد غفور ، عبد الكريم غفور ، الغوثي بن قلفاط ، قورصو و الدكتور أحمد مامشاوي ...إخ) :توزّع كتيّبات على بعض المريدين و الزوّار و يشرع في إنشاد ما تبقّى من القصيدة الّتي كان المريدون ينشدون فقرة منها يوميا منذ شهر.

كل الحاضرون يشاركون في ترديد الازمة الخاصة بالمولدية و هي الهمزية للإمام البوصري:

صَلِّ يَا رَبِّ ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى مَنْ ... هُوَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةٌ وَ شِفَاءُ

وَ عَلَى الْأَهْلِ وَ الصَّحَابَةِ جَمْعًا ... مَا تَزَيَّنَتْ بِالنُّجُومِ السَّمَاءُ

5- السماع رقم 2 :

تجمع الكتيبات الخاصة بالمولدية و توزع كتيبات أخرى خاصة الميمية أو قصيدة البردة الشريفة للإمام البوصيري و تنشد جماعة :

مُولَايَ صَلِّ وَ سَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا ... عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرُ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

---

(1) يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : " الدعاء مخ العبادة " ، من حديث أنس و قال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث بن لهيعة.(أنظر إحياء علوم الدين ج1 ص 161.)

6-الـــدرس :

و هو قراءة لبعض الصفحات التي يذكر فيها الشيخ عبد الوهاب الشعراني المعجزات التي ظهرت أثناء حمل السيدة آمنة بالرسول (ص) و أثناء ولادته صلى الله عليه و سلم.

و هو متمثل في ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم ، يقرؤه الدكتور أحمد مامشاوي على الجمع من كتاب " الأنوار المحمدية " لعبد الوهاب الشعراني " .

7-السماع رقم 3 :

يشرع السيد الغوتي بن قلفاط في إنشاد الهمزية بأوزان مختلفة تتراوح ما بين الثقل و الخفة مع إعادة الازمة على شكل موال :

صَلِّ يَا رَبِّ عَلَى مَنْ نُورُهُ يَتَلأْلأُ مِثْلَ شَمْسٍ وَ قَمَرْ

يتم توزيع الشاي مرفوقا بالحلويات مع الإنتهاء من الموّال ، و بالتّالي نهاية السّماع.رقم (2)

8-يقوم الجمع بقراءة بعض السور القرآنية قراءة جماعية .

9- ألقى أستاذ زائر درساً دينياً و أتبعه بدعاء و تضرّع و توسّل لله سبحانه و تعالى .

10- السماع رقم 4 :

ترأسه الحاج عبد الكريم غفور و أدى قصيدة لأبي مدين شعيب عنوانها " طَابَتْ أَوْقَاتِي بِمَحْبُوبٍ لَنَا " بلحن شجي تواجد معه الحاضرون .و نشير هنا أن هذا المسمع يمتاز بصوت قوي و جهوري يؤثر كثيرا في السامعين.

طَـابَتْ أَوْقَـاتِي بِمَحْبُـوبٍ لَنَا حُبُّـــــهُ ذُخْـــــرِي

نَرْغَـبُ مَنْ لاَ لَنَـا عَنْـهُ الْغِنَى فِي صَـــــلاَحُ أَمْـــــرِي

أَنَا هُوَ شَيْخُ الشَّرَابْ سَاقِي الْمِلاَحْ لُـــــذْلِي التَّمْـــــزِيقْ

أُبْسُطُـوا سَجَّـادَتِي رَاحَا بِرَاحْ قَـــرِّبُـــوا الْإِبْـــرِيقْ

أَحْمِلُـوا تَغْـرِيدِي فِي الْإِصْطِلاَحْ يَـا ذَوِي التَّـــحْقِيـــقْ

11- السماع رقم 5:

عبارة عن موال قدمه السيد غوثي كإستراحة للفقراء و الملاحظ أنه متأثر بالشيخ عبد السّلام بن عاشور في طريقة آداء السّماع.

12- قيام العمارة الأولى بعد ساعتين من بداية الحفل

13- و بعدها العمارة الثانية مباشرة كدليل على قوة الحال بنشيد"طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا" (1) بإيقاع ملائم للعمارة "الزَّهِيدْ". و تم دخول الشيخ سيد أحمد المامشاوي مشاركا في العمارة و دخول المقدم صالح عصمت بوكلي حسن و زغردت النسوة فرحا بقيامها .

- السماع رقم 6:

أدى السيد الغوتي قصيدة للشيخ البوزيدي عنوانها " أيا روضة العشاق " (2) و إختار مقطعا منها :

كَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَتَى وَ دَخَلْ طَرِيقَتِي
صَارَ مِنْ أَهْلِ المَعْنَى مُلُوكَ العِنَايَةِ

إِخْلَعْ نَعْلَيْكَ وَإِ فَنْ إِنْ شِئْتَ مُلاَقَتِي
إِنْ أَرَدْتَ تَعْرِفْنَا أَنَا عَيْنُ الْحَيَاةِ

أَنَا عَيْنٌ لِلتَّحْقِيقْ يَا مَنْ تَطْلُبْ رُؤْيَتِي
أَنَا مِنْهَاجُ الطَّرِيقْ وَ الكَوْنُ فِي قَبْضَتِي

الكَوْنُ كَسَرَابٍ كَمَا جَاءَ فِي الآيَةِ
هَبَاءَاً فِي هَوَاءٍ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِيقَةِ

مِنْ بِحَارِ الجَبَرُوتْ قَدْ ظَهَرَتْ نُقْطَتِي
تَلَوَّنَتْ بِالنَّاسُوتْ وَ سِرِّ المَلَكُوتِ

مُرِيدِي لَكَ البُشْرَى إِحْفَظْ لِي وَصِيَّتِي
تَأَدَّبْ مَعَ الْفُقْرَا لِتُسْقَى مِنْ خَمْرَتِي

---

(1) طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَادَعَا لِلّٰهِ دَاعْ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعْ
جِئْتَ شَرَّفْتَ المَدِينَةْ مَرْحَبَاً يَا خَيْرَ دَاعْ

(2) دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين ، ص 115.

إلى آخر القصيدة الطويلة و لحنها بلحن أندلسي المستعمل لأغنية " قم تر براعم اللوز " ثم أتبعه بموال خفيف .

15- السماع رقم 7 :

تكرار عبارة : "صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٌ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمْ" بلحن يوافق قيام العمارة الثالثة (لم يتمّ تصويرها لقوة أحوال الفقراء فيها)

16- السماع رقم 8 :

أداء السّيد عبد الكريم غفوّر و هي قصيدة " لَمَّا رُفِعَ السُّتُورْ " للشيخ قدور بن عاشور" رحمه الله هذا مقطع منها :

لَمَّا رُفِعَ السُّتُورْ وَ شَاهِدْنَا اللَّاهُوتْ
فَاضَتْ عَلَيْنَا بُحُورْ مِنْ عَيْنِ الْجَبَرُوتْ

و إنتقل المسمّع فيها من لحن بطيء إلى لحن خفيف نوعا ما لأنها تعدّ إستراحة للفقراء بعد العمارة .

17- السماع رقم 9 :

أدّى السّيد الغوثي قصيدة " غَرَامَكْ سَبَانِي" للشّيخ قدّور بن عاشور و هي لم تصوّر في الشّريط المسجّل و نذكر مقطعاً منها :

غَرَامَكْ سَبَانِي رَبِّي شَاهَدْ يَا مُحَمَّدْ
وَ حُبَّكْ غْنَانِي غِنَى الأَبَدْ يَا مُحَمَّدْ
بِكْ زْيَانْ زَمَانِي فَصَّلِي سَاعَدْ يَا مُحَمَّدْ
يَا كَنْزَ الْمَعَانِي لِيسَ يَنْفَدْ يَا مُحَمَّدْ

وَ اللَّهْ يَا طَهَ إِلَّا نَهْوَاكْ رُوحِي مَعَاكْ
يَا مَنْ أَنْتَ لَهَا وَاهْيَا لَكْ إِعْلَى رِضَاكْ
يَا عَيْنَ الْمُنْتَهَا جَلَّ مُعْطَاكْ رَبِّ إِصْطَفَاكْ
ذَاتَ حُسْنٍ وَ بَهَا يَبْدُو سَنَاكْ لِمَنْ يَرَاكْ

18- **السماع رقم 10** :

أداه الحاج صاري قصيدة " بشرت بكم ريح الصبى " و تفاعل الفقراء معها.

19 - ترتيل فردي للقرآن الكريم من طرف إبن الشيخ سيد أحمد المامشاوي " محمد المامشاوي " آيات من سورة يوسف.

20- ترتيل فردي للقران الكريم من طرف ضيف حضر من الجنوب الجزائري و يملك صوتا حسناً رائعاً أثر في الجمع.

21- السماع رقم 11: لم يصوّر .

22- السماع رقم 12 : أدّى إبن الحاج محمد غفّور (1) قصيدة لازمتها :

اَلصَّبَاحُ يَصْبَحْ وَ إنْجَلَى الظَّلاَمِ وَ خُلِـقْ مُحَمَّـدْ عَلَيْـهِ السَّـلاَمِ

23- "الوقفة " كما يسميها الفقراء ، يقف فيها كل الحاضرين و ينشد المنشدون مقطعا من بردة البوصيري و يردد الآخرون عبارة " فأهلا و سهلا بالحبيب المصطفى " و " مَرْحَبًا يَا مَرْحَبًا يَا نُورَ الْعَيْنْ " صَلّى الله عليه وسلّم و " الْأَمَانْ الْأَمَانْ يَارَسُولَ اللهْ " و تكرّر عدّة مرات و يعتقد حضور روح الرّسول (ص) في هذه الأثناء.

24- قيام العمارة الرّابعة بإنشاد الضّيف الآتي من الصحراء "قصيدة طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا " و حدث تغيير في السّماع و تكرار عبارة (صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدْ وَ عَلَى آلِهِ وَ سَلَّمْ) .

25- القيام بصلاة الصبح و يشكّل المريدون حلقة كبيرة في وسط الصحن و يشرعون في ذكر تحية الخروج و بعدها يتفرّق الجمع.

الإطعام في المناسبات الدينية :

إطعام الضيف من شيم المسلمين و لذا فمن الطّبيعي أن يتحلّى أهل الزّوايا بهذه العادة و أن يحافظوا عليها في مختلف المناسبات . و قد أشارت إلى ذلك الدّكتورة " منال عبد المنعم " فقالت : " و مـــن العادات المتوارثة في الموالد قيام الصّوفية بتقديم

---

(1) كان والد الحاج محمد غفور هو المختص في أداء القصيدة الخاصة بالوقفة و نظرا لحالته الصحية لم يتمكن من أدائها

ألوان من الطعام و الشراب للفقراء و المحتاجين و الزائرين و يتحملون ما يتكلفه ذلك من نفقات كبيرة بإعتبار أن هذه المناسبـــات من أهدافها الألفة و المحبة و المودة و الخير و البر و التعاون و التماسك و الترابط و التكافل الإجتماعي " (1) .

و المولد يقام إما الإحتفال بسيد الخلق (ص) و إما بالأولياء الصالحين . و بالجزائر يقال لها " الوعدات أو الزردات " و يحضر فيها الناس من مختلف الأقطار إحتفاءا بمناسبات مختلفة. (2)

و في الزّاوية المامشاوية و التي تتّبع الطريقة الشّاذلية الدّرقاوية اليلّسية العاشورية ، تقام بها ليالي أيضا للإحتفال بالمناسبات الدينية . والطعام يتم تحضيره من طرف أهل الشيخ سيد أحمد المامشاوي و يقوم الفقراء بالمساعدة فيشاركون بإحضار صحون للكسكسي بالمرق و اللّحم و يعتقد أنّ لهذا الطعام بركة حيث يأكل الحاضرون وما يبقى منه فيوزّع على المساكين (3) .

و قد تختلف شيئا ما الأطعمة المقدّمة في الحضرة حسب عادات كلّ قطر، ففي مصر: " و بعد الحضرة توزّع النّفحة وهي عبارة عن هديّة إ لا هيّة تبدأ من مجرّد الماء أو العطر أو الشاي أو الفاكهة و هذا في حالة إقامة الحضرة بمناسبة أو الاحتفالات و هذه يطلق عليها " داعي " و في الغالب تكون النّفحة فيها عبارة عن طعام غالبا ما يكون فتّـة و أرز باللّبن و غيرها من المأكولات كلّ حسب قدرته و إ مكانيّاته و نوع المناسبة الّتي دعى من أجلها إخوانه ، و تتمثّل المناسبات في الآتي عقيقة — ذكرى سنوية — إحتفال بمناسبة دينية — مولد الرّسول صلّى الله عليه و سلّم — الإسراء و المعرا ج — ليلة ا لقدر و غيرها ..." (4)

---

(1) (شريط فيديو حول الحضرة العيساوية بمنطقة وهاصة) منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 246 .

(2) (3) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 247

(4) د. منال عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 238

و هذا ما يقع في الزّوايا عامة ، و الزاوية المامشاوية خاصّة . و ليس الهدف هو إشباع البطن ، لأ ن كل الناس تأ كل و تتغذى في منازلها ، و إنما الغرض هو البركة ، فأكل الجماعة يضع فيه الله سرا . و الأكل الجماعي ليس فرضا لقوله تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا (1) " و إنّما هو مستحبّ و فيه خير كثير" فاللقاءات الودّية على الطعام ، توطّد أواصر المحبة بين الإخوان و الأصدقاء، و تقوي روح التعاطف فيهم و تشيع في حياتهم رباط العاطفة الإنسانية الذي إفتقده إنسان الحضارة المادية الحديثة، بعد أن أصبح لا يهتم إلا بنفسه و مصلحته ، فإذا هو يعاني خواءا و جفافا عاطفيا ، نتج عنهما شعور عميق بالحرمان من الصداقة و الأصدقاء المخلصين. و الذي لا شك فيه أن هذه المناسبات بما فيها من لقاءات يسودها تعاون، و مشاركة مادية و معنوية لها دور كبير في تفوية أواصر المحبة و التآخي .(2)

و النفحة كما تم تسميتها تقدم لوجه الله تعالى و هو هدف سامي ، و ليس هدف دنياوي يسعى من خلالها للتفاخر فإذا أقيمت الحضرة لهذا الغرض فإنها تفقد هدفها . فهي ذات طابع رمزي فلا ينظر إلى قيمتها الطبيعية .

و الحضرة التي يقع بها الإطعام أي " الدّاعي " أو " النّفحة" لا تختلف عن الحضرة الّتي تقام في سائر الأيام إلاّ بفارق قليل في إطالة أعداد الذّكر و في نوعية الإنشاد أو القصائـــد المغنّاة الّتي تختلف حسب المناسبة. و في مضمون ما ينشد من القصائد و المدائح و نغم الأشعار " فالإنشاد في الإحتفال بمولد الرّسول صلّى الله عليه و سلّم يختلف عن الإنشاد في ليلة القدر و هكذا " (3).

ج/ أهمية أشعار الشيخ البوصيري في المولد النبوي الشريف :

تمثّل المدائح النبّوية باباً كبيراً من أبواب الشّعر الصّوفي ، و قد نظم فيه الشّعراء على مرّ العصور. و عرفت إنتاجاتهم الشّعريّـــة في مـــدح الرّسول صلّى الله عليـــه و سلّم جودة و براعة.

---

(1) سورة النور ، الآية 61

(2) منال عبد المنعم المرجع السابق ، ص 239

(3) منال عبد المنعم المرجع السابق ، ص 238- 239

و إتخذوا البوصيري صاحب البردة و الهمزية إماما لهم. يقول الدكتور خفاجي في المدائح النبوية :" تمتاز المدائح النبوية عامة بصدق العاطفة و حرارة الشعور و سعة التناول"(1)

يقول الدكتور زكي مبارك في البردة :

" أما بردة البوصيري (2) في القرن السابع للهجرة فهي أهم القصائد بين المدائح النبوية ، فهي أولا : قصيدة جيدة، و هي ثانيا : أسير قصيدة في هذا الباب ، و هي ثالثا : مصدر الوحي للكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول " (3) .

و هو بذلك يعطيها قيمة كبيرة و ذكر النقاط التي جعلتها مهمة .

ذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه " البحث الأدبي " مظهرا سر هذه القصيدة و مغزاها : " و مثال ثالث هو شعر البوصيري (4) فإن من يبعثون شعره يقفون طويلا بإزاء مدائحه النبوية ، و لا ينتبهون إلى أهم ما في هذه المدائح و هو حديث البوصيري عن الحقيقة المحمَدية الَتي تصوَر النور المحمَدي : مبدأ الحياة و مركزها في العالم و روح كلَ ما في الوجود ، و هو نور أزلي — في رأي البوصيري و إضرابه .ظلَ يظهر في صور الأ نبياء من لدن آدم عليه السَلام حتَى ظهر في صورة الرسول عليه الصَلاة و السَلام . وفي ذلك يقول البوصيري في قصيدته المشهورة بإسم البردة :

وَ كَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةَ مَنْ *** لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

وَ كُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا *** فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

و هي نظريَّة كان يؤمن بها المتصوّفة و آمن بها البوصيري " (5)

و جـــاء في مناسبة نظم الإمام البوصيري لبردته أنّه أصيب بشلل نصفي في جسده . و أراد أن يستشفع بها إلى الله تعالى ليعافيه من البلاء الّذي حلَ به فعملها و كرَّر إنشادها و دعا و توسَل فرأى في المنام النّبي صلى الله عليه وسلم ؛ و قد أجمع الصّوفية و الفقهاء أنَ رؤية الرسول (ص) في المنام حقّ لأنّه لا يتمثّل به الشّيطان الرّجيم ، فإذا حاول فعل ذلك

(1) منال عبد المنعم المرجع السابق ، ص 238- 239

(2) ألف أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن القصار المتوفى سنة ، 800ه. في شرح بردة البوصري ، و كان متضلعا في النحو انظر " بغية الرواد " ج1 ليحيى بن خلدون

(3)زكي مبارك المرجع السابق ، ص 171.

(4) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج ولد بدلاص سنة 608 و توفي بالإسكندرية سنة 697.،إشتهر بالبوصيري (أنظر الأدب في التراث الصوفي لخفاجي ص 253.)

(5)زكي مبارك ، المرجع السابق ، ص 181

أحرق . فمسح الرسول وجهه بيده المباركة ، و ألقى عليه بردة ، فلما أفاق ، يقول د. زكي مبارك عوفي و قام و خرج من بيته ، و لم يعلم أحدا بما نظم ، و في سيره إلتقى ببعض الفقراء فقال له : " أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلّى الله عليه و سلم ، فقلت : أيها ؟ لأنّ البوصيري نظم قصائد قبل البردة في مدح سيّد الخلق فقال : الّتي أنشأها في مرضك و ذكر أوّلها ، و قال : و الله لقد سمعتها البارحة و هي تنشد بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، و رأيت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يتمايل و أعجبته ، و ألقى علي من أنشدها بردة فأعطيته إياهـــا و ذكـــر الفقير ذلك و شاع المنام " (1)

و يذكر الدّكتور في سبب اتخاذ الصوفية لبردة البو صيري : " ... و إيمان الصوفية بعظمة البوصيري و بمنَ قصيدته وجّه أحلامهم إلى تصور الرسول في المنام بفضل الإكثار من تلاوة البردة مصحوبة بتلك الصلاة . إلى أن يقول :

" و البردة في ذاتها لا تمكّن كل إنسان من الكرامات ، و إنما تنفعل النفس بما تؤمن به في صدق و إخلاص، فتتمثل الغرائب و الأعاجيب، و كذلك كانت البردة عند بعض الناس مفتاحا للمثول بين يدي الرسول...." (2)

و نذكر مقطعا من بردته التي تحوي إثنين و ثمانين و مائة بيت :

أَمِـــنْ تَذَكُّـــرِ جِـــيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَـــرَى مِنْ مُقْلَـــةٍ بِدَمِ

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ ... وَ لَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَـــانِ وَ الْعَلَـــمِ

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي ... وَ الْحُبُّ يَعْتَـــرِضُ اللَّـــذَّاتِ بِالْأَلَـــمِ

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّـــوءِ مَا اتَّعَظَـــتْ ... مِنْ جَهْلِهَـــا بِنَـــذِيرِ الشَّيْبِ وَ الْهَرَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَـــاحٍ مِنْ غِـــوَايَتِهَا ... كَمَا يُـــرَدُّ جِمَـــاحُ الْخَيْـــلِ بِاللُّجُمِ ؟

فَانْصَرَفَ هَوَاهَا وَ حَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهِ ... إِنَّ الْـــهَوَى مَا تَوَلَّى يَصِمِ أَوْ يُصَمِ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةٌ لِلْمَـــرْءِ قَاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

و هو بقصيدته قد أثرى الأدب العربي و أكمل ما نقص من أحداث في السيرة النبوية

---

(1) شوقي ضيف ، " البحث الأدبي "، ص 48

(2) زكي مبارك ، المرجع السابق ، ص 181

يقول الدكتور مبارك : " ...و كذلك إستطاع البوصيري بتصوفه أن يؤثر في الأدب و الأخلاق تأثيرا لا يدرك كنهه إلا من رأى كيف تدور البردة على ألسنة العوام ..." (1)

و قد عدت البردة في تلاوتها و حفظها و تكرارها من وسائل التّقرّب إلى الله والرسول (ص).

و للبوصيري همزية رائعة في مدح الرسول (ص) : " ممّا يؤكد أن حبه للرسول (ص) خلق منه قيثارة نبوية " (2)

لازمنها :

صَلِّ يَا رَبِّ ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى مَنْ هُوَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةٌ وَ شِفَاءُ
وَ عَلَى الآلِ وَ الصَّحَابَةِ جَمْعًا مَا تَزَيَّنَتْ بِالنُّجُومِ السَّمَاءُ

د / تعليق على ظاهرتي السماع و الحضرة في الزاوية المامشاوية :

إنّ الحفل المنظّم في الزّاوية المامشاوّية إذا إعتبرناه نوعاً من الفرجة و طبّقنا عليه جدول التواصل البسيط فإننا نستخلص ما يلي :

1/ يختلف الحفل الصوفي عن الحفل العادي سواء في المسرح أو اثناء الحفل الغنائي العادي من حيث إنه حفل مقدس أي ان هناك عناصر دينية باطنية لا مرئية تتدخل في عملية التواصل.

2/ و يمكن تحديد العناصر الرئيسية التي يشتمل عليها الحفل في الزاوية المامشاوية حسب ما يعتقد المريدون كالآتي :

- تحضير مسبق لنفس المريد بطقوسات معينة: قراءة القرآن و ذكر الأسماء الحسنى و ذكر الإسم الأعظم و الصلاة تجعل المريد حاملا شحنة نورانية كامنة.
- حضور لا مرئي و لكن مؤثر في نفس المريد لأرواح نورانية مساعدة و هي :

---

(1)د. زكي مبارك ، المرجع نفسه ، ص ص 181-182

[2] زكي مبارك ، المرجع نفسه ، ص 181 – بتصرف

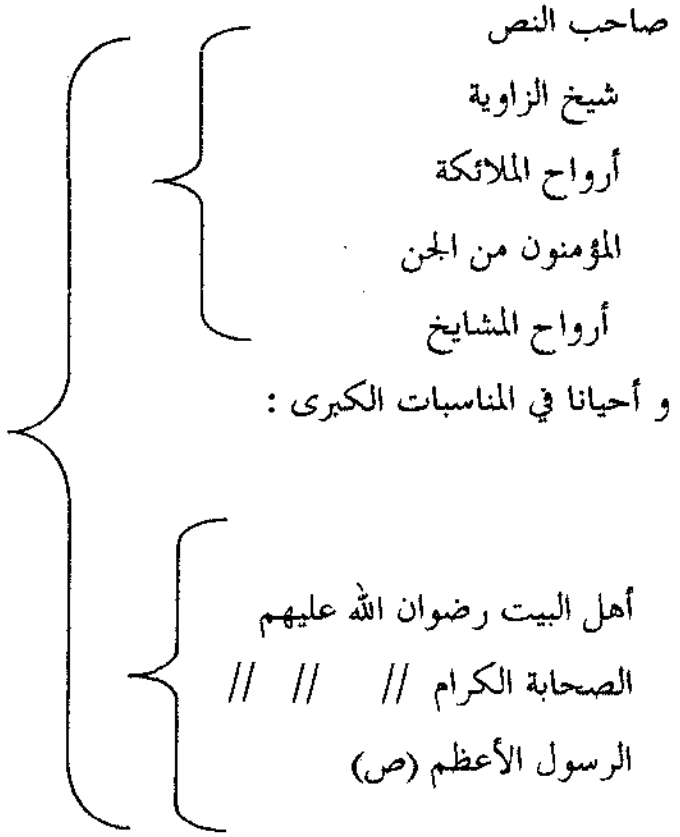

كل هذه العناصر تضيف شحنات نورانية يمكن تشبيهها بالشحنات الكهربائية في نفس المريدين المؤهلين في تلك اللحظة فينتج عنها اهتزاز و حركات تدخل في إطار الوجد. فنرى بعض المريدين يتمايلون يمينا و شمالا او تارة من الخلف على الأمام و إذا تزايد التاثر تصدر صعقات لا إرادية من طرف مريد تتبعه صعقات لمريدين آخرين. مثل " هِيْ ! "أو" هُوْ !" أو " إِيْ !". فإذا كانت الصعقات نابعة من المريد بصدق بدون تكلف. يسري هذا السر في باطن الحاضرين و تقوم العمارة و الحضرة.

أما العناصر المانعة او المضادة فهي كثيرة و أهمها :

1/ النفس : و ذكرت في آيات قرآنية عديدة منها قوله تعالى :" وَ مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " (2) ،و قول الرسول (ص) : " أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ " (3)

---

(1) تصريح الفقير بومدين مطير.

(2) سورة يوسف ، الآية 53.

(3) البيهقي في كتاب الزهد من حديث إبن عباس و فيه محمد بن عبد الرحمان بن غزوان أحد الواضعين (انظر " إحياء علوم الدين ج3 ، ص 7 من كتاب شرح عجائب القلب ".

2/ الشيطان الرجيم : و ذكر في أكثر من موضع في القرآن الكريم كقوله :" إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (1)

3/ الدنيا : (المال – الجاه – السمعة الحسنة – رأي الناس)

تحطيم الحجب الظلمانية

التقرب من الله و الرسول

المرسل ← الهدف أو شيء ← المرسل إليه

1/ الشاعر
2/ المنشد

الترقي في سلم المعرفة و المحبة

1/ النفس
2/ الروح
3/ العقل

العوامل المساعدة ← البطـــل ← المثبطات

– السماع
– الحضرة
– الذكر التحضيري

1/ المريد
2/ الزائر
3/ النفس الملهمة
النفس المطمئنة
النفس الراضية

– النفس
– الشيطان الرجيم
– الدنيا (مال – جاه
– سمعة – روح الجدال
– مركب التفوق...الخ)
– الحاضرون : رجالا و نساءا (زغاريد)
– مفرقعات الأطفال

– الشيخ صاحب النص
– شيخ الزاوية
– الأرواح الطيبة النورانية
– خصائص المريد : النية
– الصدق
– الإخلاص
– الحاضرون في الحفل
– رجال و نساء (زغاريد)
– مفرقعات الأطفال

---

(1) سورة فاطر ، الآية 6.

بعض العناصر قد تكون مساعدة أو مضادة حسب نفسية المريد أو الزائر: منها مفرقعات الأطفال حسب نفسية المريد أو الزائر- يقرر الإنصراف أو يعجبه و يرى فيه التعبير بالفرح والإبتهاج، و كذلك حضور الناس قد يمنع البعض من التمايل و الإهتزاز و المشاركة في الحضرة و كذا زغاريد النساء قد تضيف شحنة في نفس المشارك في الحضرة كانه في حرب ضد نفسه (العياء و الفشل) فيزداد طاقة ليستمر و قد تكون الزغاريد عائقا إذا ما وجهت همة المريد و ثباته نحو الهدف.

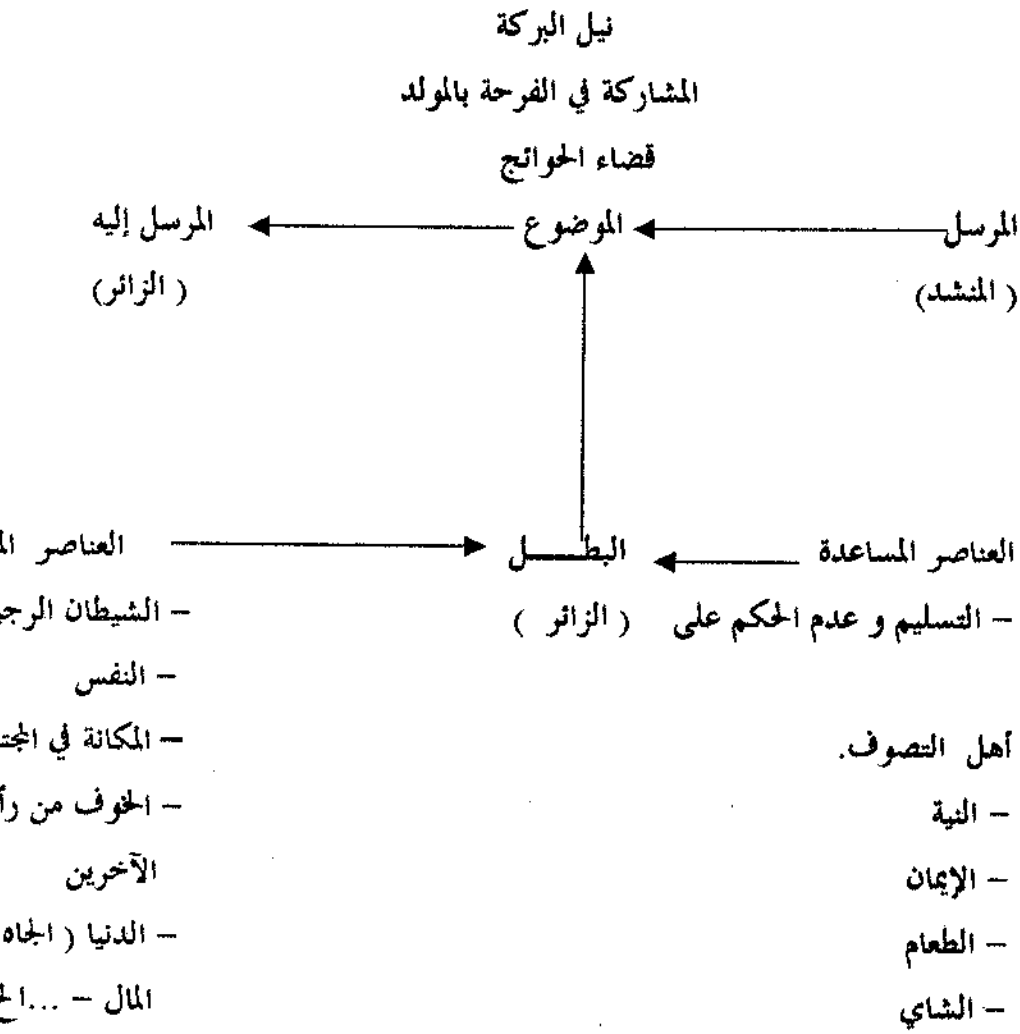

و قد تغير هذا الجدول و معطياته عندما يشعر الزائر بشرعية الطقوسات التي يشاهدها من الناحية الدينية و الإجتماعية فيتحول إلى محب و من محب مع الحضور بإكتشاف المزيد من الشرعية الشعائر ينتقل الزائر المحب إلى مريد في الزاوية و هذه الحالة وقعت كثيرا في الزاوية المامشاوية.

و يلاحظ أن القاسم المشترك بين المريد المتعود على الجمع في الزاوية .

و الزائر المعتاد على الحضور في الحفلات الموسمية هو عنصر الدنيا و يتمثل في المكانة التي يحتلها الشخص داخل الهيكل الإجتماعي و السلطوي في المدينة و هي عنصر مضاد بالتأكيد للقيم الروحية من حيث المنافسة الشريفة على إكتساب المزيد من الممتلكات المادية لقوله تعالى :" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ " و الإرتفاع في سلم المجتمع الذي أصبح ماديا بصفة مفرطة بحيث يسجل كل المهتمين و الباحثين بخلل في التوازن بين الجانب المادي و الجانب الروحي في المجتمعـــات العالمـــية عموما في مجتمعنا بصفة خاصة لما نعرف أن رجل المعرفة فقد هيبته و مكانته بين الناس (الأقارب- الجيران- الزملاء) و أخذ مكانه صاحب المال و صاحب السلطة.

الخـــــاتمة

لقد أتاحت لنا هذه الرّسالة التعرف عن قرب بفئة إجتماعيّة و دينيّة تنتمي إلى التّصوف الإسلامي السّنيّ مكّنتنا من الحضور في مجالس الذّكر الممارس في زاوية الشّيخ بن عودة بن مامشا المتواجدة بمدينة تلمسان ، و قمنا بدراسة ظاهرتين تدخل ضمن الطّقوس و الممارسات الخاصّة بأهل التّصوّف و هي السّماع و الحضرة أوالعمارة.

وقبل التّطرّق إلى هاتين الظّاهرتين كان من الضّروري علينا أن نمهّد بنظرة وجيزة عن التّصوف مند نشأته و تطوّره حتّى وصوله إلى المغرب العربي و الجزائر ثم مدينة الزّيانيّين حتّى العصر الحديث .ثمّ قدّمنا نبذة عن الطّريق الصّوفيّ و الزّاوية المامشاويّة الّتي تنتمي إلى الطّريقة الشّاذليّة الدّرقاويّة و تعرّفنا على مؤسّسها الشّيخ بن عودة بن مامشا و خليفته الشّيخ سيد أحمد مامشاوي و ربطنا مؤسّس الزّاوية بمشايخه الحاج محمّد بن يلّس و قدّور بن عاشور اللّذان تركا بصماتهما في الزّاوية الّتي تحضى بتقدير كبير لدى الخاصّ و العامّ .

و بما أنّ السّماع أساسه الشّعر الصّوفي إهتممنا بهذا النّوع الأدبيّ الدّيني مند نشأته مرورًا بالمراحل الّتي عرف فيها تطوّراً حتّى وصلنا إلى الشّعر المتداول بالزّاوية ميدان البحث و قدّمنا نماذج منه سواءاً كان للشّعراء الأقدمين كالشّيخ الغوث شعيب أبي مدين دفين تلمسان و محمّد الحرّاق اللّذان يحضيان بقبول كبير لدى مريدي هذه الزّاوية أو المحدّثين كالشّيخ محمّد بن يلّس و الشّيخ إبن عاشور صاحب القصائد الشّعرية الطّويلة ذات المواضيع المتنوّعة.

و ما لفت إنتباهنا فضلاً عن تنوّع المواضيع الّتي إعتنى الشّيخ قدّور بن عاشور من خلالها بالأحداث التّاريخية و الأسطوريّة هو ذلك القاموس اللّغوي الثّري سواء كان باللّغة المزدوجة أو بالعامّية و الّذي يستحيل منطقيّاً أن يكتسبه شاعر تعلّم ربط الحروف بمفرده ممّا جعلنا نتكلّم عن ما يسمّى عند أهل الزّاوية بالفتح الرّبّاني " و الّذي يمكن إعتباره كمعلم أوّلي لإثبات المقام الفريد الّذي كان يميّز هذا الشّيخ الصّوفي و الشّاعر الموهوب حقّاً و توصّلنا إلى إثبات الفرضيّة الأولى و هي أنّ النّظم عند هؤلاء الشّعراء ينقسم إلى نوعين : النّوع الأوّل يمثّله الشّيخ إبن يلّس و هو يتمثّل في النّظم بعد التّفكير و التّخمين و التّنقيح ، أمّا النّوع الثّاني يمثّله الشّيخ قدّور بن عاشور و يخصّ الموهبة و الفتح الربّاني .

عن قرب ، تأكّدنا من خلالها بأنّ الشّعر الّذي يعتمد عليه السّماع الصّوفي يكتسي أهمّيّة كبيرة لدى المريدين و الزّوّار حيث أنّ طريقة إنشاده كفيلة بإثارة باطن البعض منهم ممّا يؤدّي إلى الإهتزاز و الوجد الإرادي يؤدّي بدوره إلى القيام بالعمارة أو الرّقص الجماعيّ على شكل حلقة يقودها الذّكر الجماعي لإسم الذات و هو " الله " بصيغ مختلفة تكون إيقاعا تسير عليه الحضرة عبر مراحل ثلاثة تتمّ أثناءها أمور خفيّة لدى المشاهدين لا يشعر بها و لا يراها سوى الممارسون أنفسهم.

و من هذه الأمور ما صرّح به و ما كشفه لنا البعض منهم يتلخّص في عملية تطهيريّة للنّفس و ترقيتها عبر سلّم ذاتي باطني لا يعلمه حتّى أغلبيّة المريدين إلاّ ما يشعرون به إثرها من راحة بال و إطمئنان قد يكون وسيلة علاجيّة لأمراض النّفس النّاتجة عن أنواع الضّغوطات الّتي تفرزها الحياة الإجتماعيّة اليوميّة.و كانت هذه السّيمة إحدى الوظائف الهامّة لهذه الطّقوس.

إنّ السّماع و الحضرة طقوسات من التّراث الرّوحي العريق خاصّة بفئة قليلة تعدّ نفسها نخبة تستلهم المعتقدات و تؤدي الشّرائع الدّينية من مستوى أرقى و هو مقام الإيمان و الإحسان ؛ و على أقلّيتها ، لا يجب تجاهلها لما تحمله من قيم أخلاقية ناتجة عن نظرة عميقة للفرد و المجتمع و علاقتهما مع الخالق و فيما بينهم ؛ و هذه الأخلاقيّات الرّفيعة قد تشكّل دعامة جديدة للبناء الإجتماعيّ أو إعادة بنائه أمام الفشل الّذي عرفه هذا المجتمع في إعتماده على خطابات و قيم إمّا خارجة عن حضارتنا و ثقافتنا أو نابعة منها لكن بأسلوب متطرّف أوصله إلى طرق مسدودة ، قد تمثّل هذه القيم الأخلاقيّة الصّوفية الوسيلة الكفيلة لإكتساب تربية جديدة أساسها إحترام أفكار الغير و معتقداته و سلوكه ما دام هذا الغير لا يمثّل تهديداً أو خطراً على المجتمع الّذي يعيش فيه و منه و من أجله فإن زدنا على هذا الإحترام و حاولنا فهم هذه الممارسات الّتي قد تبدو غريبة توصّلنا حقيقة إلى الأهداف السّامية في الإسلام ألاّ و هي روح التّسامح و نشر السّلم و السّـــلام في ربوع وطننا العزيز لينتشر فيما بعد في العالم العربيّ و الإسلاميّ حتّى نقنع الغير بالرّسالة الحضاريّة المنوطة بأمّتنا الّتي قال عنها الخالق تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ".

الملاحق

الملحق 01 : قائمة الفقراء المصرّحين

الملحق 02 : نماذج من هذه التّصريحات الخطّيّة

الملحق 03 : سور عن السّماع و الحضرة

قائـــــــمة الفقــراء المصرحين :

رقم المصرح	الســـادة	السن	الوظيفة
1	نصر الدين بوعياد آغا	40	أستاذ في مادة الفزياء
2	محمد بن شوك (نور)	45	-
3	الغوثي بن قلفاط	43	تاجر و هو مسمع الزاوية المامشاوية
4	الحاج كمال بختي	30	يعمل بالطباعة
5	عبد الحفيظ زرجب	44	مهندس في الري
6	عبد الحي غماري	-	طبيب أخصائي
7	شريف محمد مولاي	85	حرفي تقليدي متقاعد
8	حكمت صاري علي	38	طبيب نفساني و أستاذ جامعي
9	نور الإيمان بن حليمة (حفيد الشيخ قدور بن عاشور)	59	مدير غرفة التجارة تلمسان
10	قدور سبيع (مقدم الزاوية)	59	مدير مؤسسة متقاعد
11	بومدين مطير	61	أستاذ متقاعد (مخرج سنيمائي)
12	عبد الكريم غفور	65	موظف في مؤسسة (متقاعد)
13	الشيخ سيد أحمد مامشاوي	58	طبيب أسنان و تاجر

السؤال الثالث : إن السماع و الحضرة أو العمارة من الممارسات البارزة في حياة أهل الزوايا.
– هل تتفقون مع من يرى أنها ضرب من البدع المستحدثة.أم لكم رأي مغاير ، و ما هو ؟

..... إن الحضرة أو العمارة أو المرقصة الروحية الصوفية هي حال و وجد لن لا نلمسان يشرع ... و أهل العمارة واردُ فيما تنتج حيث أن الرسول (ص) سمع لحسان بن ثابت أن يكون شاعره الخاص . وكان يثوا جد و يثأثر جزاء الشعر حتى تقطر دماءه تحبه ... الا هنزار من على كتفيه ... تم جعفر بن أبي طالب كان من الحبشة وجاء مشتاقا الرسول الله فلما رآه اضطرب و جاء يرقص منوقا لرسول الله . قال له الرسول (ص) : مالك يا جعفر ؟ قال له : ما ستدي في الحبشة رأيت العبد عندما يلتقي سيده يرقص له معقال له الرسول (ص) : فأجابه : نعم فرح بنا فرحنا به يا جعفر تشبهت بخلقي وخلقي ؟ هو فرحة أخرى رقص علي بن أبي طالب لرسول الله (ص) فرحا و نشوة و فرح به الرسول (ص) .....

السؤال الرابع : حسب رأيكم هل الذكر و السماع و الحضرة مرادفات لظاهرة واحدة . أم لكل مصطلح من هذه المصطلحات معناه الخاص ؟

..... كل هذه المصطلحات تصب إلى هدف واحد و هو ذكر الحبيب أي ذكر الله سبحانه و تعالى الصوفية بكثرة الذكر تنور قلوبهم . و تظهر عليهم أحوال . و ينعم أهم الوجدان . و الشوق فالذكر يعطي ثمرة الوجد و الاضطراب . و العشق الإلهي فنرقصون و يضطربون ... يغلب عليهم ... و العمارة هي تشبه بالملائكة لأنه يوجد ملائكة يجعلون الدائرة ... و يرقصون فرحا بالله و يقولون ... زعم الفلك . سلاما ... و يقول الشيخ : أبو مدين الغوث : ... إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقاء ... ترقصت الأشباح يا جاهل بالمعنى ..... ثم إن مشايخ الصوفية نظموا هذه المرقصة كي لا تكون فوضى بين المريدين .....
.....

السؤال الخامس : ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في من يمارس فن السماع الصوفي ؟

المستمع هو عادي العشاق و يلزم أن تتوفر فيه شروط هي ... أن يكون جميل ... من طرف الشيخ حيث يحرك الوجد في قلوب المتفرجين يكون المغني ... يكون عارفا و يكون له ذوق و عشق حتى يسري حاله في المتفرجين ..... جاء في الحديث كان له صوت جميل و كان إذا يتكلم فمن الحديث إلى الشام ... فحار ... يغني ... للعيس فطربت لغنائه فحارت تجري بسرعة فحوى حدوا أثقالها و حملت ما تحت .....
.....

السؤال السادس : هل السماع له تأثير في نفوس السامعين ؟ هل يمكن أن تشرحوا لنا هذه الظاهرة من خلال تجربتكم الخاصة ؟

السماع يقرب فهم المعاني العميقة للتصوف فشخصيا فهمت مقاصد ابن عربي من خلال قصائد سيدي قدور بن عاشور و وجدت صعوبة في مطالعة كتب الكبريت الأحمر

السؤال السابع : نلاحظ أن السماع لا يؤثر في عامة الناس كما يؤثر في المريدين، هل تعتبر أن ممارسة الذكر هي السبب في ما يسمى بالوجد ؟ و ما هي علاقة الذكر بالوجد و السماع ؟

الذكر يزيل حجب النفس الظلمانية فلا تتهم بالدعاوي الوهمية بعد الفقير إلى نوع آخر من العقل فالسماع في هذا الحين لا يجد حاجزا بينه وبين القلب فمن يكون الوجد و يكون الاهتزاز

السؤال الثامن : ما هي حسب رأيكم أسباب الإختلاف في أنماط السماع و أشكال الممارسة في الطرق التالية : الطريقة الشاذلية – الطريقة المولاوية (الدراويش الدوارون) – الطريقة الحمداوية أو الرفاعية – الطريقة العيساوية ؟

الأشكال مختلفة حسب الخلوات الثقافية المحلية و الحقيقة واحدة لا تتعدى الحدود الثقافية

السؤال التاسع : هل التصوف السني في تقلص أم في إنتشار على وجه المعمورة ؟ ما هي أسباب هذا التقلص أو الإنتشار ؟

إن التصوف السني في إنتشار وزيادة لأن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات خاصة عندما نشبت الفوارق المشروعة وبعض المساجد المختلفة

السؤال العاشر : هل عايشتم الشيخ بن عودة بن ماضيا ؟ هل يمكن لكم أن تقدموا لنا ملامح طريقته في التربية الروحية و أبرز التجارب التي وقعت لكم في صحبته (علاج – كرامات – فراسة – علامات من أخلاقه الرفيعة – سمات شخصيته ...الخ)

نعم عاشنا الشيخ سيدي بن عودة بن الماضيا ولازلنا نعايشه إستلاكه وصفاته وأحواله كان محبا للاتباع متابعا ومناصرا لسنة الله ورسوله كريما جوادا كان حريصا على ملازمة النفع والصلاح كان ملجأ للمنتابين وكرامته لا تحصى ولا تعد كان محبا لمحاسن الأخلاق جمعنا الله به بخصوص

تقبلوا سيدي فائق إحترامنا و تشكراتنا الخالصة و ادعوا لنا بالتوفيق و النجاح

الطالبة : أمير الخانة

الإسم : محمد مولاي

اللقب : شريف

السن : 85 سنة

الوظيفة :

جمع من الفقراء المامشاويين في الزاوية ينصتون للدرس

جمع من الفقراء المامشاويين يشربون الشاي

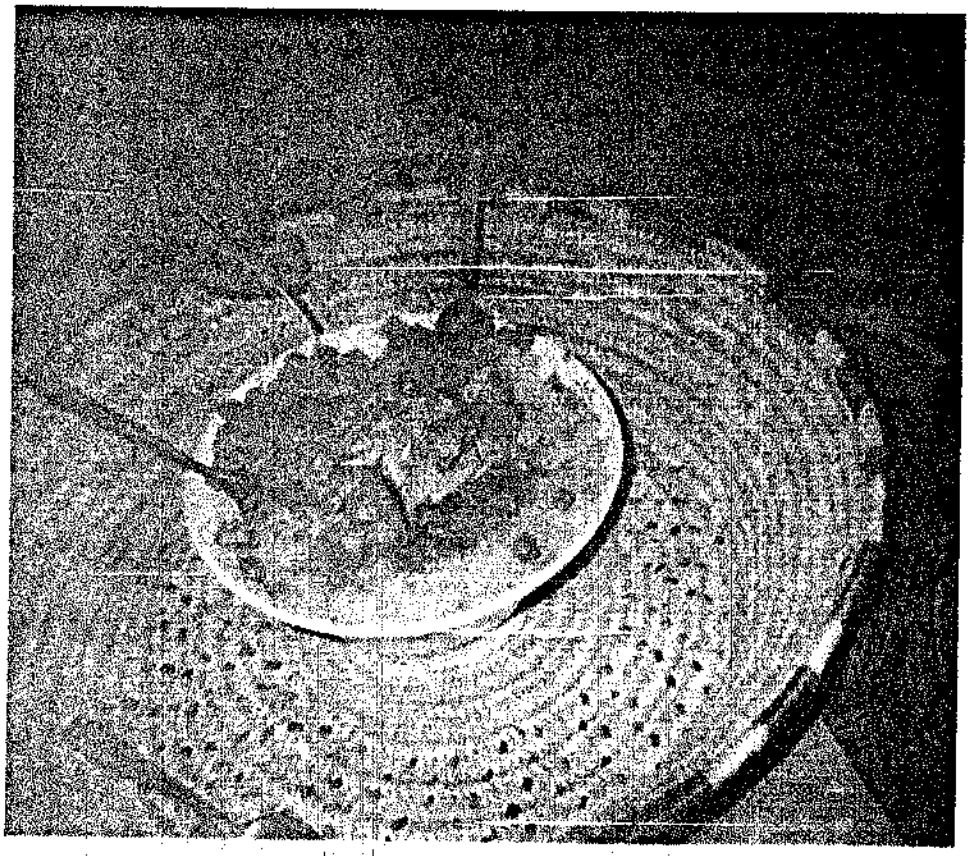

الإطعام في الزاوية الهامشاوية بمناسبة المولد النبوي الشريف

السماع في الطريقة المولوية

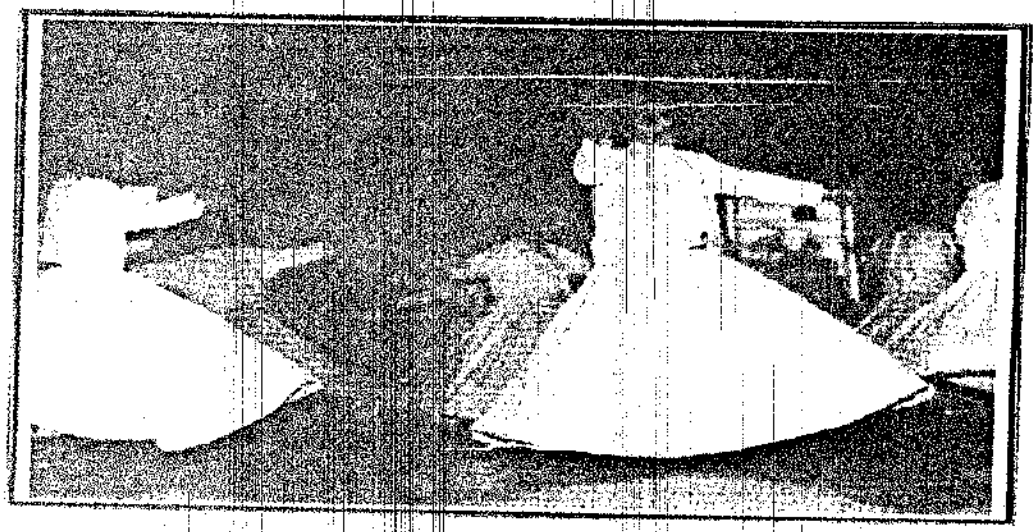

الحضرة في الطريقة المولوية

الحضرة في الطريقة المولوية

قـــائمة المصـــادر و المـــراجع :

المصادر :

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

-1 السنة

-2 إبن أبي الخير الميهني (محمد) ، " أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد " ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، أغسطس 1966.

-3 إبن تيمية (تقي الدين) ، " مجموع فتاوي إبن تيمية ج 11 "مكتبة المعارف الرباط – المغرب ، بدون طبعة و لا سنة إصدار.

-4 إبن الجوزي ، (عبد الرحمان) ،" تلبيس إبليس " ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1983 م .

-5 إبن خلدون (عبد الرحمان) ، " المقدمة " ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة و لا تاريخ إصدار .

-6 إبن خلدون (يحي) ،" بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد "، تقديم و تحقيق و تعليق د.عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، بدون طبعة ، 1980.

-7 إبن عربي (محي الدين) ، " الفتوحات المكية ج2 " ، دار صادق – بيروت – بدون طبعة و لا تاريخ إصدار.

-8 إبن مريم (الشريف المليتي)." البستان في ذكر الأولياءو العلماء بتلمســـان " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، بدون طبعة ، 1986.

10-إبن ميارة (الطالب أبي عبد الله سيدي محمد) ، " حاشية أبي عبد الله سيدي محمد " ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، ط2 ، 1936 م.

11- البوني (أحمد بن علي) ، " شمس المعارف الكبرى " المكتبة الشعبية – بيروت لبنان ، بدون طبعة 1970 م.

12- التلمساني (إبن الحاج) ،" شموس الأنوار و كنوز الأسرار الكبرى " المكتبة الشعبية ، بيروت- لبنان ط 4- 727 ه.

13- السهر وردي (عبد القاهر) ، " عوارف المعارف " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط 2 ، 1983.

14- السيوطي (أبو الفضل) ، " تأييد الحقيقة العلية و تشييد الطريقة الشاذلية " ، دار الفاتح للتراث الإسلامي ، ط2 ، 1994 م.

15- شعيب(أبو مدين) ، " السعادة الأبدية " ، حققه حميدوا عبد الحميد التلمساني ، المطبعة الجديدة بطنجة فاس ، عدد 64 ، 1935م.

16- القشيري (عبد الكريم أبو القاسم) ، " الرسالة القشيرية " ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت – لبنان ، ط 1، 2000 م.
17- الغزالي (أبو حامد) :
- " إحياء علوم الدين " ، دار الكتاب العربي تهميش الحافظ العراقي بدون طبعة و لا تاريخ.إصدار.
- " المنقد من الضلال " ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1979 م .
18- المنذري (عبد العظيم) ، " الترغيب و الترهيب " ، دار إحياء التراث العربي ، بدون طبعة ، 1968 م.
19- النووي (الحافظ)،" منهل الواردين في شرح رياض الصالحين " ، شرح و ضبط الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين بيروت – لبنان ، ط 10 ، 1982.

المـــــراجع :

1- البناني (أبو بكر) ، " تحفة أهل الفتوحات و الأذواق " ، مطبعة التراث ، بدون رقم طبعة و لا تاريخ إصدار.
2- جاد الله عبد المنعم (منال) ، " التصوف في مصر و المغرب " ، بدون دار نشر و لا رقم للطبعة و لا تاريخ إصدار .
3- حاجيات (عبد الحميد) ، " الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان " ، ش و ن ت ، بدون طبعة ، 1974 م.
4- الحلو (سليم) ، " الموشحات الأندلسية " ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط 1 1965.
5- خفاجي (عبد المنعم) ، " الأدب في التراث الصوفي " ، مكتبة غريب ، بدون رقم الطبعة و لا تاريخ إصدار.
6- ركيبي (عبد الله) ، " الشعر الديني الجزائري الحديث " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط1 ، 1981م.
7- الزيات (أحمد حسن) ، " تاريخ الأدب العربي " ، دار النقافة ، بيروت - لبنان ، بدون طبعة ، 1985م.
8- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 (1500-1830) دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1998م.
9- شاوش رمضان (محمد) ، " باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان " ، " د م ج – الجزائر –، بدون رقم طبعة ، 1995م.
10- الشرقاوي (حسن) ، " أصول التصوف الإسلامي " ، الإسكندرية دار المعارف الجامعية ، مصر ، بدون طبعة ، 1991 م.
11- شلق (علي) ، " الفن و الجمال " ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982 م.
12- الصابوني (محمد علي) ، " صفوة التفاسير ج2 " ، عالم الكتاب، بيروت لبنان، ط1 ،1986م.
13- ضيف (شوقي) ، " البحث الأدبي " ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1979م.
14- طوالبي (نور الدين) ، " الدين و الطقوس و التغيرات " ، ترجمة وجيه البيهني ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط1 ، 1988 م.
15- عاصي (حسن) ، " التصوف الإسلامي مفهومه – تطوره و مكانته من الدين و الحياة " ، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1994.
16- عبد القادر (صلاح يوسف) ، " العروض و الإيقاع الشعري " ، الأيام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، ط 1 ، 1997 م.

17- عيسى (عبد القادر) ، " حقائق عن التصوف " ، منشورات دار العرفان ، حلب – سوريا ، ط12 ، 2001م.
18- الفكون (عبد الكريم) ، " منشورات الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية "، تقديم و تحقيق و تعليق الد.أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1987.
19- فيلالي (عبد العزيز) ، " تلمسان في العهد الزياني ج1 و ج2 " ، موفم للنشر و التوزيع ، بدون طبعة ، 2002.
20- القادري الأربلي (عبد القادر) ، " تفريج الخاطر " ، مطبعة التقدم العلمية بمصر ،ط1 ، 1328ه .
21- قسوم (عبد الرزاق) ، " عبد الرحمان الثعالبي و التصوف " ، SNED الجزائر ،بدون طبعة ، 1978م.
22- كعكو (أحمد حسين) ، " هكذا تكلم الأولياء و الصالحون"بدون طبعة و لا تاريخ إصدار.
23- الكيالي (عبد القادر أبو السعود) ، " الفيوضات الإحسانية شرح الأوراد البهائية " بدون رقم طبعة و لا تاريخ إصدار.
24- المدني (أحمد توفيق) ، " كتاب الجزائر " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ط2 ، بدون تاريخ إصدار.
25- المراكشي (محمد بن محمد) ، " شرح إبن عاشر الحبل المتين على نظم المرشد المعين " مكتبة الرشاد، بدون طبعة و لا تاريخ إصدار.
26- مرتاض (عبد المالك) ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر" ، بدون طبعة ، 1984 م .
27- مشعل (عبد الحميد) ، " موسيقى الغناء العربي "، دار الكتاب العربي ، ط1.
28- المنوفي (محمود أبو الفيض) ، " معالم الطريق إلى الله " ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، الفجالة – القاهرة ،بدون طبعة ، 1969.
29- النبهاني (يوسف)، " جامع كرامات الأولياء ج 1 ج2 "، المكتبة العصرية
– صيدا – بيروت ، ط1 ، 2001م .
30- هلال (عمار) ، " الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء "، بدون طبعة و لا تاريخ إصدار.
31- اليافعي ، " روض الرياحين في حكايات الصالحين " ، مصر ، ط1 ، بدون تاريخ إصدار.

الـــــــدواويـــــن :

1- " ديوان سيدي الأخضر بن خلوف" ، مقدمة الأستاذ جعلوك عبد الرزاق إبن خلدون للنشر تلمســـان ، جمع و دراسة بخوشة (محمد بن الحاج الغوثي).

2- " دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين" ، المطبعة العلوية ، مستغانم –الجزائر ،ط5 ، 1993م.

3- " ديوا ن سيدي الحاج محمد بن يلس "، مطبعة ابن خلدون تلمســـان ، جمعه إبن يلس (مصطفى) .

4- " ديوان الشيخ أبو مدين شعيب :المتن الربانية الوهبية في المآثر الشعيبية " ، مطبعة الترقي بدمشق – سوريا، ط1 1938 م، جمعه الشوار (مصطفى بن عربي) ،.

5- " ترجمان الأشواق لمحي الدين بن عربي " ، دار بيروت الطباعة و النشر ، بدون طبعة، 1401ه/ 1981 م .

6- " ديوان الشيخ الحراق " ، موجود بالزاوية المامشاوية.

7- " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه الفقير محمد البوعناني.

8- " ديوان الشيخ قدور بن عاشور " ، جمعه مصطفى بن عمرو الزرهوني.

9- " ديوان الشيخ بن عودة بن مامشا " ، موجود في دفتر بالزاوية المامشاوية.

المعـــــــاجم :

1- إبن منظور ، "(أبو الفضل جمال الدين) :
- " لسان العرب" – دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1979م.
- " لسان العرب ج10"– دار صادر بيروت ، ط1 ، 1990 م.

2- الفيروزبادي " قاموس المحيط ج2 " ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، بدون تاريخ إصدار.

3- أبو خزام (أنور فؤاد) ، " معجم المصطلحات الصوفية " ، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح ، مكتبة لبنان ناشرون " بيروت – لبنان ، ط1 ، 1993 م.

4- وهبة (مجدي) و المهندس (كامل).
" معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب- إنجليزي/ عربي - " ، مكتبة لبنان ، ط2، 1984م.

5- إدريس (سهيل) ، " المنهل قاموس – فرنسي/ عربي- " ، دار الآداب ، بيروت ط20 ، 1998.

الرسـائل الأكـاديمية :

1- زريوح (عبد الحق) رسالة لنيل شهادة الدكتوراه " الشعر الملحون الصوفي في شمال الغرب الجزائري (1871-1954) تحت إشراف الدكتور شايف عكاشة.

2- الغالي (بن لباد)، رسالة لنيل شهادة الماجستير " زاوية سيدي بن عمر إشعاعاتها الإعتقادية و الثقافية و النفسية – مقاربة سوسيولوحية أنثروبولوجية تحت إشراف الد.شايف عكاشة.

3- قيداري (قويدر)رسالة لنيل شهادة الماجستير " الحضرة في منطقة أولاد نهار – دراسة تاريخية فنية " ، تحت إشراف الد. شايف عكاشة.

4- مرتاض (عبد الحكيم) رسالة لنيل شهادة الماجستير " الطرق الصوفية في الجزائر و تطورها " ، إشراف الد.شايف عكاشة.

مخطـــــوطـــات :

1- إذن المشيخة للشيخ بن عودة بن مامشا من طرف شيخه قدور بن عاشور.

2-" مناقب الغوث الأعظم " للشيخ قدور بن عاشور.

3-مخطوط يضم الرؤى المنامية للشيخ بن عودة بن مامشا.

وســـائل سمعيـــة :

-1 حصة إذاعية حول السماع الصوفي و الموسيقى الروحية ". مقدمة بإذاعة البحر المتوسط " MEDI 1 " ، إعداد و تقديم الأستاذ أحمد الخليع.

-2 شرائط كاسيت " CASSETTES " حول الموسيقى الروحية بتركيا.

وســـائل سمعيـــة بصـــرية :

1- القناة الفضائية العربية " إقرأ " ، حصة " قبل أن تحاسبوا " ، موضوع حول " الحضرة و الزار و حكم الشرع فيها " مقدمة في جزئين.

2- القناة الفضائية " العربية " ، حصة حول الطريقة الشاذلية في إفريقيا و آسيا و إختلاف أنماط السماع و الحضرة فيها.مقدمة في جزئين.

3- القناة الفضائية " المستقبل " ، حصة " خليك بالبيت " تقديم الأستاذ زاهي وهبي مع الضيفة الشاعرة الصوفية " هدى النعماني ".

4- القناة الفضائية " السودان " ، حصة حول السماع و الحضرة عند الرفاعيين.

5- القناة الأرضية المحلية الجزائرية ،شريط وثائقي

6- شريط فيديو مسجل " السماع و الحضرة في الطريقة العيساوية.

7- شريط فيديو مسجل من طرف الطالبة الباحثة حول " السماع و الحضرة في الزاوية المامشاوية بمناسبة المولد النبوي الشريف "

8- قرص مضغوط " CD " حول الحضرة الشاذلية اليلسية بدمشق – سوريا.

9- شبكة الأنترنيت موقع " غوغل " للبحث عن التصوف و السماع.

المـراجـــع الأجـــنبية :

1/ AL-JAMI (Abderrahmane) , « Vie des Soufis » traduit du Persan par Sylvestre de SACY , Ed. Sindbad – France , 1977.

2/ ARON (Raymond) , « Les étapes de la pensée sociologique » , Ed Gallimard – Bibliothèque des sciences Humaines.

3/ BLOCHET (M.E) , « Etudes sur l'ésotérisme musulman » , Ed .Sindbab , Paris – 1979.

4/ CASENEUVE (Jean) , « L'éthologie – Encyclopédie Larousse » , 1967 , Paris.

5/ ECHERIF-EL MELITY (Ibn Maryem) , « EL- BOSTAN , JARDIN DES BIOGRAPHIES DES SAINTS ET SAVANTS DE TLEMCEN » , traduit et annoté par F.PROVENZALI , Alger, Imprimerie Orientale Fontana Frères and cié – 1910.

6/ HUDJWIRI , « Somme Spirituelle » , Ed .SINDBAD – (ISLAM) , N°129 , 1988.

7/ KALABADHI , « Traité de Soufisme » , Traduit de l'arabe et présenté par Roger Deladriére – SINDBAD (ISLAM) – Paris – 1981.

8/ RANDOM (Michel) , « Le Soufisme et la danse chez Djellal eddin Rumi » , Sud – Editions – Tunis , 1980.

9/ RINN (Louis) , « Marabout et Khouan » , étude sur l'islam en Algérie ,librairie de l'Académie , Alger ,1884.

10/ STRAUSS (Claude – Lévy) , « Anthropologie Structurale » , Librairie Plon ; 1958 , France , N°8 161.

مجـلات أجنبيـة :

1- « Revue Africaine , Tome N° 68 » , 1988.

فهـــرس المـوضـــوعات :

المقـــدمة

التمهيـــد 10-1

الفصل الأول : الطريقة و الزاوية المامشاوية :

1 / المبحث الأول : 54-11

1-1/ الطريق و الطريقة 15-12
1-2/ الطرق الصوفية التي تكون منبع الزاوية المامشاوية:
أـ الطريقة الشاذلية و أسسها 18-15
ـب الطريقة الدرقاوية 21-18
-ج الطريقة اليلسية 23-22
د- الطريقة القادرية 24-23
1-3/ وظيفة الزاوية الصوفية : 26-25
أـ مواقع الزاوية المامشاوية 26
ب- هيكلتها 28-27
ج- شعائرها: 54-28
 الشيخ المربي :
- معنى الشيخ المربي 30-28
- ضرورة إتخاذ شيخ مرب 34-30
- شروط المشيخة:
 أخذ العهد (القبضة) 38-34
* الورد أو الوسيلة 41-38
* مفهوم مصطلح مريد 46-42
* آدابه 48-46
* ضبط مصطلح الذكر 49-48
* دور الذكر عند العامي و الفقير 54-49

2 / المبحث الثاني : الزاوية المامشاوية

2-1/ مؤسس الزاوية المامشاوية 66-56
2-2/ خليفته الشيخ الحاج سيد أحمد المامشاوي 67-66
2-3/ مشايخ الشيخ بن عودة بن مامشا:
أ/ الشيخ محمد بن يلس 69-67
ب/ الشيخ قدور بن عاشور 73-69
 كراماته 75-73
2-4/ برنامج الزاوية اليومي و المناسباتي 77-75
2-5/ طاقم الزاوية المامشاوية 79-77

الفصل الثاني : السماع الصوفي أساسه الشعر :

1/ المبحث الأول : الشعر الصوفي

1-1- الشعر الصوفي 84-81
أ- وظيفته 81
ب- نشأته و تطوره 84-82
1-2- الشعر الصوفي بتلمسان 88-85
1-3- أنواع الشعر الصوفي : الموشح و الزجل 97-89
1-4- الأزجال و الموشحات في شعر الصوفية 101-97
1-5- خصائص الشعر الصوفي (الأغراض و الأسلوب) 103-101
1-6- مفهوم الرمز و الرمزية:
أ/ لغويا 104
ب/ أدبيا 105-104
ج/ الرمز في الشعر الصوفي 116-105

2 / المبحث الثاني : الشعر الصوفي المتداول في الزاوية المامشاوية :

2-1/ نماذج من هذا الشعر 128-118
2-2/ مقارنة بين شعر الشيخين محمد بن يلس و قدور بن عاشور 133-128
أ/ النظم بالفصحى و العامية (الإشكالية 2) 134-133
ب/ هل الأنا في شعر الشيخ قدور بن عاشور نرجسية أم كبرياء ؟ 138-135
ج/ قدرة الشيخ قدور بن عاشور على نظم الشعر 140-138
2-3/ مقارنة بين شخصيات المشايخ الثلاث : الشيخ محمد بن يلس
و الشيخ قدور بن عاشور و إبنهما الروحي الشيخ بن عودة بن مامشا . 148-141
2-4/ الجوانب الفنية في الشعر الصوفي بالزاوية المامشاوية 152-149

الفصل الثـالث : السماع الصوفي و تحضرة في الزاوية المامشاوية

1/ المبحث الأول : السماع و الوجد : 199-154

1-1/ تعريف السماع 156-154
1-2/ نشأته 159-156
1-3/ العلاقة بين الصوت و السمع 164-159
أ/ الصوت عند الغزالي 166-164
1-4/ أنواع السماع حسب الوسيلة المستعملة 174-167
1-5/ رأي الدين في السماع 180-174
1-6/ شروط ممارسة السماع 183-181
1-7/ أنواع السامعين 185-183
1-8/ آداب السماع 188-186
1-9/ وظيفة السماع 199-188
أ/ الوجد و التواجد و الوجود 199-188

2/ المبحث الثاني : الحضـــرة:

2-1/ مفهوم الحضرة و نشأتها 207-201
2-2/ رأي الدين و رأي أهل التصوف فيها 212-207
2-3/ شروط ممارسة الحضرة و آدابها 213-212
2-4/ مراحل الحضرة 215-214
2-5/ آثار الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين 217-215
2-6/ أنواع الحضرة 226-217

3 / المبحث الثالث : مكانة الطقوس ضمن برامج الزاوية المامشاوية
3-1/ الطقوس 232-228
3-2/ السماع ضمن البرنامج اليومي بين عهد الشيخ بن مامشا و خليفتـــه 233-232
3-3/ أ/أهمية الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بتلمسان 235-233
ب/ الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بالزوايا التلمسانية 237-236
3-4/ السماع و الحضرة في البرنامج الإحتفالية (المناسبات) : 237
أ/ برنامج الإحتفال في ليلة المولد النبوي الشريف سنة 2002م/1423ه 242-238
ب/ الإطعام في الزاوية المامشاوية 244-242
ج/ أهمية إنشاد قصائد الإمام البوصيري في المولد النبوي الشريف 247-244
د/ تعليق على ظاهرتي السماع و الحضرة في الزاوية المامشاوية 251-247

الخـــــــاتمة 255-252

المـــــــلاحق

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات